شقاشق الأشجان

شرح منظومة عقود المرجان

الإمام الحجة

مجد الدين بن محمد المؤيدي (ع)

(١٣٣٢هـ/ ١٤٢٨هـ)

الشارح السيد العلامة

محمد عبدالله عوض

حفظه الله وأبقاه

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق ا خرا :

مكتبة أهل البيت (ع)

اليمن ـ صعدة ـ ت ٣١٥٨٠)

الطبعة الأولى

٤٣٦ هـ ٠١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، [آل عمران:١٠٤]، ولقوله تعالى:﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥].

ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي؛ ورُزقوا فهمي وعلمي)) الخبر، وقد بيّن صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريّتهما عليهم السلام- عندما جلّلهم صلى الله عليه وآله وسلم بكساءٍ وقال: ((اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

استجابةً لذلك كلّه كان تأسيس مكتبة أهل البيت(ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت(ع) مُمثلاً في الزيدية، أنواعَ الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين صلوات الله عليهم عَبْر نَشْرِ ما خلّفه أئمتهم الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لثِقَتِنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت عليهم السلام هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبِّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

واستجابةً من أهل البيت صلوات الله عليهم لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، كان منهم تعميدُ هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكيّة الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمّل التاريخ وجَدَهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدَّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعيده، والرضا بخيرته من خَلْقِه.

ولأن مذهبهم صلوات الله عليهم دينُ الله تعالى وشرعه، ومرادُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإرْثُه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومنْ عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع): (واعلم أن الله جلّ جلاله لم يرتضِ لعباده إلا ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد علمتَ أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون:٧١]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢]، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وقد خاطبَ سيِّد رسله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود]، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من أهل بدر، فتدّبر واعتبر إن كنتَ من ذوي الاعتبار، فإذا أحطتَ علماً بذلك، وعقلتَ عن الله وعن رسوله ما ألزمك في تلك المسالك، علمتَ أنه يتحتّم عليك عرفانُ الحق واتباعه، وموالاة أهله، والكون معهم، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، ومفارقةُ الباطل وأتباعه، ومباينتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، في آيات تُتْلى، وأخبار تُملى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥](١).

وقد صَدَرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت(ع):

١-الشافي، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ٦١٤هـ، مذيّلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/

---

(١) – التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

الحسن بن الحسين بن محمد رحمه الله تعالى١٣٨٨هـ.
٢-مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ في تراجم رجال الزيدية، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله تعالى، ١٠٢٩هـ-١٠٩٢هـ.
٣-مَطَاْلِعُ الأَنْوَاْرِ وَمَشَاْرِقُ الشّمُوْسِ وَالأَقْمَاْرِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع) - ٦١٤هـ.
٤-مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني(ع) ٣٧٦هـ- ٤٠٤هـ.
٥-مَحَاسِنُ الأَزْهَارِ في تَفْصِيْلِ مَنَاقِبِ العِتْرَةِ الأَطْهَاْرِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلّي الهمداني الوادعي رحمه الله تعالى - ٦٥٢هـ.
٦- مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.
٧-السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم(ع) - ت ١٢٦٩هـ.
٨- لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ١٤٢٨هـ.
٩- مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي(ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) ٧٥هـ- ١٢٢هـ.
١٠-شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) - ت ٦١٤هـ.
١١-صفوة الاختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.
١٢- المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم

الأخيار، لِمُخْتَصِرِهِ/ السيّد العلامة محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى، اختصره من الصحيح المختار للسيد العلامة/ محمد بن حسن العجري رحمه الله تعالى.

١٣-هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ت٨٢٢هـ.

١٤-الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤ هـ.

١٥-المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.

١٦- نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ٨٢٢هـ.

١٧- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن كرامة رحمه الله تعالى - ٤٩٤هـ.

١٨- عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

١٩-أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمه الله تعالى.

٢٠-الوافد على العالِم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦ هـ.

٢١- الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢٢-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٣-المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي

العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت ١٢٨٢هـ.

٢٤-خمسون خطبة للجمع والأعياد.

٢٥-رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

٢٦-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٧-إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٨-الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٩-النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي(ع) ١٣٤٣هـ.

٣٠-سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ.

٣١-الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى.

٣٢-أصول الدين، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٣٣-الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى - ٦٦٧هـ.

٣٤-العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد(ع) ٦٦٣هـ.

٣٥-الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع)، تأليف/ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) ٢٤٦هـ.

٣٦-كتابُ التَّحْرِيْرِ، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤هـ.
٣٧-مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) ١٣١٩هـ.
٣٨-القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى.
٣٩-قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٠-نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤١-معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٢-الاختيارات المؤيَّدية، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع)، (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).
٤٣-من ثمارِ العِلْمِ والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٤-التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٤٥-المنهج الأقوم في الرَّفع والضَّم والجَهْرِ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإثبات حيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ في التأذين، وغير ذلك من الفوائد التي بها النَّفْعُ الأَعَمُّ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع).
٤٦-الأساس لعقائد الأكياس، تأليف/ الإمام القاسم بن محمد (ع).
٤٧-البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٨-الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٤٩-المختار من(كنز الرشاد وزاد المعاد، تأليف/ الإمام عزالدين بن الحسن(ع)ت٩٠٠هـ).

٥٠-شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تأليف/ العلامة الفاضل: علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري.

٥١-الفقه القرآني، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٥٢-تعليم الحروف إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٣-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الأول الحروف الهجائية، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٤-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الجزء الأول الأعداد الحسابية من (١ إلى ١٠)، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٥-تسهيل التسهيل على متن الآجرومية، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٦-أزهار وأثمار من حدائق الحكمة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٥٧- متن الكافل بنيل السؤل في علم الأصول، تأليف/ العلامة محمد بن يحيى بهران (ت: ٩٥٧هـ).

٥٨- الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) -١٣١٩هـ.

٥٩-.

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كُثُر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرّفُ بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثِ كنوز أهل البيت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به(ع) فأقول: اللهم صلِّ على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارَيْن، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، نرجوا الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضله وكرمه، واللهَ أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبّل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥].

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

[منظومة عقود المرجان]

بسم الله الرحمن الرحيم

[تقديم الشارح]

الحمد لله رب العالمين(١)، وصلى الله وسلم وبارك وترحم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فَلِما لدراسة التاريخ من الأهمية ولا سيما التاريخ الإسلامي لما يترتب عليه من تثبيت العقيدة وترسيخها، ومعرفة المُحق من المُبطل، وتمييز المهتدي من الضال، مع ما في ذلك من العظة والاعتبار بما هنالك من حوادث الدهور وعواقب الأمور، رأيتُ أن أضع تعليقاً كالشرح على المنظومة التاريخية التي عنيت بتعداد ملوك بني أُميّة وبني العباس، لشيخنا ومولانا الحُجة أبي الحسين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي –أيده الله تعالى– المُسماة بـ«عقود المرجان».

وخدمة لناظمها –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، وإسعافًا لرغبته فإنه –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قد كان حريصاً على شرحها كشرح أختها «الزُّلف» فلم تسمح له الظروف بذلك، فطلب بعض تلامذته أن يقوم بشرحها فلم يتم له ذلك.

وقد كان بعض الإخوة الكرام أشار عليَّ بشرحها، فلذلك اندفعت إلى القيام بشرحها، مع علمي بالقصور في علم التاريخ، وقلة المراجع المحتاج إليها؛ ثقة بمعونة الله وتسديده، وتوفيقه وتيسيره.

فتم لي بفضل الله ما أردته على حسب ما أردته وتصورته، و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة٢٨٦]، و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق٧].

---

(١)–

هذا، وقد سميت هذا الشرح بـــ«شقاشق الأشجان» حتى يتوافق عنوان الشرح مع عنوان المنظومة، فيكون «شقاشق الأشجان شرح منظومة عقود المرجان».

و«شقاشق»: جمع شقيقة، ومنها «الخُطبة الشِّقْشقية» لأمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام التي أوردها الشريف الرضي في كتاب «نهج البلاغة».

وسميت هذا الشرح بهذه التسمية «شقاشق» لما بينهما -أي: بين الخطبة الشقشقية وشرح هذه المنظومة- من الاتفاق في الموضوع، وهو الحديث عن الذين استأثروا بحقوق آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوهم.

ومع ما أحس به من الخجل إذ عرضت للناس في كتابي مدى تصوري وفكري وعقليتي بصورة مكشوفة فإني قد حاربت ذلك الخجل ودافعته بحسن الرجاء في الله سبحانه، فهو الذي يرفع ويضع، ويُعزُّ ويذل، ويستر ويفضح؛ لذلك فإني أرجوه سبحانه أن يزينه في أعين الناظرين، وأن يستره عن معائب العائبين.

هذا، وقد ذكرت شيئًا من أسرار البلاغة والبيان في عدة أبيات من وجه القصيد؛ تنبيهاً على بلاغة قائلها رضي الله عنه.

والموضوع الأصلي الذي قصدته في هذا الشرح هو بيان الصورة الحقيقية لخلفاء الدولتين (الأموية – العباسية)، وبيان تمردهم على الله وعتوهم، وضلالهم وفسادهم، وحربهم للحق والمحقين، وفساد المذهب الرسمي للدولتين، وما يلحق بذلك أو يتصل به، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الحوادث التاريخية التي حدثت في زمن أولئك الخلفاء، فهناك موسوعات كثيرة منتشرة تكفلت ببيانها، فيها كفاية وأيُّ كفاية لمن أحب معرفتها.

والغرض الذي نهدف إليه في كتابنا هذا من التاريخ ذكر ما فيه تعزيز لحقائق الحق، وإعلاء كلمة الصدق، ونصر لأئمة الدين وأهل البيت المطهرين عليهم السلام.

أو ما فيه تدليل على ظلم المتغلبين وجَور المتسلطين، وفسوقهم وخروجهم عن أحكام الإسلام ودين المسلمين.

وهذا هو الغرض الأصلي الذي قصده شيخنا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في قصيدته هذه «عقود المرجان»، وكذلك في قصيدته «الزُلف»، وشرحها «التُّحف»، فسلكنا تبعاً له ذلك المسلك.

ولم نتعرض إلى شرح مفردات القصيدة؛ لوضوح معانيها وعدم غرابتها. وكنا قد تعرضنا عند ذكر كل من خلفاء الدولتين إلى ذكر القائمين من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وذكر من قُتِلَ من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بسيوفهم، أو مات في سجونهم، أو بسببٍ من أسبابهم، فذكرنا في ذلك ما ذكره الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في «الشافي»، وأبو الفرج في «مقاتل الطالبيين»، ثم تركنا ذلك آخرًا؛ لكفاية دلالته على ما قصدنا من بيان سياسة جبابرة الدولتين الظالمتين تجاه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم لعدم توفر المصادر التي تعنى بذلك.

وفي «التُّحَف شرح الزُّلَف» لشيخنا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- العناية التامة بذكر القائمين من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على طول التاريخ الإسلامي، وذكر علمائهم المبرزين في كل عصر؛ فلا حاجة -حينئذ- لوجود ما يغني.

وقد تعرضنا في هذا الكتاب إلى ذكر شيءٍ من المذاهب الباطلة الناتجة عن سياسة الدولتين الأموية والعباسية؛ لما لذلك من العلاقة بتأريخيهما.

وأيضاً، تعرضنا إلى ذكر بعض مذاهب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لما له من الروابط التاريخية الوثيقة بأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وذلك من حيثُ أنَّ الصراعات والعداء المحتدم بين خلفاء الدولتين من جهة، وبين أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من جهة أخرى- هو صراع وعِداء عقائدي فكري مبدئي، تسعى كل جهة بكامل سعيها وقُوَّتِها إلى طمس معالمِ ومبدأٍ وفكرٍ وعقيدةِ الجهة الأخرى ومحوها تماماً من الوجود، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة٣٢].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيئين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المنتجبين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مطلع القصيدة

عَجَبـًا لِـهَذَا الـدَّهْرِ مِـنْ دَهْـرِ وَلِأُمَّـةٍ مَهْتُوكَـةِ السِّـتْرِ

التعجب من الدهر هو من أجل الحوادث العجيبة التي تضمنها. والمراد بالدهر الذي كان منشأ للتعجب هو الدهر الممتد من حين وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى اليوم.

ثم أردف الناظم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه- التعجب من الدهر بالتعجب من أُمَّة مهتوكة الستر، والمراد بالأُمَّةِ: الأُمَّةُ التي عاشت في ذلك الدهر الذي تعجب منه أوَّلًا.

والتعجب من الأمة خلال تلك الفترة التي تعقبت موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى اليوم قد كان نتيجة لأعمال كثيرة متلاحقة كلها تستدعي العجب.

وقوله: (مهتوكة الستر): إشارة إلى أن تلك الأعمال العجيبة أعمال سيئة تكشفت بسببها سوءات الأمة وعوراتها.

فإن قيل: كيف صح له وصف الأمة بذلك مع ما جاء في فضلها، من نحو قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة١٤٣]؟

قلنا: أُمَّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كغيرهم من الأمم ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد٢٦]. يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف١٠٣]، ونحوها. وكذلك أحاديث العرض على الحوض التي رواها أهل الصحاح.

وبناءً على هذا فيكون المراد بالثناء الوارد في القرآن هو القلة من الأمة، المستقيمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

ويكون المراد بالذم هنا الكثرة التي تخلت عن ذلك. فلا منافاة -حينئذ- بين ما في البيت وما في القرآن.

هذا وتبعاً لمولانا الناظم -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- فلنقتصر في تعليقنا هذا على ذكر الحوادث التاريخية العجيبة التي جنتها الأمة، وأغمض عنها التاريخ، أو جردها عن وزنها وقيمتها التاريخية وآثارها السلبية.

ولنقتصر من تلك الحوادث الجنائية على ذِكْرِ ما يتعلق بأهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وبأتباعهم رضوان الله عليهم تبعًا لمولانا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

شرح بلاغي

هذا، وفي البيت فنون بلاغية ولطائف سحرية تحتاج إلى بيان وتوضيح وتفصيل، سنشير إلى شيءٍ من ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

بالإضافة إلى حسن المطلع وبراعة الاستهلال، فإن تنكير العجب هنا يفيد أنه قد بلغ غايته في العظم، وحقًّا فإن الحوادث التي تعجب منها مولانا الناظم -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- تستدعي الغاية من العجب؛ فالتنكير هنا في أحسن مواقعه عند البُلغاء.

وقد جاء البيان لما كان منشأً للعجب باسم الإشارة، الذي يفيد هنا التحقير والذم مع التمييز له غاية التمييز، ثم أردف ذلك التمييز بتمييز آخر، فأعاد لفظ الدهر مُنَكَّرًا ليفيد تحقير الدهر ثانياً.

والتنكير يراد به التنويع هنا، فتكون هنا استفادة التحقير إنما هي بالتبع مع ما يفيده ذلك من تَوَجُّعِهِ وشكايته من الدهر.

وقد اشتمل هذا الشطر من البيت -أيضًا- على إيجاز القصر، بحذف عامل «عجبًا». وعلى الإطناب، وذلك بالبيان بِـ«مِنْ ومجرورها». وفيه مجاز عقلي ضمني، وذلك حيث بَيَّنَ العجبَ بالدهر، والدهر لا يستدعي العجب، وإنما يستدعيه الحوادث الواقعة فيه. ويحتمل أنه على حذف مضاف تقديره «عجبًا لحوادث هذا الدهر»، فيكون في ذلك مجاز الحذف مع المجاز العقلي الصريح. وكل هذا مع ما في

الاستفتاح بلفظ العجب الْـمُنَكَّرِ، ثم الإجمال في ذكر الباعث عليه من الداعي إلى الإصغاء والاهتمام.

فقد جاء هذا الشطر مطابقًا للمعنى الذي سيق له ومصوِّرًا له تصويرًا يكاد يكون ملموسًا من غير إفراط ولا تفريط، وتمامًا كما يقول أهل البيان في حقيقة الكلام البليغ: إنه المطابق لمقتضى الحال.

شرح بياني:

وفي الشطر الثاني:

١- تعجب آخر معطوف على الأول بالواو مع إعادة لامِ الجرِّ، إشعارًا بأن المعطوف على انفراده منشأٌ للعَجَب وباعثٌ عليه.

٢- العطف -هنا بالواو- للتفسير، فيكون المعطوف -حينئذٍ- هو الباعث الوحيد للتعجب، والفائدة البيانية من ذلك هي: جَرُّ أُذُنِ السامع وإعدادها للتلقي وذلك عند سماع المجمل، فإذا أُلقِيَ إليها التفسير والتفصيل أصغت إليه إصغاء قبول ووعي.

٣- التنكير في «أمة» للتحقير.

٤- وقوله: «مهتوكة الستر» -صفة للأمة- جاءت هنا للذَّمِّ؛ فالتحقير -حينئذٍ- قد أردف بتحقير آخر.

٥- «مهتوكة الستر» كناية عن ظهور العورة، وظهور العورة استعارة عن اقتراف المآثم، وهذه الاستعارة ضمنية، اقتضاها الكلام. فيكون هذا التعبير قد اشتمل على بلاغة الكناية، استتبعها بلاغة الاستعارة.

وهذا البيت بكلا شطريه -مع ما ذكرنا- قد استجمع مقومات البلاغة واكتنفها من جميع جوانبها؛ فألفاظه سَلِسَةٌ عَذْبَةٌ مأنُوسَةُ الاستعمال مفهومة المعنى، خاليةٌ عن التنافر والغرابة والتعقيد، جاريةٌ على القوانين العربية.

وبعدُ، فإن ما ذكرنا من أسرار البلاغة في هذا البيت قد جاء على حسب ما يستدعيه الواقع، ويتطلبه المقام من غير إفراط ولا تفريط.

هذا، ومن المناسب أن نذكر ما يحضرنا في هذا المقام من أسرار البلاغة في البيت الثاني؛ وذلك لما بين البيتين من الارتباط، فنقول:

الشطر الأول، وهو قوله: (يَا أُمَّةً عَلِمَتْ وَمَا عَمِلَتْ)، فيه من ذلك:

١- هو -أي: هذا الشطر- نعتٌ ثانٍ للأمة، كاشف عن معنى ثابت في الأمة.

٢- ومع ذلك فهو مفيد لشيءٍ من التفصيل الذي سبقت الإشارة إليه على سبيل الإجمال.

٣- وهذا بالإضافة إلى إفادة المبالغة في الذم؛ وذلك من جهة أنه يفيد الذم أصلاً، واستفيدت المبالغة فيه من:

- جهة القطع أوَّلًا، ونعني به ما يشبه قطع الصفة.
- ومن جهة حرف النداء، الذي هو «يا» ثانيًا.
- ومن تنكير المنادى ثالثًا.

وتفصيل ذلك: أمَّا القطع فدلالته على المبالغة في الذم أو المدح مشهورة، ذكرها أهل النحو والبيان، وما نحن فيه شبيه بذلك. وأمَّا الياء -الذي هو حرف النداء- فتفصيله: أن «يا» موضوعة أصلاً لنداء البعيد، فتوسع المولى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هنا فيها توسعًا بيانيًّا على جهة الاستعارة التبعية، فأشار بها إلى أنَّ الأمَّة قد أبعدت إلى غاية بعيدة في فعل ما يكسبها الذم والمقت، وأفرطت في الذهاب إلى ذلك، فنزل ذلك البعد المعقول منزلة بُعْدِ المكان المحسوس، فجاء بـ«يا» الموضوعة لذلك.

وأمَّا تنكير المنادى فدلالته على المبالغة في الذم من حيث أن التنكير يفيد الذم، فإذا جاء -أي: التنكير- في صفة تفيد الذم تَضَاعَفَ به الذمُّ فتحصل حينئذ المبالغة.

نعم، وفي هذا التعبير باب من أبواب البلاغة غير ما ذكرنا هو: الالتفات إلى الخطاب بعد الغيبة. وفي هذا الالتفات زيادة على ما ذكره علماء البلاغة من تطرية

نشاط السامع...إلخ. فائدة أخرى، وهي المبالغة في الذم، وذلك من حيث أن رمي المقذوف بقذائف الذم من قرب أَوْجَعُ له من رميه عن بعد.

٤- الإيجاز الكريم يتبين لك ذلك فيما ذكرنا من المعاني في قوله: (يا أَمَّةً).

٥- من البديع في هذا الشطر نوع من أنواع الطباق، وذلك في قوله: (عَلِمَتْ وَمَا عَمِلَتْ). توضيح ذلك: أنه مثل الذي يذكر في علم البديع، وهو قوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح٢٩]، حيث جمع بين الرَّحمة وبين المسبَّب عن نقيضها وهو الشدة، فإنها مُسَبَّبَةٌ عن الغِلْظَة التي هي نقيض الرحمة. وهاهنا كذلك، فقد جمع بين العلم وبين الـمُسَبَّبِ عن نقيضه الذي هو الجهل، فإنه سَبَبٌ لترك العمل.

٦- وهذا مع ما في هاتين الكلمتين من الجناس اللفظي الذي يكسب اللفظ رونقاً وحُسنًا.

٧- النداء في (يا أَمَّةً) يحتمل -مع ما ذكرنا- التحسر والتحزن على ما فات الأمة من الخير، ثم التفجع والتوجع وإظهار الشكوى مما ارتكبت؛ وذلك أن النداء قد يخرج عن أصله وظاهره إلى هذه المعاني المجازية؛ والدليل قوله تعالى حكاية: ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف٩٣]، إلى غير ذلك مما يشهد لما ذكرنا.

وهذا مع ما في مَدَّةِ الياء من المناسبة لذلك. هذا والفِعْلان في الأصل متعديان وقد نُزِّلا هنا منزلةَ الفعل القاصر، فلم يذكر لهما مفعولان؛ ليفيدا زيادة الذم، وذلك من حيث أن الفعل الأول أثبت للأمة صفة العلم، والثاني نفى عنها صفة العمل على الإطلاق، وهذا أبلغ في الذم مما لو ذكر المفعولان على أيِّ صفة ذكرا من تعميم أو تخصيص.

الشطر الأخير من البيت الثاني، وهو: (لِنَبِيِّهَا في أَهْلِهِ تَزْرِي)، فيه من أبواب البلاغة:

١- أن هذا الشطر قد جاء على طريقة الاستئناف البياني، فيفيد -زيادة على الدلالة الوضعية- فوائد عارضة تسببت عن هذا التركيب وهي:

أ- الارتباط والاتصال بما قبلها حتى صارت كالكلام الواحد، ومن هنا ترك الربط بحرف العطف.

ب- التوضيح والبيان والتفصيل لما سبق.

جـ- والتعليل أيضًا.

د- وشيئًا من التوكيد.

هـ- الإطناب، وذلك من حيث الإجمال أَوَّلًا في الشطر الأول، ثم التفصيل في الشطر الثاني.

٢- إضافة النبي إلى الأمَّة يفيد التعريف أصلاً؛ غير أنه يفيد -مع ذلك- فوائد بيانيه عارضة، ترفع الكلام من الحضيض إلى منازل البلاغة العليا. والفوائد البلاغية هي:

أ- زيادة المبالغة في توبيخ الأمة حيث تعمدت بالإزراء نَبِيَّهَا الكريمِ، الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، والذي... إلخ.

ب- وكذلك المبالغة في تقبيح صنيع الأمة، وهو الإزراء والتجهيل لها من حيث أنها الفاعلة لذلك الصنيع، وزيادة الغفلة وكفر النعمة و... إلخ.

فانظر إلى هذه الفوائد العارضة التي أشارت إليها الإضافة ما أروعها! وفي هذه التي ذكرنا دلالة على ما ذكرنا أَوَّلًا من أنَّ هذا الشطر قد كان بيانا للشطر الأول، ومفيدًا للتوضيح والبيان والتفصيل؛ وذلك أن الشطر الأول أفاد أن الأمة علمت وما عملت، وهذا الشطر جاء فيه ما ذكرنا بياناً لذلك.

٣- تقديم المفعولين يفيد معاني شريفة هي:

أ- أن الأمة قد صدر ما صدر منها على سبيل القصد والعمد.

ب- أن ظلم الأمة لأهل البيت عليهم السلام يرد به أذية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإساءة إليه أوَّلًا وبالذات.

جـ- أن الأمة قد خَصَّتْ بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتوجهت بقبيح صنيعها إليه صلى الله عليه وآله وسلم، دون غيره.

د- وهذا بالإضافة إلى ما تقتضيه هذه الفوائد من التوبيخ والتقبيح والتجهيل للأمة كما لا يخفى.

هذا واللام في قوله: (لِنبيِّها) هي لام التقوية، زيدت في المفعول لضعف العامل بتقديم مفعوله عليه.

وقوله: (في أهله): «في» هنا تفيد أن الإزراء بأهل البيت عليهم السلام إزراء عظيم. في القاموس: زَرَى عليه: عابه، مثل أزرى به، غير أن أزرى قليل. وبناء على هذا فالأحسن في البيت أن تقرأ لفظة «تَزري» في البيت بفتح التاء.

وقد ضمنت «تزري» معنى فعل آخر يتعدى بنفسه، فيقدر تؤذي، وبذلك يتضاعف المعنى مع قلة اللفظ، فيكون في الكلام إيجاز القصر.

نعم، ما ذكرنا من أنواع البلاغة وأسرار البيان في هذين البيتين قد كان على قدر ما توصلنا إليه، وعلى حسب ما فهمه الذوق القاصر، وإنما ذكرنا ذلك عِلْمًا مِنَّا بأن ناظمها شيخنا المولى مجد الدين المؤيدي-أيده الله- قد قصدها واعتبرها وأرادها؛ وذلك أنه -أيده الله- قاموس البلاغة والبيان، وسابق الأمة في ذلك الميدان، والمحيط بدقائق أنواع العلوم، وهو الكامل في جميعها وجمعها، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة٢٦٩]، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد٢١].

ولا أقول: إنِّي فيما لَحَظْتُهُ في هذين البيتين من أسرار البلاغة وأنواع البيان قد جئت بكل ما يحملانه من ذلك، وكتبت كلَّ ما اعتبره ناظمها رفع الله قدره، ولا

أدعي ذلك، فلعلَّ ما فاتني منها أكثر مما عرفت، ونرجو أن ندرك بتوفيق الله شيئًا مما فات.

أَضْـــحَىٰ كِتَـــابُ اللهِ مُطَّرَحــــًا وَنَسِــــيتُمُ الْـــمَقْرُونَ بِالــــذِّكْرِ

- الجملة الأولىٰ: مستأنفة استئنافًا بيانيًّا من الجملة قبلها في البيت السابق؛ فلهذا ترك العطف.
- الجملة الثانية: معطوف عليها، والعطف بالواو هنا في أحسن مواقعه؛ لوجود المناسبة الكاملة بين أجزاء الجملتين، فالنسيان والإطراح يكاد أن يكونا بمعنىٰ واحد.
- و«كتاب الله» و«المقرون بالذكر» شيئان متلازمان دِينًا وشرعًا؛ لقوله ﷺ: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي))، و ((إنِّي تارك فيكم...)) الخبر.
- إضافة الكتاب إلىٰ لفظ الجلالة تفيد تعظيم شأن الكتاب إلىٰ غاية من العظم بعيدة. ويفيد مع ذلك تعظيم قبح إطراح الكتاب؛ وذلك أن القبيح يعظم قبحه ويتزايد في الفحش إذا وقع علىٰ شيء عظيم، وكما قلنا سابقًا: فإن ذلك يختلف باختلاف مواقعه.
- الجملة اسمية، فتفيد أن الإطراح صفة ثابته للكتاب علىٰ الاستمرار والدوام.

فإن قيل: كيف يجعلونها اسمية وهي مصدرة بفعل وهو «أضحىٰ»؟

قلنا: «أضحىٰ» ليس مسنداً ولا مسنداً إليه، وإنما جيء به للتقييد.

- صيغة «مُطَّرَحًا» تفيد أن إطراح الأمة لكتاب الله قد كان أمرًا مُتَعَمَّدًا، تعمدته الأمة وتكلفته، وتوجهت إليه وقصدته، وهذا هو السر في عدول

شيخنا الناظم -حفظه الله- إلى هذه الصيغة بدلًا عن الأصل الذي هو «مطروحًا».

- هاهنا مجاز عقلي، وذلك حيث أسند الإطراح إلى الكتاب، وإنما هو سبب للمعنى الحقيقي الذي هو العمل. وفائدة هذا المجاز الزيادة في تقبيح صنيع الأمة حيث تركت العمل بأوامر الكتاب.
- في لفظة «مُطَّرَحًا» مجاز لغوي، والفائدة من ذلك المجاز تصوير ترك العمل بأوامر الكتاب وأحكامه بصورة محسوسة تكاد العين أن تنظر إليها.
- وفي التعبير فائدة أخرى، وهي المبالغة، وذلك من حيث نسب الإطراح إلى كتاب الله تعالى جملة، فيكون في المعنى مشابهًا لما يذكر في النحو: «طاب زيد نفسًا، واشتعل الرأس شيبًا، وفجرنا الأرض عيونًا».

قوله: (ونسيتم المقرون بالذكر): المقرون بالذكر هو علي عليه السلام. والفائدة البيانية من تسميته بذلك -زيادة على المعنى الأصلي-:

١- المدح لعلي عليه السلام.

٢- التذكير بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع القرآن))، ((إنِّي تارك فيكم...)) الخبر.

٣- زيادة القبيح لترك الأمة لعلي عليه السلام، وذلك حيث تركوا شيئًا مذكورًا مع القرآن؛ فإن الترك يعظم على حسب عظمة المتروك.

آلُ النَّبِــــيِّ وَمَـــــنْ يُتَـــــابِعُهُمْ يَتَجَرَّعُـــونَ مَـــرَارَةَ الضُّـــــرِّ

البيت جملة بيانية بَيَّنَ بها جملةَ «تزري» في البيت السابق؛ لهذا ترك العطف.

(آل النبي): مبتدأ. وجملة (يتجرعون): خبر المبتدأ. ولهذا التركيب أسرار وفوائد عند علماء البلاغة والبيان:

أ- إضافة «آل» لـ«النبي» تفيد تعظيم الآل، فيتبع ذلك تعظيم الخبر الذي هو جملة «يتجرعون»؛ وذلك أن الذنب يختلف في الكبر والصغر والعظم باختلاف مواقعه.

ب- أنَّ كون الضر بأهل البيت وأتباعهم مستمر في جميع الأزمنة من غير توقف ولا انقطاع.

جـ- أنَّ لحوق الضرر أمر مؤكَّد لا شبهة فيه، وذلك من تكرار الإسناد.

د- أنَّ التجرع يتكرر ويتجدد مره بعد مرة، وجرعة بعد جرعة، وذلك من الفعل المضارع.

هـ- أنَّ الضر النازل بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأتباعهم قد بلغ من الثقل والشدة عليهم إلى غايةٍ بعيدةٍ، وذلك من زيادة التاء وتضعيف الراء في المضارع.

و- في ذلك التركيب استعارة مكنية واستعارة تخييلية، في قوله: (يتجرعون مرارة الضُّر). وفائدة ذلك: تصوير المعقول في صورة المحسوس، وفيه من توضيح المعنى وتبيينه ما لا يخفى.

ضَاقَتْ فَسِيْحَاتُ الدِّيَارِ بِهِمْ وَتَوَسَّعَتْ لِأَئِمَّةِ الكُفْرِ

- تَرْكُ العطف، وَعَطْفُ الجملة الثانية على الأولى هو كما ذكرنا في البيت السابق تمامًا. والبيت خبر عما صار إليه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأتباعهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وعما صار إليه أعداؤهم وظالموهم.

ويستفاد منه مع ذلك فوائد بيانية:

- الشعور بتوجع الناظم وشكايته من ذلك المصير البائس حتى كأنك تحس من البيت نفثة صدره وتنفس صعدائه.

- استدعاء السامع وَجَرّه إلى التوجع لأولئك المظلومين، ونفرته من الظالمين، وذلك من حيث أن النفوس جبلت على ذلك.
- في البيت كنايتان: الأولى: (ضاقت فسيحات الديار بهم). والثانية: (وتوسعت لأئمة الكفر). هذا بالإضافة إلى ما على هاتين الكنايتين من جمال ثوب المطابقة البديعية الذي أورثهما جمالاً إلى جمال، وحسناً إلى حسن.
- (لأئمة الكفر) هذه الإضافة تفيد التعريف أصلاً. ومع هذه الفائدة فوائد أخرى عارضة، بها يرتفع الكلام إلى أعالي درجات البلاغة هي:
١- غاية الذم، حيث جعلهم أئمة الكفر ورؤوسه وسمَّاهم به.
٢- الإيجاز والاختصار.
٣- التعجب والتعجيب مما صاروا إليه من البسطة والنفوذ في الدنيا مع ما هم عليه من الكفر والضلال.

يَـا أُمَّــةً عَلِمَــتْ وَمَـا عَمِلَــتْ ... لِنَبِيِّهَــــا في أَهْلِــــهِ تَــــزْرِي

ذكر مولانا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في هذا البيت عنوانًا يستدعي كثير تفصيل، ولعلنا نذكر شيئًا من ذلك فيما يأتي -إن شاء الله تعالى-، غير أنا نذكر هنا على سبيل الإجمال ما يكون كالشرح لهذا البيت، فنقول وبالله التوفيق:

مما لا شك فيه بين الأمة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أوصى الأمة في أهل بيته خصوصًا وعمومًا، كما في حديث الكساء، و((فاطمة بضعة مني..))، وحديث المنزلة، وخبر الغدير، و((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة))، وحديث الثقلين، و((...أحبُّوا أهل بيتي لحبِّي))، إلى غير ذلك مما ورد في الصحيحين، وفي غيرهما،

ثم [في الحاشية: «ما». ظ. ينظر الأصل بقلم المؤلف] جاء القرآن، كآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، و...

وقد أراد الرسول الكريم ﷺ بهذه الوصايا وهذا البلاغ بيان أن أهل بيته ﷺ هم الذين سيقومون مقامه بعد موته، وأنهم يسدُّون الفراغ الذي ستجده الأمة بعد موته، وأنهم هم الذين يتحلون بصفات الكمال التي كان ﷺ يتحلى بها، وأنه يجب لهم على الأمة مثل ما كان يجب له ﷺ.

وكل هذا بلَّغه إليهم النبي ﷺ، وسمعوه منه، ووعوه، وصحَّ به الحديث عن النبي ﷺ ورواه أهل الصحاح.

غير أنها تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فلم تعمل الأمة بوصية نبيها ﷺ مع علمها بهذه الوصية، بل أعرضت عنه كل الإعراض، بل تجاوزت إلى ظلم أهل بيت النبي ﷺ، والأذية لهم والتصغير لشأنهم والازدراء بهم بعد ما سمعت ورأت وعلمت، وهذه كلها حقائق تاريخية ثابته مشهورة ومتواترة.

أَضْـــحَى كِتَـــابُ اللهِ مُطَّرَحــــًا وَنَسِـــيتُمُ الْـــمَقْرُونَ بِالـــذِّكْرِ

اشتمل هذا البيت على عنوانين هما:

١- إطراح الأمة لكتاب الله تعالى.

٢- ترك الأمة لعلي عليه السلام ولأهل بيته.

وَلْنُشِرْ هنا إلى نماذج مما اطرحت فيه أمة محمد ﷺ كتابَ الله تعالى:

١- فمن ذلك اطراحها لآية المواريث في يوم الأمة الأول، وذلك في حرمان فاطمة بنت محمد ﷺ من ميراث أبيها، وهي قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النحل١٦]، إلى آخر المجادلة والمحاجة بين فاطمة عليها السلام وأبي بكر.

وعلى حسب ما تحكي الرواية الصحيحة عند أهل البيت وغيرهم، فإن فاطمة عليها السلام قد ظهرت بحجتها على أبي بكر وانتصرت، غير أن الأمر كما قال الشاعر:

ومن يكن القاضي له من خصومه أَضَرَّ بـــه إقـــرارهُ وجحـــوده

٢- ومن ذلك آية الخُمُس، وهي قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال١ ٤].

فقد حُرِم ذووا قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما جعله الله تعالى لهم من الخُمس.

٣- ومن ذلك آية المودة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى٢٣]. والمراد بالقربى: قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين هم علي، فاطمة، الحسن، الحسين، عليهم السلام، صحت بذلك الرواية، كما في البخاري وغيره، فإن الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم اطَّرَحَتْ هذه الآية اطِّرَاحًا، ولم تكتف بإطراحها فيكون الأمر كفافًا، بل نصبت من نفسها حربًا على أهل بيت نبيها صلوات الله عليهم، لم تزل ألْسِنَة لهبها ساطعة عالية إلى اليوم.

هذا، ولنكتف بهذه الأمثلة الثلاثة؛ إذ ليس الغرض هنا إلَّا الإشارة الإجمالية، ولعلَّنا نذكر شيئًا من ذلك فيما يأتي عند ذكر ما يناسبه.

أما العنوان الثاني الذي اشتمل عليه البيت، فهو ترك الأمة لعلي عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام، فنقول: إن ترك الأمة له عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام يتمثل فيما يأتي:

إبعاده عليه السلام عن منصة الخلافة، وقد كان عليه السلام هو الجدير بها؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولسابقته في الإسلام، فهو عليه السلام أسبقهم إلى الإسلام على الإطلاق، ثم لجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه، وإلى آخر ما كان يتحلى به من الفضائل التي لم يسبقه إليها سابق ولا يلحقه فيها لاحق.

وهذا، بالإضافة إلى ما تقتضيه أعراف البشر من الأولين والآخرين من أن القريب أحق بتراث الميت من البعيد، وقد أشار الله تعالى إلى تقرير هذه السنة البشرية في قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب٦].

وعلى هذا مضت سنة الله تعالى في أمم الأنبياء السابقين، يتبين صحة ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران٣٣-٣٤]، وقد قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء٧٧].

فعلى هذا يجب أن يكون آل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم صفوة الله وخيرته، وذوي الملك والحكمة كما كان آل إبراهيم وآل عمران.

هذا، ولم يكتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما دلت عليه سنة الله في الأولين، بل عَزَّزَ هذه الأدلة بما لا يدخل تحت الحصر من البيان في أهل بيته. ومن أراد المزيد فعليه بكتاب «لوامع الأنوار»، لمولانا الحُجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رضي الله عنه، ففيه ما يشفي ويغني.

والمراد بالمقرون بالذكر في البيت: هو علي عليه السلام، أطلق عليه ذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي...)) الحديث، وأهل البيت أيضًا على العموم يقال عليهم ذلك، وعلي عليه السلام كبيرهم ورأسهم وأولهم وسيدهم، وأطلق عليهم ذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المعلوم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)).

الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

كما ذكرنا سابقًا فإن الأمة تخلت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن العمل بما عهد إليها نبيُّها صلى الله عليه وآله وسلم في حق علي وفاطمة وأولادهما، والمراد بذلك هو الجمهور والغالب،

لا كل أفراد الأمة على سبيل الاستغراق، فإنه قد بقي على عهد النبي ﷺ جماعة قليلة؛ غير أن الظروف السياسية في ذلك العهد الأول لم تسمح لهم بالتعبير والإعلان عما يذهبون إليه من الرأي في أهل البيت عليهم السلام.

موقفٌ خالدٌ لجابر بن ... ٣ هـ :

وبلى، فقد أعلن بعضهم في ساعات الغفلة عن أعين السياسة شيئًا من السر المكتوم، نفثت بها صدورهم. من ذلك: ما رواه السيد أبو طالب الهاروني عليه السلام في أماليه بسنده عن عطية العوفي، قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر عن [في الحاشية: من. ظ] شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار، ثم ارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها (طيب) فنثره على بدنه، ثم لم يخطُ خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى دنى من القبر، قال: يا عطية، أَلْـمِسْنِيْه، فألمسته، فخَرَّ على القبر مغشيًّا عليه، فرششت عليه شيئًا من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين، يا حسين، يا حسين -ثلاثاً-، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنَّى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أشباحك، وفرق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيِّد النُقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، وما بالك ألَّا تكون هكذا وقد غذتك كَفُّ محمدٍ سيد المرسلين، وربيت في حجور المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حيًّا وطبت ميتًا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على ما مضى يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، فقال: السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي حلَّت بفناء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وأديتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.

والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتهم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر بن عبدالله: وكيف! ولم تهبط واديًا، ولم تَعلُ جبلًا، ولم تضرب بسيف، والقوم فُرِّقَتْ بين رؤوسهم وأبدانهم، فأيتمت الأولاد وأرملت الأزواج؟

فقال: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: ((من أحبَّ قومًا حُشِر معهم، ومن أحبَّ عمل قوم أشرك في عملهم))، أُحْدُرنِي نحو بيوت كوفان.

قال: فلما صرنا في بعض الطريق قال لي: يا عطية، هل أوصيك، وما أظنني بعد هذه السفرة أُلاقيك؟ أحْبِبْ محبَّ آل محمدٍ ﷺ ما أحبهم، وأبْغِضْ مبغضَ آل محمدٍ ﷺ وإن كان صوامًا قوامًا. انتهى الحديث.

وجابرُ بن عبد الله الأنصاري هو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ المشهورين بالفضل والعلم والإيمان.

موقفٌ خالدٌ لأبي ذر (ت ٣٢ هـ)

ومن هذه الجماعة القليلة الصحابي الكبير أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان شجاعًا جريئًا في إعلان الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وقد أُثِرَ عنه الكثير من الحديث في بيان فضل أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، من ذلك ما رواه الإمام أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في أماليه بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول -وهو آخذ بباب الكعبة-: أيُّها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا..))، وله أحاديث كثيرة في بيان فضل أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقد لحقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب ذلك وبسبب إنكاره على الظالمين ألوان من البلاء ذِكْرُها مشهور.

موقف خالد لسلمان (ت ٥ هـ):

ومن تلك الجماعات سلمان الفارسي رضي الله عنه، كان يقول: «أنزلوا آل محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعين». وله في هذا الباب آثار جمة رضوان الله عليه.

موقف خالد لعبدالله ب (ت ٣ هـ):

ومنهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، كان يقول: «إن لهذه الأُمة فُرْقَةً وجماعةً، فجامعوها إذا اجتمعت، فإذا افترقت فارقبوا أهل بيت نبيكم، فإن سالموا فسالموا، وإن حاربوا فحاربوا، فإنهم مع الحق والحق معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه».

موقف خالد لـعمار (ت ٧ هـ):

ومنهم عمار بن ياسر رضوان الله عليه، روي عنه الكثير من الحديث في فضل أهل البيت عليهم السلام، وكان شديد التعلق بعلي عليه السلام وأهل بيته، خالص الود، قُتل -رحمه الله- يوم صفين قتلته الفئة الباغية، فقال علي عليه السلام عندما وقف عليه مجدلا: (إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرأً لم تدخل عليه مصيبه من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء).

ثم قال: (رحم الله عمارًا يوم قتل، ويوم يبُعث، ويوم يُسأل، فو الله لقد رأيت عمارًا وما يذكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة إلا كان رابعهم، ولا أربعة إلا كان خامسهم، إن عمارًا وجبت له الجنة في غير موطن، فهنيئًا له الجنة، ولقد قُتل مع الحق والحق معه، فقاتل عمارًا وسالب عمارًا وشاتم عمارًا في النار). وصلى عليه علي عليه السلام ودفنه. انتهى من الحدائق الوردية.

وهناك بقية من هذه الجماعة أسكتهم الخوف، لكنهم تثبتوا [لعلها: ثبتوا] على دين الله، فلم يغيروا ولم يبدلوا رحمة الله ورضوانه عليهم.

وهناك جماعة أخرى شملتهم الفتنة بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فدخلوا فيها مع الداخلين، ثم تداركتهم رحمة الله في آخر الأمر فأحسنوا والله يحب المحسنين، وإلى هذه الجماعة قصد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله -كما في نهج البلاغة: (لَيَسْبِقَنَّ قَومٌ كَانُواْ قَصَرُواْ، وَلَيَقْصُرَنَّ قَومٌ كَانُواْ سَبَقُواْ...)، والأعمال مرهونة بخواتمها.

وهذه الجماعة أكثر من الجماعة السابقة، وجُلُّهم من أهل بدر وأهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأرضاهم، وقُتِل كثير منهم في الحروب مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم تلى هاتين الجماعتين جماعةٌ قليلة من التابعين أقاموا على سَنَنِ الطريق فلم يُغيِّروا، ولم يبدلوا، تعرضوا للمحنة والبلاء في حُبِّ أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته، حصدتهم سيوف بني أمية على يد زياد وابنه والحجاج عليهم لعائن الله وغضبه.

وهذه الجماعات القليلة التي تمسكت بولاء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يسميهم أهل السنة والجماعة: روافض وشيعة وغُلاة، و...إلخ، منذ زمن معاوية إلى اليوم.

وقد لحقهم بسبب ذلك من آل أمية ما لا يوصف من ألوان العذاب؛ غير أنَّ الموعد القيامة، والشهود الجوارح، والحاكم عالم الغيب والشهادة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء٢٢٧].

وغرضنا في هذا هو التنبيه على أن الدخول في الفتنة بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن شاملًا لجميع أفراد الأمة، بل إنَّ هناك بقية منهم وَفَتْ بعهودها ومواثيقها، واستقامت وثبتت ثبوت الجبال الرواسي، وباعت في سبيل ذلك الحياة الدنيا بالآخرة، كحجر بن عدي وأصحابه، وستأتي قصتهم -إن شاء الله- عند ذكر معاوية.

أقسام الصحابة:

فإن قال قائل: إن من المستبعد غاية الاستبعاد أن يَضِلَّ أكثرُ الأمة بعد نبيها مباشرة مع قرب العهد بالنبي ﷺ، ومعرفتهم بهديه وسنته حتى لا يبقى منهم على الهدى والاستقامة إلا أفراد معدودون بالأصابع.

قلنا: كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام، هي: العلماء، والعوام، والمنافقون.

وقد كان العلماء منهم جماعة قليلة بالنسبة إلى جماعة الصحابة، والجمُّ الغفير من الصحابة والجمهور كانوا خليطا من العوام والمنافقين.

فلما مات النبي ﷺ وأخذ أبو بكر الخلافة تبعه العوام من غير نظر ولا تفكير كما هو شأن العوام الذين جاء في وصفهم عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح).

وكما قلنا فإن هذا النوع هو غالب الصحابة.

وقد كان أهل مكة الذين أسلموا يوم الفتح حديثي عهد بالإسلام، فلم يكونوا علماء ولا ثابتين في الإسلام، بل كانوا إما منافقين قهرهم الإسلام بسيفه فأسلموا كرهًا، وإما مسلمين غير ثابتين لجهلهم بالإسلام وعامِّيَّتِهِمْ، مع ذلك فقد كانوا موتورين وَتَرَهُم الإسلام ونبي الإسلام ﷺ. لذلك مالوا عن أهل البيت عليهم السلام أشد الميل، وكرهوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وصادفوا في ولاية أبي بكر بسبب ذلك الهوى والرغبة.

إذًا فليس من الغريب ولا من المستبعد أن تفتتن الأمة بعد موت النبي ﷺ وتترك الوفاء بعهد الله وميثاقه إلا القليل، بل من البعيد والغريب أن يحصل خلاف ما حصل؛ فإن طبيعة البشر على العموم هو الميل مع الدنيا ومع الملوك، وعلى هذه العادة البشرية كان ما كان من جماعة المسلمين بعد موت النبي ﷺ، فإنهم مالوا مع أبي بكر ثم مع عمر ثم مع عثمان ثم مع معاوية، فيزيد و...إلخ، وتركوا أهل

بيت نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأعرضوا عنهم تمامًا، ثم دانوا بدين سلطانهم وأعرضوا عن دين ربهم، كل ذلك من أجل الميل مع الدنيا والملوك.

ومن هنا قال تعالى وهو يتحدث عن مثل ما ذكرنا: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة٦٦]، ﴿مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف١٠٢]، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف١٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

الخوض فيما جرى من الصحابة وفيما شجر بينهم

قد يقول القائل: إن الأقرب إلى الصواب هو ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة من وجوب ترك الخوض فيما جرى من الصحابة وفيما شجر بينهم:

- أوَّلًا: لأن ذلك هو الأسلم والأحوط.
- ثانيًا: لما جاء من الثناء في الكتاب والسنة عليهم.
- ثالثًا: وللمحافظة على حُرمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أصحابه.

فنقول: الأولى بالصواب هو الرجوع عند الاختلاف في مثل ذلك إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله المُجمع عليها بين الفريقين، ثم العمل على حسب مقتضاه.

وعند الرجوع إلى الكتاب نجده يقول في أصحاب أُحُدٍ الذين كان من ضمنهم أهل بدر: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران١٥٢].

ونجده سبحانه يستنكر عليهم -أيضًا- التراجع عن دينهم والانقلاب على أعقابهم حينما ظنوا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد قُتل، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٤].

ثم قال سبحانه وتعالى ناعيًا عليهم وَهْنَهم وضعفَهم عن الجهاد وجزعهم مما أصابهم في سبيل الله واستكانتهم وقلة ثباتهم وصبرهم، وأنهم لم يكونوا مثل

أصحاب كثير من الأنبياء عليهم السلام في ذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران١٤٦].

جاءت هذه الآيات في أصحاب أُحُد وفيهم أهل بدر، ولهذا الضعف والخَوَر استنكر الله عليهم ووبخهم في آية أخرى، فقال جَلَّ شَأنهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ الآية [التوبة٣٨-٣٩]، إلى غير ذلك من الآيات المتكاثرة في هذا المجال وهذا المعنى.

وجاء من السنة كما في الصحيحين بطرق كثيرة الحديث المشهور قال في آخره: ((فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي؟! فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم الْقَهْقَرَى، فأقول: سُحقًا، سحقًا)).

وفي بعض طُرق الصحيحين: ((فلا أراه ينجو منهم إلا مثل همل النعم)).

وبعدُ، فإنه لا شك في وجود المنافقين وكثرتهم بين مسلمي الصحابة، يتبين لنا ذلك من قوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ الآية [التوبة١٠١].

وغير خافٍ أن هؤلاء المنافقين الذين تَحَدَّثَتْ عنهم هذه الآية غير المنافقين المعروفين الذين كان يتَزَعَّمُهم عبد الله بن أبي بن سلول، وقد كان أتباع ابن سلول كثرة غالبة، يظهر ذلك فيما ذكر من رجوعه بأكثر الجيش الذين خرجوا من المدينة يوم أحد، فلم يشهدوا مع الرسول ﷺ الواقعة يومئذ، وهؤلاء معروفون يعلمهم الرسول ﷺ وأصحابه.

وهذه الآية التي ذكرنا تحدثت عن منافقين آخرين لا يعلمهم الرسول ﷺ مع زكاء فطنته ﷺ فإنه ﷺ أزكى البشر فطنة وعقلًا.

فلِمَا سبق نقول: لا داعي إلى الاستنكار على الزيدية في خوضهم فيما شجر بين الصحابة، وفيما جرى منهم مع ما ذكرنا من الآيات السابقة التي تحدث عما جرى منهم.

وبذلك الذي تقدم من الآيات يتبين للناظر أن المُراد من الآيات التي وردت في الثناء على الصحابة هو للثابت منهم على الهدى والاستقامة، دون من تخلى عن ذلك واقترف المآثم، أو كان من أهل النفاق، فإنه لا حَظَّ له في رضوان الله و رحمته.

ولا تكون الزيدية بذلك قد تجاوزت حدود القرآن، ولا دليل لأهل السنة والجماعة على تزكية كل فرد من أفراد الصحابة على الإطلاق، أو على بلوغه حدَّ العصمة، أو على أن الصحبة قداسة لا يُسأل معها الصحابي عما يفعل، أو على أنها حصانة تُخَوِّلُ صاحبها أن يعمل ما شاء من غير حساب ولا عقاب، بل قامت دلائل الكتاب والسنة على خلاف ذلك كله.

وقد خاطب الله تعالى أهل بدر وأحد وبيعة الرضوان وسائر الصحابة فيما نزل عليهم من القرآن، فقال لهم جل شأنه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء١٢٣]، فحسم بذلك سبحانه وتعالى طمع الطامعين، وقطع أماني المتمنين.

وعلى ما ذكرنا يتبين أن مذهب السكوت هو الأولى بالاستنكار؛ لمخالفته وشذوذه عن أحكام القرآن ومع شذوذ هذا المذهب ومخالفته للقرآن، فإن أهله يتشددون في التمسك به حتى جعلوه من أركان الإسلام ولوازم الإيمان، فقالوا كما ذكره ابن كثير في تفسيره: «إذا رأيت الرجل يتكلم فيما جرى من الصحابة من سوءٍ فاعلم أنه زنديق !!»، أو كما قال.

وأكبر من ذلك وأدهى أن يتكلم الرجل في الخلفاء الثلاثة وما جرى منهم من أخذ الولاية على أهلها، أو أخذهم مال فاطمة عليها السلام، أو أن يذكر معاوية، أو مروان،

أو الوليد بن عُقبة، أو مَن شاكلهم، وفاعل ذلك عندهم زنديق شيعي رافضي، ماله وعرضه ودمه حلال، ولا تُقبل شهادته ولا روايته، ولا...إلخ.

وتجدهم مع هذا التشدد يتساهلون غاية التساهل في من يشتم ويلعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أو الحسن أو الحسين، وإن كانوا صحابة وقرابة، فلا يرفعون لشتمهم رأسًا. ومن هنا فإنا نجد صحيح البخاري مليئًا بروايات الرجال الذين كانوا يلعنون عليًّا، ويتحاملون عليه وعلى أهل بيته غاية التحامل، كحريز بن عثمان، وعبيد الله بن زياد، وعمران بن حطان، ومَن على شاكلتهم، فيجعلون حديثهم أصح الحديث بعد كتاب الله تعالى.

ونظير هذا الإفراط والتفريط والتناقض قولهم في الذين خرجوا عن طاعة عثمان وحاربوه: إنهم ملعونون،...إلخ، وقولهم في الذين خرجوا عن طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام وحاربوه: إنهم مؤمنون، مجتهدون، مأجورون.

نماذج أخبار عن رجال من هذه الأمة

أبو بردة بن أبي موسى الأشعري:

روى ابن أبي الحديد قال: قال أبو بردة لزياد بن أبيه: أَشْهَدُ أن حجر بن عدي قد كفر بالله كفرة أصلع.

فشهد أبو بردة بنسبة الكفر إلى أمير المؤمنين وإلى حجر بن عدي.

وقال ابن أبي الحديد: وقد روى عبد الرحمن المسعودي عن ابن عيَّاش المنتوف، قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية الجهني -قاتل عمار بن ياسر-: أأنت قتلت عمار بن ياسر؟

قال: نعم.

قال: ناولني يدك.

فَقَبَّلَها وقال: لا تمسك النار أبدًا!!

وری ابن أبي الحديد أيضًا عن أبي نعيم عن هشام بن المغيرة، عن الغضبان، قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية –قاتل عمار بن ياسر-: مرحبًا بأخي هاهنا، فأجلسه إلى جانبه.

قيس بن ـ ازم:

[صواب الاسم: قيس بن أبي حازم] ذكر عنه ابن أبي الحديد أنه قال: سمعت عليًّا يخطب على المنبر ويقول: (انفروا إلى بقية الأحزاب)، فدخل بغضه في قلبي.

وقيس بن حازم [أبي حازم] هذا هو الذي روى حديث: «سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر».

وقد جاء في الحديث الصحيح كما رواه مسلم وغيره: ((لا يُحبُّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)).

ابن شهاب الزهري:

قال ابن أبي الحديد: كان الزهري من المنحرفين عن علي عليه السلام.

وروى جرير بن عبد الحميد [في الشرح: عن محمد] بن شيبة، قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليًّا عليه السلام، فنالا منه، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فجاء حتى وقف عليهما فقال:...إلخ.

مكحول:

قال ابن أبي الحديد: روى زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر، قال: لقيت مكحولًا فإذا هو مطبوع –يعني مملوءًا بغضًا لعلي عليه السلام.

حماد بن زيد :

قال ابن أبي الحديد: روى عنه المحدثون أنه قال: أرى أن أصحاب علي أشد حُبًّا له من أصحاب العجل لعجلهم.

المُغيرة بن شُعبة:

هو الذي أمر حجر بن عدي -رضي الله عنه- أن يقوم في الناس فيلعن عليًّا صلى الله عليه وآله وسلم فأبى ذلك، فتوعده، فقام حجر فقال: أيها الناس، إن أميركم أمرني أن ألعن عليًّا فالعنوه.

فقال أهل الكوفة: لعنه الله.

أبو هريرة:

ذكر ابن أبي الحديد عن الأعمش، قال: لَـمَّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة إلى مسجد الكُوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثى على ركبتيه، ثم ضرب على صلعته مرارًا، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن لكل نبي حرمًا وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))، وأشهد أن عليًّا قد أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وَوَلَّاهُ إمارة المدينة.

حريز بن عثمان:

قال ابن أبي الحديد: كان حريز بن عثمان يبغض عليًّا عليه السلام وينتقصه، ويروي فيه أخبارًا مكذوبة.

وذكر أيضًا عن محمَّد بن عاصم صاحب الخانات قال: قال لنا حريز بن عثمان: أنتم -يا أهل العراق- تحُبون عليًّا ونحن نبغضه.

قالوا: لِـمَ؟

قال: لأنه قتل أجدادي.

وذكر غيره أن حريزًا هذا كان يلعن عليًّا عليه السلام كل صباح كذا كذا مرة.

سَمُرَة بن جُندُب:

كان سمرة بن جندب أيام مسير الحسين عليه السلام إلى الكُوفة على شرطة عبيد الله بن زياد، وكان يُحرِّض الناس على الخروج إلى الحسين عليه السلام وقتاله.

وقال ابن أبي الحديد: إن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة٢٠٤-٢٠٦].

وأن الآية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة٢٠٧]، فلم يقبل سمرة، فبذل معاوية مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم فقبل وروى ذلك.

وذكر أيضًا عن الأعمش عن أبي صالح قال: قيل لنا: قدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب، وإذا عند إحدى رجليه خمر، وعند الأخرى ثلج، فقلنا: ما هذا؟

قالوا: إنه النقرس.

وإذا قوم قد أتوه، فقالوا: يا سمرة، ما تقول لربك غدًا، تؤتى بالرجل فيقال لك: هو من الخوارج، فتأمر بقتله، ثم تؤتى بآخر فيقال لك: ليس الذي قتلته بخارجي، ذلك فتى وجدناه ماضيًا في حاجته فشبه علينا، وإنما الخارجي هذا، فتأمر بقتل الثاني؟

فقال سمرة: وأيُّ بأسٍ في ذلك؟ إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة، وإن كان من أهل النار مضى إلى النار. انتهى.

فهذه نماذج أخبار رويت عن كبار رجال من أوائل هذه الأمة، وهي على الجملة مشهورة ومتواترة عنهم، وقد ذكر ذلك ابن حجر في مقدمة فتح الباري شرح

صحيح البخاري، وذكرها محمد بن عقيل -رحمه الله- في «العَتْب الجميل على رجال الجرح والتعديل»؛ أتينا بذلك لنبين أن هناك مذاهب ناتجة عن سلاطين بني أمية

اعتماد بعض رواة الحديث على مبغضي الإمام علي عليه السلام

وإذا أردت أن تعرف صحة ما ذكرنا فما عليك إلا أن تقرأ مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، فإنك ستجد ابن حجر في أول المقدمة يضع شبهة واستفسارًا وسؤالًا حول رجال الصحيح الذي يعتبر عندهم أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، فيقول:

«فإن قلت: ما بال أهل السنة يعتمدون في رواية حديثهم على الرجال الذين كانوا يبغضون عليًّا وأهل بيته، ويلعنونهم ويتحاملون عليهم أشد التحامل، ثم يتركون رواية محبي علي عليه السلام وأهل بيته، مع ما جاء في الرواية الصحيحة كما في مسلم: ((لا يُحبُّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))؟

هذا معنى شبهة ابن حجر التي وضعها في كتابه فتح الباري، ثم حاول أن يجيب على هذه الشبهة وهذا الاستفسار فجاء بما لا يفيد، وأنى له بالجواب وقد نطق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك بفصل الخطاب، وهو لا ينطق عن الهوى، والله يحكم لا مُعَقِّب لحكمه، ولم يبقَ بعد حكم الله ورسوله إلا الكُفر أو الإيمان.

غير أن بعض المحدثين لم يلتفتوا إلى حكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يرفعوا له رأسًا، فحكموا لروايات المنافقين وأخبارهم بغاية الصحة واعتمدوها، وحكموا على روايات المؤمنين بالرَّد والرفض لها تمامًا وبالبطلان رأسًا، مع علمهم المستحكم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم جرح مبغضي علي وسماهم منافقين، وحكم لمحبيه بالإيمان.

والسبب في ذلك هو ما ذكرنا من ارتباط بعض المذاهب بسياسة بني أمية.

وقد عرفت بما ذكرنا أن سنة النبي ﷺ هي تعديل محبي علي عليه السلام، وجرح مبغضيه، فتركوا هذا النَّصَّ النبوي الصحيح، وآثروا السنة الأُمَوية، فعَدَّلوا مبغضي علي عليه السلام وجرحوا محبيه.

وعلى هذه السنة الأموية وضع كثير من كتب الحديث.

ولمعرفة الزيدية لهذا المنهج الأموي الذي بُنيت عليه بعض كتب الحديث فإنهم لم يلتفتوا إليها، ولم يقيموا لها وزنًا، بل أعرضوا عنها غاية الإعراض.

يرون ذلك حتمًا لازمًا في دينهم، ودِينًا مفروضًا عليهم، وما فعلوا ذلك إلا عن بصيرة واستبصار بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ المُجمع عليها، فبهداية ذلك اهتدوا، وعلى أثر أنواره ساروا، ولم يدينوا الله في دينهم بالعصبية والتقليد.

ومن هنا فإنك لا تجد في كل ما يذهبون إليه في مذاهبهم إلا ما حجته قائمة من الكتاب والسنة المتفق على صحتها بين الطرفين.

وهذا بخلاف ما عليه بعض أهل المذاهب الأخرى، فإنهم قد بنوا مذاهبهم على التقليد الأعمى بغير عِلمٍ ولا هدى ولا كتاب منير، وتعصبوا على ذلك أشد ما يكون من التعصب، ورفضوا في سبيل ذلك أدلة الكتاب والسنن الواضحة.

ومن هنا فإنك تجد مذاهبهم خليطًا من الخُرافات والمتناقضات والسخافات، وما إلى ذلك مما تستنكره الفطرة ويقبحه العقل وتحكم ببطلانه البداهة والضرورة. وصدق الله العظيم: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج٤٦].

ولن يقبل تلك المذاهب إلا مَن كان مرتكس الفطرة، منكوس الفؤاد، أو مَن مسخ الله إنسانيته إلى الحيوانية المهينة، فجعله حمارًا في صورة إنسان، أو حيوانًا أرذل من الحمار.

وتدليلًا على ما قلنا، فإليك هذا المثال الذي تكتنفه أشنع القبائح من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، ومن خلفه وأمامه:

قالوا في توحيدهم: ما من طاعة ولا معصية من زنا ولواط، وكذب وزور، وكُفر وشرك، وباطل ولغو، وإثم وعدوان وظلم، وفسوق وعصيان، إلَّا والله -سبحانه وتعالىٰ- هو الذي خلقه وأراده وشاءه وقضاه وقدَّرَه. والله سبحانه وتعالىٰ هو الذي تولىٰ خلق ذلك وحده دون الإنسان ودون الشيطان.

فبذلك نزهوا الإنسان والشيطان وقَدَّسُوهما عن فعل شيءٍ من ذلك أو إرادته ومشيئته، وحملوا كل تلك الفواحش علىٰ خالقهم، ولطخوا جلاله وعظمته بقبحها وشناعتها، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ الآية [الإسراء٤٣-٤٤]. وبناءً علىٰ هذا المذهب الخبيث ينبغي أن يكون التقديس والتسبيح للشيطان والإنسان، دون المجيد الرحمان!!

وبناءً علىٰ قواعد اللغة العربية التي نزل بلسانها القرآن العظيم -لو كان الأمر كما يقولون- كان ينبغي علينا أن نسمي الله جَلَّ شَأْنُهُ وتعالىٰ سلطانه ونطلق عليه أسماء العصاة، كظالم وسارق وزان وكذَّاب، ونحو ذلك؛ لأنه فاعل ذلك وخالقه ومريده، لا الإنسان والشيطان، سبحان الله وتعالىٰ وتقدَّس عمَّا يفترون.

آلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يُتَابِعُهُمْ   يَتَجَرَّعُونَ مَرَارَةَ الْضُّرِّ
ضَاقَتْ فَسِيحَاتُ الدِّيَارِ بِهِمْ   وَتَوَسَّعَتْ لِأَئِمَّةِ الكُفْرِ

في هذين البيتين بيان الحالة التي كان عليها آل النبي ﷺ وأتباعهم في الفترة التي تعقبت موت النبي ﷺ وما بعدها إلىٰ اليوم، فنقول:

كان من الحق الواجب الذي تقضي به فِطَرُ العقول، وتستدعيه النعم التي أفاضها الرسول ﷺ علىٰ أمته أن تُجِلَّ قرابته ﷺ في المحل الأعلىٰ من التوقير والتبجيل، وخالص المودة والرحمة، وما يتبع ذلك من ولاية أوليائهم ومعاداة أعدائهم و...إلخ.

تخلف الأمة عن الالتحاق بركب أهل بيت نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

غير أن ما وقع من الأمة في حق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد كان خلاف ذلك الذي ذكرنا؛ فاستبدلوا المودة بالعداوة، والرحمة بالغلظة، والتوقير بالإهانة، ثم عَادَوا أولياءهم ووالوا أعداءهم، وضيقوا عليهم فسيحات الديار، ووسعوا على أعدائهم، فقربوا آل أمية ومكنوا لهم في الأرض، وسلطوهم على العباد والبلاد، ومهدوا لهم أمر الخلافة، وهذا في حال مباعدتهم لأهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنهم لم يجعلوا لهم أيَّ دور في تدبير شئون الخلافة الراشدة كما يقولون، بل أبعدوهم عنها كل الإبعاد، بالإضافة إلى حرمانهم مما جعل الله لهم من النصيب في الفيء، بل إنهم تجاوزوا ذلك إلى أخذ مال فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ الذي أنحله إياها أبوها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأخذوه من تحت يدها قهرًا وظلمًا، فحاججت وخاصمت وتظلمت، فلم تجد لذلك أُذْنًا صاغية، ثم ماتت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- كمدًا مما لحقها من الظلم، مهاجرة مغاضبة لمن ظلمها، وأوصت أن لا يشهد جنازتها فلان وفلان وأن لا يصليا عليها!

وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ قتلته الأمة ظلمًا في مسجده بعد معاناة شديدة وعداوات ظاهرة، وكذلك الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، عانى من عداوة الأمة ما هو ظاهر ومشهور، ثم مات شهيدًا بالسُّم.

ثم بعد ذلك ما وقع بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه في كربلاء. ثم ما نزل بأصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وشيعته من القتل والتشريد في ولاية معاوية وما بعدها، ومن قبلُ ما لحق أبا ذر وعمارًا وابن مسعود وغيرهم من الصالحين. فهذا حال أهل البيت الذين ضمهم الكساء، وقال في حقهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا)).

وهكذا كان حال أهل البيت -سلام الله عليهم- فيما بعد، وشرح شيء من ذلك يطول، والغرض هنا هو الإشارة لا التفصيل.

هذا، والذي يظهر أن التَّنكُّرَ لأهل بيت النبي ﷺ وإبعادهم عن ساحة الحكم قد كان أمرًا مُبيَّتًا ومُدَبَّرًا من قَبْلِ موت النبي ﷺ يظهر ذلك في تباطؤ الصحابة في تنفيذ جيش أسامة، حيث كان النبي ﷺ قد أمر في مرضه أسامة بن زيد بالمسير إلى حيث قتل أبوه، وجعله ﷺ أميرًا في هذا المسير، وأمر ﷺ كبارَ الصحابة بالمسير معه تحت إمارته وتحت رايته بما فيهم أبو بكر وعمر، فتباطأ الصحابة وتثاقلوا وتعللوا، تارة بالطعن في تأمير أسامة، وتارة بمرض النبي ﷺ حتى غضب النبيُّ ﷺ مما تعللوا به، وقال ﷺ: ((إن أسامة لخليق بالإمارة..)) الحديث. وكرر عليهم الأمر بتنفيذ جيش أسامة، فلم يلتفتوا إلى أمر النبي ﷺ ولم يستجيبوا له حتى قال ﷺ أخيرًا كما في بعض الروايات: ((أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة)) [في الحاشية: ينظر الأصل القلم كأن العبارة لم ناقصة] كما يظهر ما ذكرنا من الحيلولة بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب في مرضه ﷺ، وذلك حين أمرهم ﷺ بأن يعطوه قلمًا ودواةً ليكتب لهم كتابًا لا يضلون من بعده، فقال قائلهم كما في صحيح البخاري: «إن الشيخ يهجر».

هذا، وأئمة الكفر المذكورون في البيت هم: معاوية ويزيد ومَن تَعَقَّبَهُم من ملوك بني أمية وبني عباس، اللهم إلا عمر بن عبد العزيز. والدليل على كفرهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة٤٤].

وقد ذكر مولانا –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بحثًا حول هذا الموضوع في كتابه: «لوامع الأنوار»، ولا شك أن معاوية قد استلحق زيادًا وحكم بأنه ابن أبي سفيان من الزنا، وحكم بقتل مُحِبِّي علي عليه السلام، وحكم بلعن عليٍّ في الجمع والأعياد، ومضى على ذلك الملوك من بعده، ومن قبل ذلك حارب عليًّا عليه السلام وحكم بفسقه وبغيه، و...إلخ.

فإن قيل: قولكم هذا في معاوية وفي مَن بعده مخالف لما عليه جمهور علماء المسلمين؟

قلنا: الحق أحق أن يُتَّبَع، وقد رأينا أنَّ مِن الإنصاف أن نُنْزِلَ معاوية في المحل الذي نزل نفسه فيه، ونحكم عليه بما حكمت عليه الأدلة.

وهذا، في حين أن ما احتج به أولياء معاوية لا يعدو واحدًا من ثلاثة: إما أنه مُتأول مخطئ، أو أنه صحابي، أو أنه مسلم مقر بالشهادتين.

وذلك الاحتجاج عندنا احتجاج مدحوض؛ فالخطأ في الاجتهاد والتأول يأباه إجماع الصحابة مع علي عليه السلام على مقاتلته مع تسميته عندهم باغيًا، والصحبة ستار رقيق هتكته الجرائر والعظائم التي فعلها معاوية، والإقرار مشروط بالاستقامة، والمسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والإيمان: ما وقر في القلب وصدقه العمل،

الموقف العدل من الخلفاء الثلاثة:

فإن قيل: قد صرحتم -أو كِدْتُمْ- بما يمس كرامة الخلفاء الثلاثة مع ما لهم من حق الكرامة عند عامة المسلمين ووجوب المحافظة عليها؛ لما لهم من السوابق في الإسلام وحق الصحبة وما تلى ذلك من الجهاد والفتوح و...إلخ.

قلنا: نحن معاشر الزيدية قد بنينا ديننا على قواعد ومبادئ مُؤَيَّدَة بالحجج والبراهين القطعية:

- منها: أن الناس في ظل أحكام الله على سواء ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة٢٨٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت٤٦]. فكل عباد الله أمام هذه العدالة على سواء، ولكل منهم ما اكتسب من الثواب والعقاب.

وقد خاطب الله تعالى الصحابة خصوصًا وسائر الأمة عمومًا، فقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء١٢٣].

- ومنها: أن السنة إذا صحت إنما هي في المنزلة الثانية بعد القرآن، فمن هنا فإنا لا نلتفت إلى ما عارض القرآن من السنة، ومثل هذا الاحتجاج لا يحتاج إلى تدليل؛ فإن القرآن مقطوع بصحته ومأمون من التحريف والزيادة والنقصان بلا خلاف، وهذا بخلاف السنة فليس كذلك.

- وجوب متابعة الدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة.

- إتباع حكم العقل في التمييز بين العاصي والمطيع، والمحق والمبطل، والحَسَن والقبيح، والحقائق والخرافات.

لهذا، فإنَّا نحكم على فاعل المعصية بالعصيان، وعلى فاعل الظلم بأنه ظالم، و...إلخ، وسواء في ذلك جميع المكلفين من الصحابة وغيرهم، ولـم نَرَ للصحابة أيَّ حصانة أو حالة تستثنيهم أو تخرجهم من ظِلَالِ الحُكم بالثواب والعقاب، والطاعة والعصيان.

وبناًء على هذا فإنا لا نتحاشا من الحُكم على أحد من المكلفين بما يظهر من عمله، وسواء أكان ذلك من الصحابة أم من القرابة أم من غيرهما!

- وجوب البيان وتحريم الكتمان؛ لما قد ورد من الوعيد الشديد على كاتمي العلم الهدى.

- نرى أن الدعاية والترويج للصحابة عمومًا وخصوصًا، والتغطية على ما صدر منهم، وعلى ما شجر بينهم على حد ما يذكره بعض المذاهب الأخرى- نرى أن ذلك من التلبيس والتضليل للأمة، ومن الخيانة في الأمانة، وأنه من الغلو الممقوت الذي تجاوزوا فيه حدود الحق والحقائق.

فمن أجل هذه القواعد الثابتة والمبادئ الصحيحة ذكرنا ما ذكرنا، ولم نذكر فيما ذكرنا شتمًا ولا سبًّا؛ وإنما ذكرنا الحوادث التاريخية التي ثبتت صحتها، وسمينا فاعلها بما يستحقه من اسم الظلم والعدوان قضاءً مِنَّا بما قضت به الدلالات

الواضحات، وقيامًا منا بحق الأمانة في النقل، وبما ألزم الله تعالىٰ به من نصرة المظلوم علىٰ ظالمه.

وهذا، مع فَتْحِنا لباب التأويل إن أمكن وتَبَيَّنَ له وجهٌ صحيح، ولهذا فإنا نرىٰ علماءنا -رضي الله عنهم- يغمضون شيئًا من الإغماض في هذا الباب، أعني فيما يتعلق من الحُكم بأبي بكر وعمر وعثمان، أما معاوية فإنهم يبتون فيه الحُكم بتاً.

ولعل هذا قد كان منهم إما لشيء من التأويل في حق الثلاثة، أو للسلامة من أَلْسِنَةِ الجهال.

فبناءً علىٰ ما ذكرنا نقول: إن كرامة الثلاثة معلولة ومقامهم مهزوز، بما أتوا إلىٰ فاطمة عليها السلام من أخذ نحلتها وتراثها، وبما جَنَوْهُ علىٰ الإسلام عمومًا؛ وذلك باغتصاب الخلافة علىٰ أهلها، ثم بما أضافوه إلىٰ ذلك من التمهيد لولاية معاوية وبني أُمية، ثم التصغير لعلي عليه السلام والتهوين من فضله، إلىٰ غير ذلك.

وقد كان عليه السلام كثيرًا ما يُظْهِرُ الشكوىٰ في ذلك؛ فمن ذلك قوله عليه السلام: كما في «نهج البلاغة» من خطبته المعروفة بالشقشقية:

(أَمَا وَاللَّهِ، لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَىٰ، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَىٰ إِلَيَّ الطَّيْرُ)، إلىٰ أن قال فيها: (فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًىٰ، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا، أَرَىٰ تُرَاثِي نَهْبًا...) إلخ.

وفي النهج أيضًا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي...)إلخ.

وحين قال له قائل: إنك علىٰ هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص!

فقال له عليه السلام:بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ؛ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ).

وقوله عليه السلام: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا).

وقوله عليه السلام في كتابٍ كتبه إلى أخيه عقيل كما في النهج: (فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي).

وقال عليه السلام فيه أيضًا: (فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ). وهذا مع فتحنا لباب التأويل في حق الثلاثة وحملهم على أحسن المحامل المحتملة!

الآثار والنتائج التي نتجت عن اغتصاب الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام

الآثار والنتائج التي نتجت عن اغتصاب الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام قد كانت كثيرة، فمنها:

- العداوة لأهل البيت عليهم السلام، مع ما يتبع ذلك من تصغير قدرهم، وتحقير فضلهم، ثم قتلهم أخيرًا، ولعنهم على رؤوس المنابر وفي الجمع والأعياد.
- ولادة مذهب أهل السنة والجماعة، فقد تمخضت الخلافة الراشدة عن ولادة عدد من المذاهب.
- ضعف مذهب أهل البيت إلى غايةٍ من الضعف بعيدةٍ إلى حدٍّ خلتْ منه الساحة الإسلامية، فلم يبق له وجود اللَّهُمَّ إلا في غيابات صدور خائفة.
- تهوين أمر الخلافة والتقليل من شأنها حتى طمع فيها من ليس لها بأهل، وحتى تحولت إلى مُلك خالٍ من معنى الخلافة تمامًا، بل إلى حد أبعد من ذلك تمامًا، كما قال الشاعر:

ولــو جــاءوا برملــةَ أو بهنــدٍ   لبايعنـــا أمــــيرةَ مؤمنينـــا

- غرابة الحق، فقد أصبح الحق مستنكرًا والقائل به غريباً، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

- فمن ذلك تقديس الصحابة والغلوِّ فيهم، ولا سيما الخلفاء بما فيهم معاوية ومروان ومن يتصل بهم.
- ومن ذلك الإفراط في ذم القرابة، الذين هم أهل البيت عليهم السلام بما فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى اتهموا مُحبَّ علي عليه السلام وأهل بيته بأنواع التُّهم، وسموهم بشتى الأسماء القبيحة، فقالوا فيهم: روافض، وغلاة، وكذَّابون، وزنادقة، و...إلخ، مع ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في مسلم وغيره، من أن حُبَّ علي إيمان، وبغضه نفاق، وكما في البخاري: ((... وأحبوا أهل بيتي لحُبِّي))، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى٢٣].
- ومن ذلك التساهل في عصيان الله تعالى، والدعوة الضمنية إلى اقتراف الكبائر وارتكاب الجرائر؛ وذلك بما وضعوه في أصول العقيدة من أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الكبائر من أُمَّتِه، ومِنْ أن مَن قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنَّة وإن سرق وإن زنى...إلخ.
- ومن ذلك قولهم: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق معاصي العباد، ويريدها ويشاؤها، ويقدرها ويفعلها، دون العباد ودون الشيطان، فقد نزهوا بقولهم هذا أنفسهم وقدسوها وكذلك الشيطان، ثم حملوا خالقهم سبحانه وتعالى المسئولية عن فعلها.

وعلى الجملة فقد عمَّ البلاء معظم عقائد الإسلام إن لم نقل كلها وكثيراً من أحكامه الشرعية، وكذلك تأريخ الإسلام فقد عمَّه البلاءُ ودخله التشويه والتحريف.

تَجفُـــــونَ آلَ مُحَمَّـــــدٍ أكَـــــذَا عَهْـــدُ الإلَـــهِ بِآيَـــةِ الأجْـــرِ؟!

لما مات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ تظاهرت الأمة وثارت على أهل بيته بما يشبه الثورات والانقلابات في زماننا هذا، فألحقوا بهم شتى ألوان الجفاء، بما في ذلك سلب الأموال والحصار المادي وما يلحق ذلك من المتابعات والمراقبات التي ترتبت على تلك الثورة.

هذه هي المرحلة الأولى من مراحل الثورة، وتتمثل في الزمن الممتد من أول خلافة أبي بكر إلى آخر أيام خلافة عثمان، ولم يحدث في هذه المرحلة قتل أحد من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أما المرحلة الثانية من مراحل الثورة فتمتد من أوائل خلافة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم إلى...إلخ، وقد بلغ الجفاء في هذه المرحلة الثانية التي طالت واستطالت الغايةَ والنهاية من الجفاء، وذلك بالقتل والقتال وإيقاد نار الحرب.

وقد كان أول من استوقد نار الحرب في هذه المرحلة الطويلة بقية أهل الشورى طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وساعدهم على ذلك بعضُ أزواج الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ (عائشة)، وهؤلاء الثلاثة هم القُوَّاد لأوَّلِ حربٍ على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته، ثم ما زالت نيران الحرب مشتعلة بعد ذلك على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لم تطفأ نيرانها على طول التاريخ.

وقد كان هذا الجفاء المتطاول الذي أَبْدَتْهُ الأمةُ لأهل بيت نبيِّها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ غريباً وعجيباً؛ لهذا استفهم شيخنا الناظم -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- استفهام المتعجب والمستنكر، فقال: (أَكَذَا عَهْدُ الإِلَهِ بِآيَةِ الأَجْرِ).

وذلك أن المفروض والمتوقع من الأمة الإسلامية أن تتلقى آيات الله وما عهد الله فيها إليهم بالقبول والامتثال، مع الرضا بذلك والخضوع أمامها وغاية [في الحاشية: ينظر الأصل هل الواو موجودة؟] التواضع في الانقياد، لا أن تتلقى تلك الآيات وما عهد الله فيها من الأحكام والشرائع بالرفض لها والثورة والصياح في وجهها والإصرار والتفاني [أو لعلها: التنافس] على ذلك.

وهكذا كانت أمة محمد ﷺ -إلا القليل- في تلقيها لما عهد الله إليها في قُرباه ﷺ في آية المودة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ٢٣]، الذين هم: علي وفاطمة و وابناهما كما في صحيح البخاري وغيره، فاستبدلت الأمة ذلك العهد المأخوذ عليها بما ذكرنا سابقاً من الجفاء والأذىٰ، و...إلىٰ آخره.

شرح بياني:

تجفُــــونَ آلَ مُحَمَّــــدٍ أكَـــذَا   عَهْـــدُ الإلَـــهِ بِآيَـــةِ الأجْـــرِ؟!

الجملة الأولىٰ استفهامية؛ لهذا ترك حرف العطف، وحرف الاستفهام مقدر.

أسرار البلاغة في هذه الجملة هي:

- أن الاستفهام يفيد قُبح الفعل أولاً، ثم توبيخ الأمة وتجهيلها والاستنكار عليها.
- يستفاد من هذه الجملة أن الاستنكار واقع علىٰ فعل متجدد متلاحق الأحداث من غير توقف ولا انقطاع، وذلك من صيغة الفعل المضارع.
- إضافة آل محمد ﷺ تفيد التعظيم للمضاف كما ذكرنا سابقاً، فيتزايد الاستنكار، و...إلخ بوقوع الفعل علىٰ ذلك المضاف العظيم.
- ثم أردف ذلك الاستفهام وتلك الجملة باستفهام آخر وجملة أخرىٰ فقال: (أَكَذَا عَهْدُ الإِلَهِ بِآيَةِ الأَجْرِ)، من غير أن يأتي بحرف العطف؛ إعلاناً بأنه قد أنشأ واستأنف تقريعاً جديداً، وتوبيخاً آخر. فيستفاد من ذلك: أن كلا الجملتين كافٍ في حصول التوبيخ والتجهيل، ولو جيء بحرف العطف -الذي هو الواو- لاحتمل أن التوبيخ إنما حصل بمجموع الأمرين.

- قوله: (أَكَذَا عَهْدُ الإِلَهِ بِآيَةِ الأَجْرِ) الكاف هنا كناية مثلها في قولهم: «مثلك لا يبخل»، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ١١]، علىٰ أحد احتمالاتها. والفائدة من ذلك المبالغة في الاستنكار.
- وجيء باسم الإشارة القريب ليفيد تمييز المشار إليه، وتنزيله منزلة المحسوس، فكأنه لذلك حاصل لدىٰ المتكلم والسامع، وحاضر في مجلس الخطاب في صورة واضحة لا التباس فيها ولا خفاء، فيكون الاستنكار حينئذٍ قد وقع علىٰ شيءٍ ملموس حاضر معلوم. ومثل هذا يكون أدخل في الاستنكار وأشد في التقريع والتوبيخ.

قوله: (عَهْدُ الإِلَهِ) الإضافة تفيد تعظيم العهد، فيتعاظم التقريع والتوبيخ علىٰ حسب ذلك التعظيم.

وقدم الخبر في هذه الجملة، لأنه المقصود بالاستنكار لا المبتدأ.

واختار لفظ العهد علىٰ لفظ الأمر أو الحكم، لأنه أنسب في المبالغة والاستنكار كما لا يخفىٰ.

والباء في قوله: (بِآيَةِ الأَجْرِ) للظرفية المجازية. و(آيَةِ الأَجْرِ) هي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ٢٣]. وغير خافٍ أن تعيين محل العهد في هذا المقام أدخل في تمام المقصود الذي أراده الناظم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من حيث أنه أغلق بذلك علىٰ المخاطب الخروج عن دائرة الاستنكار والتقبيح والتقريع.

مقومات الإمامة ومؤهلاته :

سِرُّ الخِلَافَـــــةِ في قَرَابَتِـــــهِ   خَـــالَفْتُمُوهُ يَـــا ذَوِي الْغَـــدْرِ

(سر الخلافة) هي مقوماتها ومؤهلاتها التي لا يصلح للخلافة إلاَّ من استجمعها، وهي: القرابة القريبة التي بيَّنها الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حديث الكساء،

وطهَّرها الله تعالىٰ في آية التطهير، وأوجب مودتها في آية المودة، وما سوىٰ ذلك من مؤهلات الخلافة؛ بأن يكون معه منها ما يتمكن معه من القيام بالأعمال التي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقوم بها من تبليغ الشريعة، والحُكم بالحق والعدل، والجهاد وتدبير شؤون الخلافة، و...إلخ.

ولا يتمكن من ذلك إلَّا من رسخ في علم الكتاب والسنة وما يلحق ذلك أو يتبعه من سائر العلوم، مع وفارة العقل والذكاء، والحلم والورع، وبلوغ الغاية من التقوىٰ والتواضع والرَّحمة والرأفة بالمؤمنين، والشدَّة والغلظة علىٰ الظالمين، وإلىٰ آخر ما يذكر في علم الكلام.

وقد كان الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هيأ الأسباب لخلافة أهل بيته بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وطَمْأَنَ الأمةَ من الهلاك والضلال من بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن تعلقوا بأهل بيته واتبعوهم، وأنه لا يفوتهم من نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد موته إلا مجرد شخصه إن اهتدوا بهم، فنزلهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيهم بعد موته منزلة نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فبيَّن أن حربهم حربه، وسلمهم سلمه، وعداوتهم عداوته، ومحبَّتهم محبّته، وأن من تبعهم نجا ومن تخلف عنهم غرق وهوىٰ، وأن الحقَّ معهم وفيهم إلىٰ يوم القيامة...إلىٰ آخر ما طفحت به كتب السنة مما لا يدخل تحت الحصر.

وقد جاء شيخنا أيده الله في كتابه «لوامع الأنوار» بالكثير من ذلك، فليرجع إليه من أراد المعرفة الكاملة بما يتعلق بهذا الباب.

غير أن أُمَّته نكثت ما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحْكَمَ فَتْلَهُ، ونفشته في مهب الرياح من غير مبالاة بوثائق العهود المؤكدة، والأحكام المشددة، فخلفت نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد موته بالغدر بدلًا عن الوفاء.

فإن قيل: من هم ذوو الغدر؟

قلنا: ذوو الغدر هم الذين قالوا: سمعنا وأطعنا حين جاءهم الرسول ﷺ بأحكام الإسلام وشرائعه، ثم لما مات الرسول ﷺ لم يفوا بما التزموا به من الطاعة لما جاءهم به الرسول ﷺ.

وحُكْمُنا بالغدر هنا هو حكم حتمي، فرضه الواقع التاريخي على أولئك المذكورين.

فإن قيل: قولكم هذا على الصحابة وحكمكم عليهم بالغدر حكم تجاوزتم فيه الحدود؛ لأن الصحابة خير هذه الأمة وفيهم فضل عظيم؟

قلنا: للصحابة فضل ولهم حقوق؛ غير أنهم بالاتفاق لم ينالوا بها مقام القداسة، ولم يدخلوا بها في حصانة العصمة، بل لم يبلغوا إلى منازل أصحاب كثير من الأنبياء السابقين. ومن هنا فإنا نجد الله سبحانه وتعالى قد نعى عليهم الوهن والاستكانة والضعف وقلة الصبر مع نبيهم ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران١٤٦].

ونجده سبحانه وتعالى استنكر عليهم ضعف الإيمان عكس ما كان عليه أصحاب الرسل قبلهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران١٤٤]. وهناك أدلَّة كثيرة تبين مكانة الصحابة الحقيقية.

أما تلك المكانة التي يذكرها بعض أهل المذاهب فإنما هي دعاية مزيفة وترويج، اصطنعها معاوية ومَن بعده من خلفاء بني أُميَّةَ لأغراض ومصالح سياسية، ولذا فإنك تجد عندهم حبَّ علي بن أبي طالب جريمة مخلة بالإيمان، مع أنه صحابي، ومعاداته وسبُّه وشتمه من مصححات الإيمان وشرائطه، لذلك فإن العدول الذين رووا أحاديث البخاري ومسلم في الغالب ممن يشتم عليًا عليه السلام، أو يلعنه، أو يعاديه، أو...إلخ.

الدليل على أن الحق مع أهل البـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ :

والدليل على أن الحقَّ في جانب أهل البيت دون من خالفهم:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران٣٣-٣٤].

ولا شك أن نبيَّنا محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خير الأنبياء وأمته خير الأمم، فيجب أن يكون آله خير آل، وأنهم المصطفون على سائر الناس، وذلك قضاءٌ بما قضت به سنة الله في أنبيائه صلوات الله عليهم.

٢- يؤكد ذلك ويعززه ما ثبت عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما في البخاري وغيره من كتب الحديث من أنه أمر المسلمين بكيفية الصلاة عليه، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد...)) إلخ، وإجماع المسلمين على شرعية هذه الصلاة في الصلوات المفروضة والمسنونة.

٣-حديث الثقلين: وهو قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض)). وهذا الحديث متواتر مجمَع على صحته بين طوائف المسلمين، وهو في صحيح مسلم. وهناك أحاديث كثيرة لا تكاد تُحصى طفحت بها الصحاح والسنن والمسانيد من كتب أهل السنة.

٤- آية التطهير: وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الشورى٢٣]، تواترت الرواية عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنها نزلت في أهل الكساء. وممن روى ذلك مسلم في صحيحه.

٥- آية المودة: وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى٢٣]، تواترت الرواية بنزولها في مودة قُربى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذين هم: علي وفاطمة وابناهما. وممن روى ذلك البخاري في صحيحه.

وهناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة في هذا الباب ومن أراد المعرفة فعليه بكتاب «لوامع الأنوار» لشيخنا ومولانا مجد الدِّين بن محمّد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى.

فَلَنَـــا مَقَـــامٌ سَـــوْفَ نُدْرِكُـــهُ   حَيْـــثُ القَضَـــا عَـــنْ أَمْـــرِهِ يَجْـــرِيْ

مبحث حول الإمام المهدي عليه السلام:

استروح شيخنا الناظم هنا وتعزى إلى ذكر ما سبق به القضاء على لسان النبي الصادق صلى الله عليه وآله وسلم من قيام سلطان أهل البيت عليهم السلام بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، الذي سوف يبدد بسلطانه جحافل الظلام المتراكم، ويُطَهِّر الأرض من الأدناس والأرجاس.

وقد ذكر شيخنا الناظم في كتابه الكبير ((لوامع الأنوار)) موضوعاً مطوَّلاً حول أخبار الإمام المهدي عليه السلام نقتطع منه في هذا المقام شذراتٍ يتبين بها شرح هذا البيت، فنقول وبالله التوفيق:

قال -أيده الله تعالى- تحت عنوان أخبار المهدي عليه السلام:

الدليل الأول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة)) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه عن علي.

وأخرج أبو داوود أيضاً عن علي عليه السلام وقد نظر إلى الحسن ابنه وقال ((إن ابني هذا سَيِّد كما سمَّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيخرج الله من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً)).

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو لم يبقَ في الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي)).

وأخرج أبو داود والحاكم وابن ماجه والطبراني عن أم سلمه قالت: قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة)).

فدلت هذه الأخبار على أن اللاحقين يكونون من أهل البيت كالسابقين.

والأحاديث في المهدي وكونه من أهل البيت متواترة.

قلت: الأخبار النبوية والبشائر العلوية بإمام الأمة وختام الأئمة المهدي لدين الله محمد بن عبدالله بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أن تحصر، والأمر فيه كما قال شارح ((نهج البلاغة)) عند قول الوصي صلوات الله عليه قد لبس للحكمة جنتها ما نصه: وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه. انتهى.

وما زال أئمة آل محمد صلوات الله عليهم يبشرون به وينتظرون الفرج من الله تعالى بأيامه يوصي بذلك أولهم آخرهم، ويُبلِّغ سابقهم لاحقهم.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (أولنا محمد بن عبدالله، وأوسطنا محمد بن عبدالله، وآخرنا محمد بن عبدالله،، فالأول محمد بن عبدالله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأوسط محمد بن عبدالله النفس الزَّكية، والآخر محمد بن عبدالله المهدي) رواه الإمام المتوكل على الرحمن أحمد بن سليمان عليه السلام.

وبهذا وأمثاله من أوصافه العلوية يتبيَّن أنه ليس الإمام المهدي النفس الزكية عليه السلام وإن كانت البشارات وردت به فإنما هي كالبشارات الواردة في غيره كالإمام الأعظم زيد ابن علي عليه السلام، والإمام نجم آل الرسول وحفيده الهادي إلى الحق وغيرهم صلوات الله عليهم، وليس بالمهدي الذي وعد الله به الأمة وختم به الأئمة.

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (وإلينا مصير الأمة، وبمهدينا تنقطع الحجج خاتم الأئمة ومنقذ الأمة) رواه المسعودي في مروج الذهب عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام.

وروى الحافظ أبو علي الهمداني في حديث علي بن علي الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في الحالة التي قُبِضَ عليها فإذا فاطمة عند رأسه فبكت عند رأسه حتى ارتفع صوتها، فرفع ﷺ طرفه إليها، وقال: ((يا حبيبتي، أما علمت أن الله تعالى اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبياً برسالته، ثم اطلع عليها اطلاعة فاختار منها بَعْلك، وأوصى إليَّ أن أُنْكحك إيَّاه يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله خمس خصال لم يعطها أحداً قبلنا ولا يعطيها أحداً بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرمهم على الله عز وجل، وأحبُّ المخلوقين إليه، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله تعالى وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وأحبهم إلى الله تعالى وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبوك وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنة حيث يشاء مع الملائكة وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما.

والذي بعثني بالحقِّ إنَّ منا مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض فلا كبيرهم يرحم صغيرهم، ولا صغيرهم يوقر كبيرهم، فيبعث الله عز وجل عند ذلك من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً)). انتهى من شرح التحفة للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، وهو في ذخائر العقبى للمحب الطبري الشافعي، والأمير ناقل منها.

وروى نحوه ابن المغازلي عن أبي أيوب رضي الله عنه وفيه: ((إن الله اطلع أهل الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبيا، ثم اطلع الثانية فاختار منها بعلك، فأوحى إليَّ فأنكحته واتخذته وصياً.

أما علمت يا فاطمة: أن لكرامة الله إياك زَوَّجَك أعظمهم حلماً، وأقدمهم سلماً، وأعلمهم علماً)) إلى قوله: ((يا فاطمة، له ثمانية أضراس ثواقب: إيماناً بالله ورسوله، وحكمه، وتزويجه فاطمة، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وقضاؤه بكتاب الله عز وجل)) إلى قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر ابن عمك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة)) رواه في تفريج الكرب.

قلت: والاطلاع من الله تعالى مستعار لتوجه الحكم بالاختيار في تلك الحالة أو نحو ذلك من وجوه التأويل، إذ لا يمكن حمله على الظاهر بمقتضى الدليل.

وفي تخريج الشافي بعد أن ساق الرواية للخبر الأول من تحفة الأمير ما لفظه: وروى ما يقاربه ابن المغازلي عن أبي أيوب الأنصاري.

ورواه عيسى ابن حفص بطريقه إلى أبي أيوب إلى قوله: ((ومنا مهدي هذه الأمة)) ذكره في الكامل المنير.

ورواه محمد بن سليمان الكوفي بسنده إلى أبي أيوب. والاختلاف في الروايات يسير.

ورواه أبو القاسم محمد بن جعفر في كتابه ((إقرار الصحابة)) بسنده إلى عثمان. انتهى.

هذا، وروى في تفريج الكروب: ((أبشروا أبشروا إنما أمتي كالغيث لا يدرى آخره خير أم أوله، أو كحديقة أطعم منها فوج عاماً لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها عرضاً، وأعمقها عمقاً، وأحسنها حسناً، كيف تهلك أمة أنا أولها، والمهدي أوسطها، والمسيح آخرها، ولكن بين ذلك ثبج أعوج ليسوا مني ولا أنا منهم)).

أخرجه النسائي عن جعفر بن محمد عن آبائه مرفوعاً: ((أبشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلافٍ من الناس وزلزلة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظُلما وجوراً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحاً قال بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد غنىً، ويسعهم عدله)) إلى قوله: ((فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين ولا خير في الحياة بعده)) أخرجه أحمد والباوردي عن أبي سعيد.

قلت -والقائل شيخنا الناظم في لوامع الأنوار-: وما ورد من تقدير مدته بالست.... إلخ المراد فيه على حالة مخصوصة أشار إليها في الخبر لا جميع أيامه، وقد ورد ما يدل على ذلك كما في قوله ﷺ: ((المهدي من ولدي، وجهه كالقمر الدُّرِّي اللون لون عربي)) إلى قوله: ((يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويرضى بخلافته أهل السماء والأرض، والطير في الجو، يملك عشرين سنة)) أخرجه الديلمي في الفردوس عن حذيفة مرفوعاً.

قلت: وفي الجواهر: أخرجه الروياني وكذا الطبراني، وعند أبي نعيم والديلمي في مسنده، وعن حذيفة رفعه: ((يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تَقَدَّم فَصَلِّ بالنَّاس، فيقول عيسى عليه السلام: إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلي خلف رجل من ولدي))، أخرجه الطبراني. انتهى.

فهذا منطوق صريح بالزيادة وليس في الأول مفهوم عدد مع إمكان تأويله كما سبق، وهذا الحديث محتمل للزيادة والأمر واضح.

وروي: ((المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظُلماً وجَوراً)) أخرجه أبو داوود والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد. انتهى.

وعن علي عليه السلام: (المهدي منا يُختم الدين بنا كما فُتح بنا) أخرجه الطبراني ورفعه. رواه في السبل الأربعة عن السمهودي.

وفيه: قال: وعن نعيم بن حماد عن علي –كرم الله وجهه– قال: (المهدي بالمدينة من أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اسمه اسم نبي، ومهاجره بيت المقدس أكحل العينين، برَّاق الثنايا، في وجهه خال، وفي كتفه علامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويخرج براية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي ويمده الله ثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفه وأدبارهم، يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين) إلى قوله: قال: وفي حديث آخر عند الحاكم في صحيحه: ((يحل بأمتي في الزمان بلاءٌ شديد من سلطانهم)) إلى قوله: ((فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جَوراً وظُلماً، يُحِبُّه ساكن السماء وساكن الأرض...)) إلى آخره. انتهى.

قال الأمير الناصر حافظ العترة الحسين بن بدر الدين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في ينابيع النصيحة: وعن أنس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((نحن سادات أهل الجنة أنا وعلي وجعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب والحسن والحسين والمهدي)).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أول سبعة يدخلون الجنة أنا وحمزة، وجعفر، وعلي، والحسن، والحسين، والمهدي محمد بن عبدالله)). انتهى.

قلت: وروى خبر سادات أهل الجنة الأول الطبراني، وقال: أخرجه ابن السري، عن أنس، ورواه ابن المغازلي أيضاً بلفظ: ((نحن بنو عبدالمطلب...)) إلى: ((الحسن والحسين)) أفاده في تفريج الكروب، وروى الخبر الأول إلى قوله: ((والمهدي)) في الجواهر وقال: أخرجه السدي، والديلمي في مسنده. انتهى.

قال في السبل الأربعة: وحديث خروج المهدي وظهوره في كتب المحدثين من أهل الصحاح وغيرهم، وذكروا أنه يحثو المال حثواً ولا يعده عداً.

قال: ووجدت في بعض الكتب، ورواه عن الإمام الناصر الأطروش عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في بعض شعاب اليمن، أو كما قال، ولا بُعْد ولا مناقضة بين

الأحاديث، لأنه يمكن أنه قبل ظهوره يكون سائحاً متنقلاً في المدينة إلى بيت المقدس إلى مكة إلى اليمن، والله أعلم.

قال: فإذا عرفت هذا عرفت أن أهل البيت النبوي سلسلة منوط بعضها ببعض لا تنفك حلقة عن حلقة منها من زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى قيام المهدي إلى ورود الحوض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الله تعالى أن كتاب الله وعترة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يفرقان حتى يردا عَلَيْه الحوض.

قال: وهذا الحديث من المعجزات الغيبية التي مخبرها كما أخبر به الصادق الأمين، فإنهم كما سمعنا في الأخبار والسير وشاهدنا، وهم الحجج في كل زمان وحين.

قال: حتى لقد انقرض سلطان قريش بأجمعها إلا سلطان العترة النبوية فإنه ظاهر في كل زمان إلى يوم الدين إلى آخره.

قلت: ونختم الكلام في خاتم الأئمة بما قاله إمام اليمن الهادي إلى أقوم سنن، يحيى بن الحسين بن القاسم صلوات الله عَلَيْهِمُ في الأحكام، وهو ما نصه:

وبلى وعسى فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً عسى الله يرتاح لدينه، ويعز أولياءه، ويذل أعداءه فإنه يقول عز وجل ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[المائدة/ ٥٢].

وفي ذلك يقول رسول رب العالمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((اشتدي أزمة تنفرجي)).

وفي ذلك ما يقول جدِّي القاسم بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عسى الجنوب العاريات ستكتسى ... وبالمستذل المستضام سينصر

عسى مشرب يصفوا فتروى ظمية ... أطال صداها المنهل المتكدر

إلى قوله:

عسى الله لا تيأس من الله إنه يسير ... عَلَيْه ما يعز ويكبر

إلى قوله:

عسى فرج يأتي به الله عاجلاً بدولة مهدي يقوم فيظهر

وقال عليه السلام: المنتظر للحق والمحقين كالمجاهد في سبيل رب العالمين.

وفي ذلك ما بلغنا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((من حبس نفسه لداعينا أهل البيت، أو كان منتظراً لقائمنا كان كالمتشحط بين سيفه وترسه في سبيل الله بدمه)).

وقال بعد أن أطنب في صفات الإمام المهدي صلوات الله عليه:

كريم هاشمي فا طمي جامع القلب
رؤوف أحمدي لا يهاب الموت في الحرب
يرى أعداؤه منه حذار الموت في الكرب
شجاع يتلف الأروا ح في الهيجاء بالضرب
رحيم بأخي التقوى وفصل الحكم في الخطب
بعدل القائم المهدي غوث الشرق والغرب

انتهى ما أخذناه من كتاب (لوامع الأنوار) لمولانا وشيخنا أيده الله تعالى، وقد أخذنا جميع الموضوع.

[ذكر ما جرى بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]

وَإِلَيْكَ مِمَّا قَدْ مَضَى قَصَصاً عِبَراً لِذِي لُبٍّ وذي فِكْرِ
يوم السقيفة كان مَجْمَعُهُم من قبل وَضْعِ الطُّهر في القبر
وهنالك اشتدَّ النِّزاع وقد نصبُوا على عَجَلٍ أبا بكر
ولعهده قد بايعوا عُمَراً ثُمّ ابن عَفَّانٍ أبا عَمْرو
وأتوا عليّاً طائعين ومن بعد امتناعٍ قام بالأمر
والسِّبط من بعد الوصي وقد دسُّوا إليه السُّم في السّرِّ

وبـه انقضـى عهـد الخلافـة فالـ ـمُلك العَضُـوضُ أتـى عـلى الإِثْـرِ

أبو بكر – عمر – عثمان:

من هنا بدأ شيخنا الناظم رضي الله عنه في تفصيل المقصود بموضوع القصيدة. ولنبدأ في تفصيل الموضوع بما ذكره شيخنا رضي الله عنه في (لوامع الأنوار) من خبر وفاة النبي ﷺ فقد جاء بحديثٍ عن ابن عباس الذي رواه البخاري ومسلم وهو:

لَمَّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: ((هلموا إليَّ أكتب لكم كتاباً لا تَضِلُّوا بعده)).

قال عمر -وفي رواية قال بعضهم-: رسول الله ﷺ قد غلب عَلَيْه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله.

قلت -والقائل شيخنا رضي الله عنه- سبحان الله! ومَنْ جاءهم بكتاب الله، وأيُّ وثوق به إن لم يكن معصوماً فيما طريقه التبليغ على كل حال؟!!

كلا، ولكن فهم عمر مراد الرسول ﷺ من التأكيد في خلافة أخيه كما صرَّح به عمر في رواية ذكرها في شرح النهج وغيره.

رجعنا إلى تمام خبر الوفاة:

قال: واختلف أهل البيت فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر.

انظر كيف رجعت مسألة خلاف بين رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: وفي رواية: ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ: ((قوموا عنِّي)).

قال: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

وساق رواية أخرى قال فيها: ثم بكى – أي ابن عباس – حتى بل دمعه الحصى.

وأمْرُ هذه الواقعة معلوم، وإنما آثَرْتُ رواية الصحاح لتسليم الخصوم. انتهى من (لوامع الأنوار).

ومن هذه الرواية المعلوم صحتها يتبين لنا أن أمر الخلافة وانتزاعها عن أهل البيت قد كان مُدَبَّراً من قَبْلِ موت النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومبيَّتاً له.

كما يتبين ذلك في قصة جيش أسامة حيث تباطأ الصحابة عن تنفيذ البعث تحت إمرة أسامة وتثاقلوا وماطلوا والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحثهم على المسير... إلى آخر القصة.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: روى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما توفي كان أبو بكر في منزله بالسنح (بعوالي المدينة) فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدِّين كله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، ولا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلا ضربته بسيفي.

فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقال: بأبي وأمي طبت حياً وميتاً، والله لا يذيقك الله الموتتين أبداً.

ثم خرج والناسُ حول عمر وهو يقول لهم: إنه لم يمت، ويحلف.

فقال له: أيها الحالف، على رسلك.

ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، وقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤].

قال عمر: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سَقَطْتُ إلى الأرض وعلمت أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد مات. انتهى من شرح النهج.

قلت: عمر لا يجهل حقيقة موت النبي ﷺ ولكنه قد قصد بها تكلم به تسكين الناس وكسر أنفسهم عن حدث يحدثونه في أمر الخلافة، فلما حضر أبو بكر هدأ عمر واطمأن على أمر الخلافة.

وإليك خبر السقيفة من شرح النهج نقلاً عن تاريخ الطبري:٣/ ٢١٨، وما بعدها، هو: أن رسول الله ﷺ لما قُبِضَ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولُّوه الخلافة وكان مريضاً، فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرياسة والخلافة، فأجابوه ثم ترادُّوا الكلام فقالوا: فإن أبى المهاجرون وقالوا نحن أولياؤه وعترته؟

فقال قوم من الأنصار: نقول: منا أمير ومنكم أمير.

فقال سعد: فهذا أول الوهن.

وسمع عمر الخبر، فأتى منزل رسول الله ﷺ وفيه أبو بكر فأرسل إليه: أن اخرج إليَّ.

فقال: إني مشغول.

فأرسل إليه عمر: أن اخرج فقد حدث أمر لا بدّ أن تحضره.

فخرج فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عبيدة، فتكلَّم أبو بكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله ﷺ، وأنهم أولياؤه وعترته، ثم قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم، أنتم أهل العزَّة والمنعة، وأولوا العدد والكثرة، وذووا البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فتفسد عليكم أموركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات ! لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضىٰ العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم، من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته؟

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار، أملكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنفيكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلُوهم من هذه البلاد فأنتم أحق بالأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين، أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجَّب، أنا أبو شبل في عرِّيسَة الأسد، والله إن شئتم لنعيدنها جذعة.

فقال عمر: إذاً يقتلك الله.

قال: بل أياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصروا وآزروا فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر.

فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، ألا إن محمَّداً من قريش، وقومه أولىٰ به، وايم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيَّهما شئتم.

فقالا: والله لا نتولىٰ هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة – وهي أفضل الدِّين – ابسط يدك.

فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير، عقِقْتَ عِقاقِ أنَفِسْتَ علىٰ ابن عمك الأمارة؟!

فقال أُسيد بن حضير رئيس الأوس لأصحابه: والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبداً؛ فقاموا فبايعوا، فانكسر علىٰ سعد بن عبادة والخزرج ما اجتمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، ثم حُمل سعد بن عبادة إلىٰ داره، فبقي أياماً، وأرسل إليه أبو بكر ليبايع فقال: لا والله حتىٰ أرميكم بما

في كنانتي، وأُخضِّب سنان رمحي، وأضرب بسيفي ما أطاعني، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الإنس والجن ما بايعتكم حتى أُعرض على ربِّي.

فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع.

فقال بشير: إنه قد لج، وليس بمبايع لكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته، ولا يضركم تركه، إنما هو رجل واحد، فتركوه.

وجاءت أسلم فبايعت فقوي بهم جانب أبي بكر، وبايعه الناس. انتهى من شرح نهج البلاغة.

فهذا هو حديث السقيفة، وقد كان أول حدث للأمة أساءت فيه إلى آل الرسول ﷺ واعتدت فيه على حقهم من خلافة النبوة.

وقد كان ذلك الحدث بكامله ورسول الله ﷺ على فراش الموت لم يُقبر بعد، ولم يُقبر ﷺ إلا بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة ثم في المسجد النبوي.

وكما سمعت في حديث السقيفة فإن للأنصار دورهم الرئيسي في العدوان على حق آل محمد من الخلافة وفي خروجها عنهم، وليس ذلك خاصاً بالمهاجرين وإن كانوا هم الذين تولوا كبر ذلك، وانتصروا على الأنصار في أخذها.

ومن هنا فإنك تجد مصداق توجع شيخنا الناظم رضي الله عنه وشكايته من الأُمَّة عموماً.

وبعد موت الرسول ﷺ تمت البيعة لأبي بكر، كما سمعت في حديث السقيفة ثم أوصى بها أبو بكر عند موته إلى عمر، ثم لما طُعن عمر أوصى بها إلى سته وهم: علي عليه السلام، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

ولنستمع إلى أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية وهو يتحدث عن الحال خلال تلك الفترة وأحداثها من أول يوم أبي بكر إلى مقتل عثمان بما في ذلك حديث شورى عمر المزيفة، قال عليه السلام كما في نهج البلاغة:

(أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ.

ترجيح الصب]

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ـ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ!! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نثيله ومُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ.

مبايعة علي]

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ

نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص/ ٨٣] بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ. انتهى.

قوله [حتى مضوا] أي أبو بكر وعمر وعثمان].

وقد جرى خلال فترة سلطانهم حوادث مستنكرة نشير إلى شيءٍ منها على سبيل الإجمال:

١- إبعاد بني هاشم عن ساحة الخلافة تماماً فلا ترى لهم أي دور في قيادة، ولا إدارة، ولا أمارة أو ولاية.

٢- تقريب الطلقاء والمشبوهين في الإسلام، وتسليم القيادات والإدارات إليهم، وإعطائهم الأمارات والولايات، كيزيد بن أبي سفيان، ومعاوية، وأبيهما أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وأشباههم من الطلقاء الذين لم يتحققوا حقائق الإيمان، ولم يشموا رائحة الإسلام، مما تسبب في حصول آثار غير مرضية ولا سيما خلافة عثمان فإنها صفيت لبني أُمَيَّة وتوضح فيها الاحتكار، وأصبحت الخلافة بيد مروان وأبيه الحكم، ومعاوية وأبيه، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكلهم غير مرضيٍّ وليس فيهم رشيد.

فمروان وأبوه طريدا رسول ﷺ ولعيناه.

ومعاوية وأبوه أعداء الرسول، وأعداء الإسلام، ورأسا الشجرة الملعونة في القرآن.

وعبد الله بن سعد أحد أربعة أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم يوم الفتح وإن كانوا تحت أستار الكعبة.

والوليد بن عقبة هو الفاسق بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[الحجرات/ ٦].

٣- مضايقة أصحاب علي عليه السلام وملاحقتهم بالأذى ولا سيما في خلافة عثمان، وقد حظى أبو ذر رضي الله عنه بالنصيب الأوفر من ذلك، فإنه أُخرج أخيراً إلى الربذة وهي أرض مقفرة خالية عن الناس وحيداً مع زوجته بعد تعرضه لأنواع الإهانة والأذى على يد عثمان ومعاوية، من ذلك أنه أركب على مركب وعر بغير وطاء من الشام إلى المدينة بأمر عثمان، ثم ساروا به في ذلك السفر سيراً حثيثاً بأمر عثمان أيضاً، فما وصل إلى المدينة إلا وقد تسلخ لحم فخذيه، ثم أمر عثمان الناس بعدم مجالسته ومحادثته. وأدخل يوماً على عثمان فقال له عثمان في ذلك المجلس: أيها الشيخ الكذّاب، ورفسه برجله.

وكل هذا من أجل أنه رضي الله عنه كان ينهى الولاة عن الظلم، ويذكرهم ويعظهم.

فقد كان هذا ذنب أبي ذر رضي الله عنه، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[البروج/ ٨].

ثم يتلوه عمار بن ياسر رضي الله عنه، فإنه حظي من الأذى بنصيب، ونذكر شيئاً واحداً من ذلك هو: أنه ديس بالأقدام حتى كاد يموت، وفقد في ذلك الوعي وأغمي عليه ثلاثة أيام، وقد كان هذا في خلافة عثمان على يد غلمانه.

وليس ما نال ابن مسعود بأهون من ذلك فقد ديس بالأقدام حتى تفقأت فحلتاه على أيدي غِلمان عثمان وبمرأى ومسمع من عثمان.

وهناك جماعة من أهل الكوفة ممن يحبُّ عليّاً ويشايعه، أمر عثمان والي الكوفة أن يسيرهم إلى معاوية لتأديبهم، فسيرهم إلى معاوية، ثم أمر بتسييرهم بعد ذلك إلى

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد للمبالغة في تأديبهم، وقد كان على رأس هؤلاء الجماعة المسيرين الأشتر النخعي رضوان الله عليه.

هذا ولم يحصل في مدة الخلفاء الثلاثة أي قتل لأشياع علي ومحبيه، وإنما هو الأذى بالشتم والضرب والدوس بالأقدام، والتغريب والتسيير، والتهديد والاحتقار، وما يشبه ذلك.

فهذه نماذج مما نال محبي أهل البيت رضوان الله عَلَيْهِمُ خلال حكم الخلفاء الثلاثة، أتينا بها دليلاً على ما وراءها، وبها يعرف البصير الشخصية الحقيقية للخلافة الراشدة.

٤- خلال هذه الفترة استبدت قريش بالخلافة واحتكرت تدبير شؤونها، وأبعدت الأنصار عن ساحتها كل الإبعاد، ولم تنل الأنصار من الخلافة إلاَّ الحِرمان والأذى، والهجو بالأشعار، وأخيراً اغتيال سعد بن عبادة ثم قالوا: إن الجِنَّ قتلته، لأنه بال قائماً!! فقال الشاعر:

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وقال الدكتور إمام عبد الفتاح في كتابه (الطاغية): لقد وضع الأمويون منذ بداية حكمهم ثلاث نظريات تبرر استيلاءهم على السلطة:

الأولى: أن الخلافة حق من حقوقهم، وأنهم ورثوها عن عثمان بن عفان، لأنه نالها من الشورى، ثم قُتِل ظُلماً، فخرجت الخلافة منهم وانتقلت إلى غيرهم فقاتلوا حتى استردوها، ولقد عبر الشعراء عن هذه الفكرة فقال الفرزدق:

تراث عثمان كانوا الأولياء له سربال ملك عليهم غير مسلوب

ويقول الوليد:

كانت لعثمان لم يظلم خلافتها فانتهك الناس منه أعظم الحرم

وغير ذلك كثير مما قاله الأخطل لبشر بن مروان، وما قاله الفرزدق أيضاً.

الثانية: أنهم أشاعوا في أهل الشام بصفة خاصة أنهم استحقوا الخلافة لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((فقد كان الشيوخ من أهل الشام يُقْسِمون لأبي العباس السفاح أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُميَّة حتى وليتم الخلافة)) على ما يروي المسعودي.

الثالثة: ثم استقروا على النظرية التي حكموا على أساسها، ودعموا بها ملكهم الاستبدادي وهي أن الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإرادته ويتصرفون بمشيئته.

وأحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة، وأسبغوا على أنفسهم كثيراً من الألقاب الدينية، فقد كان معاوية في نظر أنصاره ((خليفة الله على الأرض)) و ((الأمين المأمون))، وكان ابنه يزيد ((إمام المسلمين))، وكان عبد الملك بن مروان ((أمين الله)) و ((إمام الإسلام)).

ولكي يؤكدوا هذه النظرية الأخيرة أشاعوا مذهب الجبر، فالسلطة يتم تحديدها من الله، وليس للناس فيها رأي ولا مشورة، والخليفة هو ((خليفة الله)) (ابتداء من عبدالملك بن مروان) وأن على الناس الاستسلام والطاعة.

وكان زياد بن أبي سفيان الذي عينه معاوية والياً على البصرة أول من بشر بهذا المذهب، يقول في خطبته المسماة ((البتراء)) التي أعلن فيها أن الله اختارهم للخلافة وأنهم يحكمون بقضائه ويعملون بإذنه: أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوَّل لنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما وُلِّينا.

ولقد تبارى الشعراء في دعم هذه النظرية الثالثة وشرحها، وأعني بها ((نظرية التفويض الإلهي)) لبني أمية لكي يمارسوا الحكم، فهم أجدر الناس به وأقدرهم عليه.. من ذلك قول الأخطل لعبد الملك بن مروان:

وقـــد جعـــل الله الخلافـــة فـــيكم ... بأبيض، لا عـاري الخـوان ولا جـدب
ولكـــن رءاه الله موضـــع حقهـــا ... عـلى رغـم أعـداء وصـداة كـذب

وقوله لبشر بن مروان:
أعطـاكم الله مـا أنـتم أحـق بـه ... إذا الملـوك عـلى أمثالـه اقترعـوا

وقول جرير لعبد الملك مؤكداً أن الله حباه الخلافة، لأنه أحق بها وأجدر:
الله طوقـــك الخلافـــة والهـــدى ... والله لـيس لمـا قضـى تبديـل
ولي الخلافـــة والكرامـــة أهلهـــا ... فالملـك أفـيح والعطـاء جزيـل

وقوله أيضاً:
أنـت الأمـين أمـين الله لا سـدِفٌ ... فـيما وليـت ولا هيابـة ورع
أنـت المبـارك يهـدي الله شـيعته ... إذا تفرقـت الأهـواء والشـيع
يـا آل مـروان إن الله فضـلكم ... فضـلاً عظـيماً عـلى مـن دينـه البـدع

انتهى(١).ثم قتل عثمان فبايع المسلمون علياً عليه السلام، قال شيخنا رضي الله عنه في ((التحف شرح الزلف)):

بويع له صلوات الله عليه يوم الجمعة الثامن عشر في ذي الحجة الحرام سنة خمس وثلاثين، وفي مثل هذا اليوم كان غدير خم، ولهذا الاتفاق شأن عجيب.

وفي سنة ست وثلاثين كان قتال الناكثين، وهم: أصحاب الجمل طلحة، والزبير، وعائشة وأتباعهم، كان عدة القتلى ثلاثين ألفاً.

---
(١) – أي ما قال الدكتور إمام عبدالفتاح.

وفي سنة سبع وثلاثين كان قتال القاسطين - معاوية وأهل الشام ومن معهم - بصفين انقضت وقعاته عن سبعين ألف قتيل.

منها: (ليلة الهرير) قَتَلَ فيها الوصيُّ عليه السلام ستمائة قتيل بستمائة ضربة، مع كل ضربة تكبيرة.

وفي سنة تسع وثلاثين كان قتال المارقين وهم الخوارج بالنهروان. انتهى.

وتوفي أمير المؤمنين عليه السلام كما في ((التحف)) لإحدى وعشرين ليلة من شهر رمضان بعد أن ضربه أشقى الآخرين ابن ملجم -لعنه الله- يوم الجمعة ثامن عشر من شهر رمضان، لأربعين من الهجرة، وقبر في المشهد المقدس بالكوفة، وعمره كعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وستون سنة. انتهى من التحف.

وهكذا انتهت حياة أمير المؤمنين عليه السلام بعد معاناة شديدة من الأمة، فإنه في أيام خلافته لم يهنأ بالاستقرار والأمن يوماً ما، فقد قامت الدنيا حين بويع له بالخلافة وقعدت فنكثت بيعته طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون.

وقد قُتِل في عهده ربيبه وحبيبه محمد بن أبي بكر، وأُلبس جلد حمار ثم أحرق بالنار.

وفي عهده اغتال معاوية -لعنه الله- الأشتر النخعي بالسم.

وفي عهده أيضاً قُتِل عمار بن ياسر - رضوان الله عليه - في أيام صِفِّين قتله أصحاب معاوية.

[ذكر معاوية]

حتى مَضَوا وأتى ابن آكلة الـ ... أكباد في أُحُدٍ غَدَتَ تَفَرِيْ (١)

---

(١)- وهذا البيت في النسخة المطبوعة على النحو التالي:

رأسُ البُغَاة بدا معاويةُ نصٌ صريح جاء كالفجر

((وأتى ابن آكلة الأكباد)) آكلة الأكباد هي أم معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

وسميت آكلة الأكباد من أجل أنها في يوم أُحُد بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب بعد ما قُتِل واستخرجت كبده فأكلتها غير أنها حين مضغتها لم تسغها فلفظتها.

وقد كانت هند شديدة الغيظ على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لأنه قتل أباها عتبة في يوم بدر، وعمها شيبة وأخاها الوليد بن عتبة، وابنها حنظلة بن أبي سفيان كلهم في يوم بدر، لذلك فعلت ما فعلت بكبد حمزة بن عبد المطلب –رحمة الله عَلَيْه وبركاته –

وابن آكلة الأكباد هو معاوية بن أبي سفيان. قال شيخنا في ((لوامع الأنوار)):قال ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري: وقع الإجماع على أن معاوية لم تصح له فضيلة، وتواتر عن إسحاق بن راهويه: أن كل فضيلة تروى لمعاوية فإنها كذب على النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما ذكر البخاري معاوية وإن لم يكن له فضيلة دمغاً لرؤوس الروافض. انتهى.

قلت: وقد جاءت السنة بذم معاوية ولعنه، فمن ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في معاوية وعمرو بن العاص وقد سمعهما يغنيان: ((اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودعّهما في النار دعّاً)). أخرجه أحمد وأبو يعلى عن أبي برزة، وذكره ابن الأثير في النهاية، وأخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، أفاد ذلك في لوامع الأنوار.

وروى الذهبي في الميزان: ((إذا ارتقى معاوية على منبري فاقتلوه))، وفي رواية: ((فابقروا بطنه))، وأورد أيضاً: ((إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)) بثلاثة أسانيد عن أبي سعيد، وأخرجه العقيلي، أفاد ذلك في لوامع الأنوار.

وقال شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في لوامع الأنوار: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بني أمية على منابرهم فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هي دنيا أعطوها فقرت

عينه، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٦٠].

قال فخر الدين الرازي في تفسيره (ج٢٠ ص٢٣٧ - ٢٣٨) -وهذه رواية عطاء عن ابن عباس-: ثم قال أيضاً: الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية،.

وقال النيسابوري في تفسيره سورة القدر: ذكر القاسم بن مفضل عن عيسى بن مازن عن الحسن بن علي عليهما السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى في منامه بني أمية يطأون منبره واحداً واحداً. وفي رواية: ينزون على منبره نزو القردة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[القدر:١ -٣]، يعني ملك بني أمية.

وروى السيوطي في تاريخ الخلفاء(ص ٢٠) عن الترمذي بسنده إلى الحسن بن علي عليهما السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[الكوثر:١]، ونزلت: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.إلى قوله: ﴿ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر/ ١-٣] يملكها بنو أمية.

قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال: وأخرج هذا الحديث الحاكم في مستدركه، وابن عباس في تفسيره. ثم ساق شيخنا رضي الله عنه في تخريج هذا الحديث، ثم قال بعد ذلك: وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أهل بيتي يلقون من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم)) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٤/ ٤٨٧)، وقال: صحيح الإسناد.... إلخ. انتهى من هامش التحف.

وفي الشافي نقلاً عن ابي العباس الحسني رضي الله عنه بسنده إلى عائشة ذكر رؤيا هند بنت عتبة أم معاوية،.... إلى آخره.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم العنها والعن نسلها)).

فقالت عائشة: أوليس قد أسلمت.

فقال: ((والله ما أسلموا إلا رعباً وخوفاً من السيف)).

فقلت: يا رسول الله، فبيِّن لي رؤياها؟

قال: ((أما ما زعمت رؤياها أن الشمس طلعت عليها فإن تلك الشمس التي طلعت عليها فعلي بن أبي طالب، وأما القمر الذي خرج من فرجها فابن لها يناوئ علي بن أبي طالب، وهو معاوية مفتون فاسق جاحد لله، فتلك الظلمة التي زعمت.

ورَأَتْ كوكباً خرج من القمر أسود،، فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسود لابتلاعها الأُفق فذلك ابني الحسين يقتله ابن معاوية.

فأما الكواكب المسْوَدَّة التي أحاطت بالأرض من كل جانب فتلك ملوك بني أمية يقتلون ولدي، وينالون من أهل بيتي حتى يملك منهم أربعة عشر)). انتهى.

بداية سلطان معاوية العام

معاوية بن أبي سفيان، بويع في شوال سنة ٤١هـ ببيت المقدس، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر، وتوفي في رجب سنة ٦١هـ، وله ثمانون سنة، من مسلمة الفتح، وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم، رأس الفئة الباغية، الداعية إلى النار.

تخلى الحسن بن علي عليه السلام عن القيام بتدبير شؤون الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ للهجرة لخمس بقين من شهر ربيع الأول.

وكان تخلي الحسن عليه السلام بسبب خذلان أصحابه وخيانتهم، فبايع الناس معاوية، فسمي ذلك العام عام الجماعة، كما أظهر لعن عليٍّ على المنابر وسماه عام السُّنة، وقال: لأجرينه حتى إذا قُطِع قيل قُطعت السُّنة.

نعم، من سوء شقاء معاوية بن أبي سفيان قيامه بعداوة خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإشعال نار الحرب في وجه خلافته حتى قُتِل بينه وبين أمير المؤمنين قتلى كثيرة.

وفي التحف: أن عدد القتلى سبعون ألف قتيل، وكل ذلك بسبب بغي معاوية على الخليفة العادل.

ومن عيون القتلى الذين قتلهم معاوية في تلك الحرب الظالمة الصحابي الكبير عمَّار بن ياسر رضي الله عنه الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحاح: ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار))، ((تقتلك الفئة الباغية)) و((.. آخر زادك من الدنيا شربة لبن..)) أو كما قال. وتماماً كما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد قَتَل عماراً الفئة الباغية على إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان آخر زاده من الدنيا شربة من لبن. مما أُثِر عن عمار رضي الله عنه في بعض أيام صفين ما رواه الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام في الشافي عن الأصبغ بن نباتة قال:

إنه – أي عماراً – خرج في بعض أيام صفين والقراء محدقون به حتى دنا من مقام علي عليه السلام في الصف، ثم وقف فقال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الواقف يعني علي عليه السلام؟

قلنا: هات يا أبا اليقظان.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهذا: ((يا علي، إن الله زينك بزينة لم يزين أهل الدنيا بزينة هي أحبُّ إلى الله منها، وهي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا، فجعلك لا تميل إليها، ولا تميل إليك، ووهب لك مع ذلك حبَّ المساكين، فجعلهم يرضون بك إماماً، وترضى بهم أتباعاً، فطوبى لمن صدق عليك، وويل لمن كذب عليك، فإني أقسم بالله ليقفنَّهم الله موقف الكذَّابين)).

ثم قال: قاتلوا هذه الراية – يعني راية معاوية– فو الله لقد قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة عشرة مرة بهذه المرة، و الله ما هي في هذه المرة بأبرها من الشرك. ثم نظر إلى راية علي عليه السلام ثم قال: قاتلوا مع هذه الراية فوالله لقد قاتلت معها اثني عشر مرة والله ما هي في هذه المرة بأقلهنَّ براً. انتهى.

وذكر ابن عبد البَرّ عن أبي عبد الرَّحمن السُلَمِي قال: شهدنا مع علي عليه السلام صِفِّين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين الإ رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتبعونه كأنّه عَلَمٌ لهم، وسمعته يقول لهاشم بن عتبة: يا هاشم، تقدم، الجنَّة تحت البارقة.

اليـــــوم ألقـــــى الأحبــــة　　　　محمّــــــــــداً وحزبـــــــــــه

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق وأنهم على الباطل، ثم قال:

نحـــن ضربنـــاكم عـــلى تنزيلـــه　　　　فـــاليوم نضرـــبكم عـــلى تأويـــل
ضربـــاً يزيـــل الهـــام عـــن مقيلـــه　　　　ويـــذهب الخليـــل عـــن خليلـــه

أو يرجـــع الحـــق عـــلى ســـبيله

فلم أر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذٍ. انتهى من شرح النهج.

وممن قتله معاوية من البدريين: أبو الهيثم بن التيهان ذكره ابن عبد البرّ وأبو نعيم، وصالح بن الوجيه، أفاد هذا شارح نهج البلاغة.

وقال – أي ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة –: قال أبو عمر بن عبد البَرّ في كتاب الاستيعاب: وشهد – أي ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصاري – صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام فلما قُتِل عمار قاتل حتى قُتِل، وإنه كان يقول في صِفِّين: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((تقتل عمار الفئة الباغية)) فقاتل حتى قتل. وممن قتله معاوية صبراً الصحابي الصابر حجر بن عدي الكندي، وعمر بن الحَمَق الخُزَاعي، وأصحابهما رَضِيَ اللهُ عن أرواحهم الطاهرة.

وقد كان معاوية طلب منهم أن يتبرءُوا من علي بن أبي طالب عليه السلام ليعفيهم من القتل فأبوا، فضربت أعناقهم رحمة الله عليهم.

وفي شرح نهج البلاغة: وروى أبو الحسن المدائني في كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برأت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويتبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم: أن انظروا مَنْ قِبَلَكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضل الصحابة، والخلفاء الأوَّلين.

ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتون بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إليَّ وأقرُّ لعيني، وادحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضلة.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى شادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم في ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحبُّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى إن رجلاً من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة لَيَكتُمَنَّ عليه.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بليَّة القُرّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنُسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليهما السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلاَّ وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض... انتهى من شرح نهج البلاغة.

ثم قال – أي شارح النهج –: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه– وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم – في تاريخه ما يناسب هذا الخبر. انتهى.

ومن كلام رواه صاحب شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر الباقر: وكان عظم ذلك (الخوف والقتل) وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظَنَّة، وكان من يذكر بحبِّنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظَنَّة وتهمة حتى إن رجلاً ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال: شيعة علي... إلخ. انتهى.

ومن عظائم معاوية قتله للإمام الحسن السبط بالسُّم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث.

ومن ولاته الذين أسرفوا في قتل المؤمنين زياد بن سمية، وسمرة بن جندب، وقد تولى زياد الكوفة ثم أضاف له معاوية البصرة، فكان زياد إذا خرج إلى البصرة استخلف على الكوفة سمرة بن جندب، وكان زياد على كثرة إسرافه في دماء المسلمين كثيراً ما يستنكر على سمرة الإسراف في قتل المسلمين في الكُوفة.

وفي الطبري: قال أبو سواد العدوي: قَتَل سمرة من قوي في غداة واحدة سبعة واربعين رجلاً كلهم قد جمع القرآن.

ومن عظائم معاوية بعثه لبسر بن أبي أرطأة إلى شيعة علي في اليمن، وقد كانت همدان شيعة لعلي عليه السلام، فدخل بسر إلى اليمن في جيش من أهل الشام فجلس في ديار همدان وأفرط في القتل، فقتل نحواً من ثلاثين ألف رجل كلهم من همدان،

وأخذ نساءهم سبايا، ثم باعهنَّ في طريق عودته إلى الشام فقدم على معاوية بمال كثير، فسُرَّ معاوية بذلك المال الذي جمعه بسر من أثمان نساء همدان فكانت نساء همدان أول نساء سُبِيت في الإسلام. ذكر ذلك في الاستيعاب، وهذه القصة مشهورة.

ومن موبقات معاوية استلحاقه زياد بن سمية حيث جعله أخاه وابن أبيه من الزنا، وأثبت نسبه بذلك، وذلك خلاف المعلوم من دين الإسلام، وحكم العلماء على معاوية لذلك بالكفر حيث خالف ما علم من الدين ضرورة، وذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((الولد للفراش وللعاهر الحجر)).

وأطلق شيخنا الناظم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على معاوية: (رأس الضلال ومنبع الجبر) لعدة أسباب هي:

(١)-لأنه رأس الفرقة الباغية الداعية إلى النار بنص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النار))، ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية)).

(٢)-لأنه أوَّل من سن لعن أهل البيت على منابر المسلمين حتى صار ذلك سُنَّة داخلة في صلب العقيدة.

(٣)-لأنه أول من سن الفكر المنحرف الذي بناه على اتجاهاته الأمويَّة المعادية للإسلام.

(٤)-لأنه أول من بذر بذور الجبر في نحو قوله: أُعطى من أعطى الله، وأمنع من منع...

وفي عهده وبعده راج هذا المذهب المنحرف، وحظي بالدعم المادي والمعنوي، واستحكمت قواعده المبنية على خدمة المصالح السياسية لسلطان معاوية فمن بعده.

(٥)-أول من مهد السبيل لسلطان بني أمية تمهيداً كاسحاً، فحارب علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم سمَّ الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قضى على رجال الإسلام المخلصين، ثم الترويج

والدعاية لما يُثَبِّت دعائم السلطان من تحريم الخروج على الخليفة، وطاعة الخليفة، والحصانة الدينية لفسقة بني أُمّية، وذلك عن طريق الفكر القائل: (من أقر بالشهادتين فهو مؤمن)، لا يضره ولا يخل بإسلامه ارتكاب الكبائر، واقتراف العظائم.

وفي الشافي: ومات معاوية بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمان بقين من رجب، فكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً من يوم تخلي الحسن عليه السلام من الأمر. انتهى.

وقد كان معاوية منذ سنة ست وخمسين يمهد ليزيد ولاية العهد بالترغيب والترهيب، وبذل في ذلك جزيل الأموال، وتألَّف الناس لذلك وصانعهم، وساعده على ذلك ولاته على الأمصار وعماله، وأطلق أيديهم في أموال المسلمين في سبيل ما قصده من ولاية يزيد حتى تمَّ لمعاوية الأمر وطاوعه أكثر الأمة، إلا نفر يسير على رأسهم الحسين بن علي عليهما السلام.

نماذج:

قال الحافظ الذهبي كما في النصائح الكافية: قتل زيادٌ رشيداً الهجري لتشيعه فقطع لسانه وصلبه. انتهى.

وفيها: أُتي زياد برشيد الهجري هذا، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام فقال له زياد: ما قال خليلك أنَّا فاعلون بك؟

قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني.

فقال زياد: أما والله لأكذبن حديثه. خلو سبيله.

فلما أراد أن يخرج قال زياد: ردوه لا نجد شيئاً أصلح مما قاله صاحبك إنك لن تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه.

فقطعوها وهو يتكلم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه.

فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه.

فقال زياد: اقطعوا لسانه.

فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال نفسوا عني أتكلم بكلمة واحدة.

فنفسوا عنه فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني.

فقطعوا لسانه وصلبوه. انتهى.

أصحاب حجر الذين قتلوا معه هم: شريك بن شداد الخضري، وصفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي التميمي، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي.

أخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه، والبيهقي في الدلائل عن عبدالله الغافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: يا أهل العراق ؛ سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأُخدُود. فقُتِل حجر وأصحابه.

وأخرج ابن عساكر عن عائشة أنها قالت لمعاوية: يا معاوية، قتلت حجر بن الأدبر وأصحابه ! أما والله لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء.

وأورد ابن الأثير قصة قتلهم، فقال ما مفاده كما في النصائح الكافية: إنهم أُحضروا فقيل لهم:تبرؤوا من علي والعنوه، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم.

فقالوا: لسنا فاعلين ذلك.

فحفرت القبور وأحضرت الأكفان، وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن عدي: أتركوني اتوضأ وأصلي فإني ما توضأت الا صليت، ولو لا أن تظنوا في جزعاً من الموت لاستكثرت منها.

قال: فقتلوه وقتلوا ستة من أصحابه، فقال اثنان حينئذٍ من أصحاب حجر وهما عبدالرحمن العنزي، [وكريم الخثعمي]:إبعثوا بنا إلى امير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته.

فاستأذنوا معاوية فدخلوا عليه، فقال معاوية للخثعمي: أتبرؤ من دين علي الذي يدين الله به؟

فسكت القوم، فقام رجل من خثعم، فاستوهبه من معاوية، فوهبه له على ألّا يدخل الكوفة.

ثم قال معاوية للعنزي: ما تقول في علي؟

فقال: دعني ولا تسألني، فهو خير لك.

قال معاوية: لا والله لا أدعك.

قال: أشهد أنه كان من الذَّاكرين الله كثيراً، الآمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس.

قال: فما قولك في عثمان؟

قال: هو أوَّل من فتح أبواب الظُّلم وأغلق أبواب الحق.

قال معاوية: قتلت نفسك.

قال: بل اياك قتلت.

فرده معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة، فدفنه حيّاً. انتهى.

وفي النصائح: أن بسر بن أرطأة حلف على منبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لولا أنه منع لما ترك في المدينة محتلماً.

وبسر هذا هو قاتل الصَّبيَّيْن عبدالرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس في حَجْر أمهما فجُنَّت بعد ذلك ووسوست، وهو السابي للنساء المسلمات من نساء همدان في اليمن وباعهن في الأسواق وهو الفاعل الأفعال القبيحة.

قال الطبري: وجد بسر قوماً من بني كعب مع غلمانهم على بئرهم فألقاهم في البئر.

وقال: أقام بسر في المدينة شهراً، يستعرض الناس، ليس أحد ممن يُقال إنه أعان على عثمان إلا قتله.

قال الجاحظ كما في النصائح: خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فقال:تبّاً لهم انما هم يطوفون بأعواد ورِمَّة بالية، هلاَّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك، ألا يعلمون ان خليفة المرء خير من رسوله!؟

وفي النصائح: ذكر ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) والبيهقي في المحاسن والمساوئ:

قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها

فقال لها: هل من مال؟

قالت: لا والله ما تركوا شيئاً.

فقال: والله لتُخْرِجِنَّ إليَّ شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا.

فقالت: ويحك! إنه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه يوم بيعة الشجرة على ألّا أسرق، ولا أزني، ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتان أفتريه، فما أتيت شيئاً، فاتق الله.

ثم قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شيءٌ لا فتديتك به.

قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط فانتشر دماغه في الأرض. انتهى.

وفيها: ذكر الطبري في تأريخه وغيره: أن عبيد الله بن زياد كتب إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو والٍ على المدينة المنورة يبشره بقتل الحسين عليه السلام، فقرأ سعيد كتابه على المنبر وانشد رجزاً، ثم أومأ إلى القبر الشريف وقال: يا محمد يومٌ بيوم بد! وعمرو ها هو أحد ولاة معاوية، وكان مشهوراً بالتكبر، وهو الجبار الذي رعف على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكره ابن قتيبة وغيره، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ليرعفن على منبري هذا جبار من جبابرة بني أمية فيسيل رعافه)).

فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى سال رعافه على درج المنبر. انتهى من النصائح.

وعمر هذا هو الذي يقال له الأشدق، لطيم الشيطان، قتله عبدالملك بن مروان غداً بدمشق.

أشـــقى يزيـــد ســـلالة الكفـــر ويزيـــد في أثـــر اللعـــين فـــما

يزيد بن معاوية (ت ٤ ه

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. قام بتدبير شؤون المُلك بعد موت أبيه، وقد كان أبوه أخذ له البيعة في حياته.

قال الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام في الشافي: وبايع الناس يزيد الرجس بعد موت معاوية، وكانت أيامه تسمى الشؤم، لأنها أُصيب فيها ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن علي عليهما السلام الذي بكت عليه الأرض والسماء، وقطرت كما روينا بالنقل الصحيح دماً، وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم، وحُمِلَت نساؤهم إلى الشام كالسبي المجلوب. وقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ستة آلاف قتلى حرة واقم. وأُبيح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوطئت الخيل حوامي قبره صلى الله عليه وآله وسلم. وحصر بيت الله الحرام وأهله، وحرق بالنار... إلخ. انتهى.

وقد كان يزيد مشهوراً بالخمر، وكثرة السكر، واللعب بالديكة والقرود والفهود.

وفي الشافي أيضاً: ويزيد لعنه الله تعالى الذي نكت فم الحسين بن علي بالقضيب بقرع ثناياه، وتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليـــت أشـــياخي ببـــدر شـــهدوا جـــزع الخـــزرج مـــن وقـــع الأســـل

وزاد فيها:

لأهلـــوا واســـتهلوا فرحـــــاً ثـــم قـــالوا يـــا يزيـــد، لا شــــلل
لســـت مـــن عتبـــة إن لم أنـــتقم مـــن بنـــي أحمـــد مـــا كـــان فعـــل

فقال له بعض القائلين: نح قضيبك عن فمه، فأشهد لقد رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّل موضع قضيبك منه.

وروى السِّيد أبو العباس الحسني – رحمه الله تعالى – رفعه إلى ابن عباس قال: اشتد برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرضه الذي مات فيه فحضرته وقد ضم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه، وهو يقول: ((ما لي وليزيد؟ لا بارك الله في يزيد، اللَّهُمَّ العن يزيد)) ثم غُشي عَلَيْه طويلاً وأفاق، فجعل يُقَبِّل الحسين، وعيناه تذرفان ويقول: ((أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله)).

وتوفي يزيد في صفر سنة ٦٤هـ بموضع يقال له: حوارين، وحمل إلى دمشق فدفن بها، وصلى عليه ابنه معاوية. انتهى من الشافي.

نعم، كان قائد يزيد في حملته على المدينة المنورة مسلم بن عقبة المري، التي قتل فيها خلق كثير من أبناء المهاجرين والأنصار، ونُهِبت المدينة واستبيحت، وافتضَّ فيها ألف عذراء. انتهى من تاريخ الخلفاء.

وقد كان هذا القائد يأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد، ومن قال: أبايعه على سنة الله ورسوله ضربت عنقه بالسيف، وقد ختم في هذه البيعة على أعناق وأيدي بقية الصحابة، على أنهم خول وعبيد ليزيد كما تعلم الخيل وتوسم علامة لاستعبادهم.

وبعد أن استباحت جيوش يزيد المدينة اتجهت جيوشه إلى مكة، فرميت الكعبة بالمجانيق من الجبال حتى تهدمت، وذلك لإجبار الناس على السمع والطاعة، وعلى أن يكونوا عبيداً لفرعون الصغير (يزيد بن معاوية).

قال المسعودي: ليزيد أخبار عجيبة ومثالب كبيرة من شرب الخمر، وقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولعن الوصي، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء، والفسق، والفجور، وغير ذلك مما قد ورد الوعيد باليأس من غفرانه.

ومن ولاة يزيد عبيد الله بن زياد لعنهما الله تعالى، وهو الذي تولى قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه – رضوان الله عليهم السلام – في كربلاء.

وفي واقعة كربلاء هذه قُتل تسعة رجال من صلب علي بن أبي طالب عليه السلام على رأسهم الحسين، وسبعة رجال من صلب عقيل بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ولذلك قال ناعيهم:

عين جودي بعبرة وعويلٍ	واندبي إن ندبت آل الرسول
تسعة كلهم لصلب عليٍّ	قد أصيبوا وسبعة لعقيل

وفي الشافي: وكان يزيد أول من شرب الخمر ممن ادعى الخلافة، وسمع الغناء والزمر، ولعب بالكعاب والكلاب، وكان لا يُمسي إلا سكرانا، ولا يصبح إلا مخموراً، وكان ابن الزبير يذكر ذلك في خطبته، ويقول: السِّكِّير الخِمِّير،....

ولما ندب الناس إلى الخروج إلى ابن الزبير هاب الناس الحرمين الشريفين فأجزل العطاء فتبادر عبيد الدنيا، فنهض مع مسلم بن عقبة المري من مرة غطفان الذي سمي مسرفاً بعد ذلك اثنا عشر ألف مقاتل غير الأتباع.

وكان عبد الملك أحزم القوم، فكان لا يسكر في كل شهر إلا مرة، بحيث لا يعقل السماء من الأرض، ويقول: إنما أقصد إشراق الذهن، وتقوية الحفظ، وتصفية موضع الفكر، غير أنه كان إذا بلغ آخر حد السُّكر أفرغ ما كان في بدنه حتى لا يبقى في أعضائه شيءٌ فيصبح خفيف البدن، ذكي الذهن، نشط النفس، قوي المنة...

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً.

وكان سليمان يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز إلا الماء، ولا طن في أذنه نغمة غِناء حتى لقي الله.

وكان هشام يسكر في كل أسبوع مرة..

وكان يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد يدمنان الشرب على ما حكينا من يزيد بن معاوية إمام هؤلاء الأئمة وأتباعهم من ضلال متفقهة الأمة، وكان لهما اختصاص بالتغاري في اللهو، وللوليد خاصة إظهار الكفر والتصريح به ورفع الحشمة في بابه، فمن ذلك قوله:

تلعب بالبريَّة هاشميٌّ   بلا وحي أتاه ولا كتاب

وقوله:

لو وجدنا لسليمى أثراً   لسجدناً ألف ألف للأثر

وبعده في البيت الذي يليه: هل حرجنا إن سجدنا للقمر... إلخ.

وكان يزيد بن الوليد الملقب بالناقص لا يشرب، وله مذهب جميل، وهو القائل لأبن عمه الوليد غضباً لله تعالى.

وإبراهيم بن الوليد كان ردياً في جميع أحواله فاعتقر الخمر وشربه في جنب ذلك.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.. انتهى من الشافي.

أما معاوية أبو ليلى   فمُطيَّبٌ من عنصر الخُسْر

معاوية بن يزيد بن معاوية رَحِمَهُ اللّه ت ٦ هـ:

هذا هو أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية، بويع له بعد موت أبيه يزيد.

وفي الشافي: وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة، فأقام أربعين يوماً، وقيل أربعة أشهر، وقيل: ثلاثة. وفي المدة خلاف أوضحها وأصحها ما ذكرناه أولاً، وكان له مذهب جميل في أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولما بُويع خطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ:

أيها الناس ؛ إنا بُلينا بكم وبُليتم بنا، فما تجهل كرامتكم لنا بضغنكم علينا، ألا وإن جَدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة من رسول الله ﷺ وأحق في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم النبيين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيّته فصار رهيناً بعمله، ثم ال قلّد الأمر أبي وكان غير خليق بالخير، فركب هواه واستحسن خطاه، وعظم رجاه فاخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت متعته، وانقطعت مدته، فصار في حفرته رهيناً بذنبه، وأسيراً بجرمه، والله لأسفنا له أعظم من أسفنا عليه.

ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول ﷺ، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا بالمتقلّد أموركم، ولا المتحمّل بيبعتكم، فشأنكم وأمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظنا، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها.

فقال مروان: سنّها عمر فينا.

ثم قال: ما كنت أتقلدكم حياً وميتاً، ومتى صار معاوية بن يزيد مثل عمر، مَنْ لي برجال عمر.

وبلغ ذلك من بني أمية كل مبلغ، وكانت آخر جمعة جمعها، وقيل سمّته بنو أمية، ولقيته أمه وقد شاع الخبر فقالت: أنت الساب أباه على المنبر؟

قال: نعم.

قالت: فليت أنك كنت حيضة.

قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو وددت أني كنت حيضة، ولم أعلم أن لله ناراً يدخلها من عصاه.

وتوفي – رحمه الله تعالى – وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وصلى عليه خالد بن يزيد، ودفن بدمشق، وكان يكنى أبا ليلى، وهو الذي قال فيه الشاعر:

والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا.... انتهى من الشافي

قوله: (فمطيب من عنصر الخسر) المعنى في ذلك أن معاوية بن يزيد نبات طيب من منبت خبيث، وقلما يحصل مثل ذلك، والغالب الكثير هو ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[الأعراف / ٥٨].

فإن قيل: إذا كان خُبث المكلف ناشئاً من خبث منبته فالمسئول عن ذلك غيره لا هو؛ إذ لا اختيار له في حصول الخُبث والاتصاف به؟

قلنا: ليس الخُبث طبيعة خَلْقية، وإنما هو طبيعة خُلُقية يكتسبها المولود عن والديه وينشأ عليها ويَتَمَرَّنُ ويَتَدَرَّبُ، وتماماً كما جاء في الحديث الذي رواه أهل الصحاح: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)).

وفي هذا الحديث الصحيح عند أهل السنة والجماعة وغيرهم دلالة واضحة على أنه لا دخل لإرادة الله ومشيئته وقدرته في كفر الكافرين، وضلال الضَّالين، وظلم الظالمين، وعصيان العُصاة.

وذلك أن الحديث أخبر أن كل مولود يولد على الفطرة، والفطرة هي كما أخبر الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم / ٣٠].

ثم إن الحديث قال على سبيل الحصر والقصر: ((حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه...)) إلخ.

فإن قيل: الأبوان إنما فعلا ما فعلا بإرادة الله ومشيئته وقدره وقدرته؟

قلنا: الحديث عم كل مولود فضلال الأبوين وكفرهما قد كان نتيجة لإغواء أبوي كل منهما.

ومع ذلك فإن الأبوين وإن أضلا ولدهما أو هوداه... إلخ، فإن الولد غير مقيد بذلك الضلال، بل هو مطلق الاختيار متمكّن بما جعل الله له من العقل والسمع والبصر والقدرة من الخروج منه إلى الهدى، ومن المعرفة الكاملة والتمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

ودليل ذلك ما نراه أو نسمعه عن مثل معاوية بن يزيد وغيره ممن أسلم بعد الكفر، أو.. إلخ.

وابـــن الطَّرِيـــدَ لأحمـــدٍ نصـــبوا   مـــروان شُـــلَّت مـــن يـــد الخَـــتْرِ

مروان بن الحكم (ت ٦٥ هـ):

في الشافي:ثم قام بالأمر بعده [أي بعد معاوية بن يزيد] مروان بن الحكم، وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبوه الحكم، وإيواء عثمان له ولأبيه أحد أحداثه التي عدّها عليه المسلمون فقتلوه لأجل ذلك، وهو الذي أشار على الوليد وهو والي المدينة بقتل الحسين عليه السلام، وهو الذي بايع علياً عليه السلام ثم نكث البيعة مع أهل الجمل، وأُسر في الوقعة، وجيء به إلى علي عليه السلام فلما رآه قال:

فإمّـــا تثقفـــوني فـــاقتلوني   وإن أســـلم فلســـت إلى خلـــود

فقام الحسن بن علي عليه السلام، وشفع فيه، ومدّ يده إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: هو يبايعك يا أمير المؤمنين، فنفح يده وقال: أمطها عني فإنها كف يهودية، أفليس قد بايعني في المدينة؟ قال: بلى، قال فأمطها عني أما والله لتكوننّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وإنه لأبو الأكبش الأربعة.

وبويع في الجابية في رجب سنة أربع وستين، وجددت له البيعة في ذي القعدة من سنة أربع أيضاً، قيل: توفي بالطاعون، وقيل: قتلته امرأته أم خالد وهو أظهر القولين.

وصلى عليه ابنه عبدالملك، توفي سنة خمس وستين في شهر رمضان، وكان قصيراً دقيقاً أوقص. انتهى.

ولد مروان في سنة اثنين من الهجرة، وكان قصيراً أحمر أوقص، وفي عهد مروان كانت ولاية العراق ومكة والمدينة في يد عبدالله بن الزبير.

والطريد: هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

كان يحاكي مشية رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويتخلج فيها استهزاءً برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال له رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((كن كما أنت)).

وكان يتجسس على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويستمع له ساعة خلوته، ثم طرده لذلك رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن المدينة ولعنه، فسمي لذلك طريد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولعينه.

وحين مات رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتولى أبو بكر جاء عثمان إليه يشفع عنده في رجوع عمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، فأبى، ولم يقبل شفاعته، فلما مات أبو بكر جاء عثمان إلى عمر يشفع في رجوع عمه فأبى عمر ولم يقبل شفاعة عثمان، واستعظم عمر أن يرد طريد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولعينه.

فلما استولى عثمان بعد موت عمر كان أول أعماله أن رد الحكم بن أبي العاص وأولاده إلى المدينة، وقد كان ذلك أحد الأمور والأحداث التي نقمت على عثمان، وتوفي الحكم في خلافة عثمان.

قوله: (شُلَّت من يد الختر)، هذا دعاء على ناصبي ابن الطريد خليفةً للمسلمين وقائماً مقام رسول رب العالمين، وهو وأبوه عَدُوَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعيناه وطريداه.

وقد كان الواجب على المسلمين طرد الطريد ولعن اللعين، لا أن ينزلوه منازل النبيين، ويسموه أمير المؤمنين، ويجعلوه خليفة رسول رب العالمين، وهو لعين الله في كتابه ولعين رسوله.

فأبعد الله أمةً فعلت ذلك ثم أبعدها، فبدلاً من أن تلعن اللعين، وتطرد الطريد، لعنت علي بن أبي طالب وأهل بيته وطاردتهم وشردتهم، وجعلوا ذلك ديناً يتعبدون الله تعالى به، أوحاه إليهم معاوية وأمرهم، ثم التزمت الأمة دين معاوية الذي شرعه لهم، وتركوا دين الله تعالى الذي جاء به رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الصنيع من الأمة خيانة لله ولرسوله وللمسلمين.

هذا وبعد موت معاوية بن يزيد اضطرب أهل الشام فيمن ينصبونه للخلافة فمنهم من يشير إلى ابن الزبير القائم في مكة، ومنهم من كان هواه مع خالد بن يزيد غير أنه كان صغيراً.

ومروان بن الحكم كان ممن يرى الدخول في طاعة بن الزبير، غير أن عبيد الله بن زياد صرف مروان عن هذا الرأي وزين له ترشيح نفسه للخلافة وقال له: أنت كبير قريش وشيخها.. إلخ. وهذا في حين أن مروان لم يكن يفكر في ذلك.

ومما يلفت النظر هنا أن التاريخ لم يذكر أن أحداً من أهل الرأي أدلى برأي يذكر فيه أحداً من أهل البيت عليهم السلام للخلافة مع صلاحيتهم للخلافة واستجماعهم لشروطها المعتبرة عند القوم بالإضافة إلى امتيازهم بالقرابة القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والسبب في ذلك ظاهر، وهو أن أهل الشام هم صنائع معاوية وصنائع بني أمية، ومن دينهم الذي شرعه لهم معاوية لعن علي عليه السلام وأهل بيته وشيعته وأنصاره.

فمن بالبعيد حينئذ أن يدور في أفكارهم ترشيح أحد من أهل البيت عليهم السلام. وقد كان بنو أمية وأهل الشام يسمون علياً عليه السلام وأولياءه: روافض، ويسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة.

وقد رأيت في كتاب كتبه معاوية إلى بعض ولاته رواه صاحب الفتوح في التاريخ تسمية معاوية لعلي وأنصاره بالروافض فقال فيه: وقد خرج ابن أبي طالب إلى البصرة في رفضة أهل الحجاز.

وفي كتاب كتبه أحد الولاة إلى يزيد: وقد بعثت بالرسالة مع رجلين من أهل الطاعة ومن أهل السنة والجماعة. روى ذلك صاحب الفتوح.

وما زالت تلك التسمية للفريقين قائمة عند أهل السنة والجماعة إلى اليوم، فالروافض عندهم اسم لكل من أحب علياً عليه السلام وأهل بيته، وهذا الاسم عندهم من أعظم ما يذم به المسلم، وصاحب هذا الاسم عندهم غير مقبول الرواية، ولا مرضي العدالة، بل إنه عندهم بمنزلة الزنديق، يعرف ذلك من طالع في كتب الجرح والتعديل عندهم.

يدينون بذلك في حين أنك لا تجد لما يذهبون إليه أي أثارةٍ من علم ولا حتى شبهة دليل، شرعه معاوية في شريعته وجعله ديناً وسنةً.

وهذا في حين أن الأدلة المُجمع عليها عند جميع طوائف المسلمين تُفَنِّد سنتهم الأموية، فقد جاء في صحيح مسلم وغيره بأساند صحيحة عندهم أن ((حبَّ عليٍّ إيمان وبغضه نفاق)).

[من هم الروافض]

فحينئذٍ فالروافض هم الذين يرفضون سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة من أي فرقة كانوا فمن رفض حديث (حبُّ عليٍّ إيمان وبغضه نفاق)، وحديث الثقلين، وآية المودة وآية التطهير، وآية الولاية، وآية المباهلة، وحديث الكساء، والمنزلة،

والغدير، إلى مالا يحصى مما بلّغه الله وذكره في كتابه وعلى لسان رسوله مما أجمع على صحته المسلمون فهو الرافضي.

فترك العمل بما ذكرنا وبغيره مما لا يحصى، والاعراض عنه، ورفضه رفضاً كلياً بكل ما تحمله كلمة الرفض من معنى هو الذي يصدق عليه كلمة الرفض ويستحق صاحبه أن يسمى رافضياً.

فتسمية علي وأهل بيته وأتباعه روافض تسمية ظالمة يكذبها الواقع لأنهم لم يرفضوا العمل بشيء من السنة المجمع على صحتها.

العوامل التي ساعدت على انتشار التسمية:

والذي ساعد على رواج هذه التسمية واشتهارها وبقائها حتى اليوم هو الدعم الكبير من ملوك بني أُمَيَّة ثم من ملوك بني العباس، مع ما عليه سلاطين الدولتين من قوة السلطان والسيطرة الكاملة على جميع البلدان الإسلامية وعلى الأوساط العلمية.

ومن هنا فإنك تجد (في بعض كتب الحديث ذلك الطابع الأموي، ففي صحيح البخاري تسمية زياد بن أبيه ((زياد بن أبي سفيان)) هكذا يسميه البخاري عند الرواية عنه، ويروي عن ابنه عبيد الله فيسميه كذلك.

وقد أجمع المسلمون على صحة الأثر القائل: ((الولد للفراش، وللعاهر الحجر)) فتسمية البخاري لزياد بذلك الاسم، ونسبته إلى أبي سفيان مخالف لشريعة الإسلام بالضرورة.

غير أن الأمر كما قلنا من أن سياسة سلطان بني أمية ثم سلطان بني العباس كان لها دور فعال في تقرير المذاهب الباطلة من أجل دعم سياستهم وتوطيده.

فتسمية البخاري لزياد ونسبته إلى أبي سفيان (ناتج عن هذه السياسة الظالمة)

وهكذا تجد في رجال البخاري الكثير من مبغضي علي عليه السلام ومبغضي أهل بيته كزياد بن أبيه، وابنه عبيد الله قاتل الحسين، وغيرهم كثير ممن كان يلعن علياً عليه السلام ويلعن أهل بيته كحريز بن عثمان.

فإن اعتماده على رواياتهم وقبوله لها وتسميتها صحيحة رفض لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المجمع على صحته لعليٍّ عليه السلام: ((لا يحُبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)).

-هذا ونحن وإن عذرنا مثل البخاري في صنيعه حيث كانت المدارس الإسلامية خاضعة للسياسة الأمر ية فلا عذر لمن تحرر من القيود التي كان يتقيد بها مثل البخاري.

وهكذا فعل بعض رواة الآثار في رواياتهم للحديث فقد عدَّلوا المبغضين لأهل البيت واللاعنين لهم والذين قتلوهم وسفكوا دماءهم، وتركوا الرواية عن محبِّي علي وأهل بيته، وجرحوهم وذموهم، وسموهم بأقبح الأسماء.

وكل هذا منهم رفض لما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التعديل والتزكية لمحبي علي عليه السلام ومن الجرح والذم لمبغضيه في الحديث الذي ذكرناه وفي غيره.

من هنا يتبيَّن للناظر اللبيب أن الألقاب والأسماء التي وضعها بعض نقلة العلم لأنفسهم ولكتب الحديث المشهورة عندهم إنما هي أسماء وألقاب وضعت على الضد من معناها.

وكذلك الأسماء والألقاب التي وضعوها لخصومهم كالروافض والقدرية والغلاة فإنهم وضعوها على غير من يستحقها، وفي الحقيقة أنهم هم المستحقون لهذه الأسماء والألقاب، لأنهم رفضوا كما ذكرنا سابقاً ما علم من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وهم القدرية، لأنهم الذين يقولون: إن معاصي العباد بقدر الله وقضائه، أما من ينفي ذلك فلا يصح أن يقال له قدري.

وهم الغلاة الذين تجاوزوا الحدود في مذاهبهم الفكرية، وذلك من حيث نسبوا معاصي العباد إلى الله وإلى قدره ومشيئته وجعلوا ذلك من توحيده، وسموه توحيد الأفعال، وشبهوه بخلقه فأثبتوا له الأعضاء والجوارح.

عبد الملك بن مروان بن الحكم (ت ٨٦ هـ):

ومُـــؤمِّر الحجـــاج مـــن هَـــدَمَتْ ... أجنـــــاده لِلْبيـــــت والحِجْـــــرِ
عبـــد المليـــــك يُعَـــدُّ رابعهــــم ... وبنـــــوه أربعـــــة بنـــــو(١)النُّكْـــــر

مؤمر الحجاج هو عبد الملك بن مروان بن الحكم، قام بأمر الشام بعد أبيه، وقد كان أبوه أخذ البيعة له من أهل الشام خوفاً من عمرو بن سعيد بن العاص، فقد بلغه عنه أنه يقول: إن الأمر لي بعد مروان.

وفي الشافي: يكنيه أولياؤه أبا الوليد وأبا مروان، وكنيته اللازمة: رشح الحجر لبخله، وأبو الذباب لبخره، وكان أفوه مفتوح الفم مشبك الأسنان بالذهب.

وهو المُجهز الجنود العظيمة إلى حرم الله وحرم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورامي الكعبة بالمجانيق، وأمر بهدمها على أساس الجاهلية بعد أن كان ابن الزبير بناها على أساس إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لولا قرب عهد قريش بالجاهلية.

وولّى الحجاج بن يوسف على من بقي من المهاجرين والأنصار أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ففعل العظيم، وركب الجسيم.

ولو لم يكفر إلا بتولية الحجاج على أمر الأمة مع ظهور كفره وعموم شرّه، تولي سنة ٦٥هـ، وتوفي للنصف من شوال سنة ست وثمانين، ودفن بدمشق، وكان عمره ستين سنة على خلاف.

---

(١)- في النسخة الطبوعة: (ذوو).

وفي أيامه قتل العلماء: كعبدالله بن الزبير، وابن مطيع، وسعيد بن جبير، وغيرهم، وختم على أعناق كثير من أصحاب رسول الله ﷺ فمنهم جابر بن عبدالله الأنصاري، ونال منهم كل منال.

وصحّت قتلى الحجاج اللعين صبراً في أيامهم مائة ألف وعشرين ألفاً، وهذا سوى من قتل في الحرب والعساكر.

ورآه رجل يخطر في المسجد وهو متقلد لسيف محلّى، وكان لا يعرفه، فقال لخالد بن يزيد: من هذا؟ فقال خالد بن يزيد: بخٍ بخٍ هذا عمرو بن العاص.

فسمعه الحجاج فرجع إليه، وقال: سمعتُ يا خالد ما قلتَ، والله ما يسرني أن العاص ولدني، فإن شئت أخبرتك بنسبي، أنا ابن العقائل من قريش، وابن الجحاجح من ثقيف، وأنا الذي ضرب مائة ألف بالسيف، يشهدون على أبيك بالكفر وشرب الخمر حتى أقروا أنه خليفة الله في أرضه، ثم ولى وهو يقول: بخٍ بخٍ هذا عمرو بن العاص. انتهى من الشافي، وذكره صاحب الكامل من قوله: ورآه رجل.. إلخ.

قيل: إن عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكاً زاهداً عابداً، وقد كان المصحف في حِجْره لَّما بلغه أن الخلافة قد أفضت إليه، فأطبقه وقال: هذا آخر عهدنا بك.

ومن كلامه في العقد الفريد وتاريخ الخلفاء: أما بعد، فلست بالخليفة المستضعف [يعني عثمان]، ولا الخليفة المداهن [يعني معاوية]، ولا الخليفة المأفون [يعني يزيد] ألا إني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، حتى تستقيم لي قناتكم.

ألا إن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد بن العاص عندي، والله لا يفعل أحد فعلة إلا جعلتها في عنقه.

والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه، ثم نزل. انتهى.

وهذه الجملة الأخيرة في الكامل.

وقد ولَّى عبد الملك الحجاج أميراً على العراق فأساء وأسرف.

ومن كلام الحجاج على المنبر: والله لا آمر أحداً أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه.

قال المسعودي: كان لعبد الملك إقدام على الدماء، وكان عماله على مثل مذهبه كالحجَّاج بالعراق والمهلَّب بخراسان، وهاشم بن إسماعيل بالمدينة، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء.

وفي سنة سبع وستين قُتِل عبيد الله بن زياد – قاتل الحسين عليه السلام – قتله إبراهيم بن الأشتر، وقد كان ابن زياد في جيش عظيم من أهل الشام، وإبراهيم في جيش العراق التوابين، وكانت هذه المعركة في أرض الموصل، وقتل فيها من أهل الشام قتلى كثيرة، قدَّرها بعض المؤرخين بسبعين ألف قتيل، قتل الكثير منهم أو أكثرهم بالغرق عند الهزيمة، وكان من جملة القتلى عبيد الله بن زياد لعنه الله، قتله الأشتر بيده، كما رواه صاحب الكامل.

هذا وقد صوَّر لنا عمر بن عبد العزيز جرائم الحجاج وبوائقه في كلماتٍ كما في الكامل: لو جاءت كل أُمَّة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

ومن وصية عبدالملك لأولاده لما حضره الموت كما في الكامل: وأكرموا الحجاج فإنه وطأ لكم المنابر، ودوَّخ لكم البلاد، وأذل الأعداء.

وقال في مرض موته: يا ليتني كنت قصاراً، يا ليتني كنت قصاراً.

وقال: وددت أني عبدٌ لرجل من تهامة أرعى غنماً في جبالها، وأني لم أكُ شيئاً.

قال صاحب الكامل في التاريخ: ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف، فإن من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أي شيءٍ يقدم عليه ، انتهى.

وقد عَدَّ مولانا الناظم – رضي الله عنه – عبد الملك رابع ملوك بني أمية، فكأنه رضي الله عنه لم يعد معاوية بن يزيد من جملتهم لصلاحه، ولأنه لم يلبث في الخلافة إلاَّ أياماً قليلة بيّن فيها كراهيته للملك وإنكاره على من تقدمه ما حصل في ولايتهم من الظلم

والفساد، ثم تخلَّى من غير أن يحل ويبرم، أو يقدِّم ويؤخِّر، فخرج من الخلافة سالماً نقي الثوب، فرحمة الله عليه.

قول الناظم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وبنوه أربعة) هم: الوليد، وسليمان، وهشام، ويزيد.

وكلٌ منهم ولي الملك والسلطان، وستأتي أخبارهم عند ذكرهم.

وقول: (بنو النكر) سماهم – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – بذلك، لكثرة ما ارتكبوا من كبائر المنكرات، حتى كأنهم خلقوا منها، فكنى – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – ذلك بالبنوَّة التي هي أبلغ في تصوير ذلك المعنى.

وفي عهد عبدالملك قتل المختار بن عبيد الله الثقفي سنة ٦٧ هـ والمختار هو الذي تتبع قتلة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، وابنه حفص بن عمر، ومنهم شمر بن ذي الجوشن، وَوَجَّهَ إبراهيم بن الأشتر فقتل عبيد الله بن زياد، وغلب المختار على الكوفة حتى خرج عليه مصعب بن الزبير في أهل البصرة فقاتلوه. ثم قتل المختار في هذا القتال، قتله رجل يقال له: صراف بن يزيد الحنفي.

هذا وفي كتب المؤرخين من أهل السنة الطعن على المختار في دينه والتشويه لسيرته.

والسبب في ذلك، وذنبه الذي استحق به عند أهل السنة مثل ذلك هو أنه انتقم من قتلة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقام بالثأر، فلاحقهم أشد الملاحقة، وقتلهم تحت كل سماء، فإنه لما طهر العراق من قتلة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ غزا الشام التي هي عقر ديار بني أمية، فقتل هنالك عبيد الله بن زياد –لعنه الله – مع سبعين ألفاً من أهل الشام، كما ذكره بعض المؤرخين، فهذا هو السبب في ذم بعضهم للمختار.

وهذا ليس بغريب من صنائع بني أمية، فإن عادتهم التنكر لكل ما اتصل بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأي صلة.

لذلك فلا ينبغي الوثوق بما ذكروه من المعائب في المختار، وقد قال علماء الشريعة: إنه لا يُقبل قول العدوّ، ولا شهادته على عدوه.

هذا وأعظم مما اتهموا به المختار أتهموا به الناجم العلوي علي بن محمد بن أحمد بن عيسى، ورووا أنه أكثر من فِعْل الجرائم القبيحة، كقتل الأطفال، والنساء، وأنه كان يقتل الأبرياء والضعفاء، وينتهب أموال الضعفاء والمساكين، ثم يقتلهم بعد العهد والأمان، ورووا عنه من ذلك ما تقشعر من ذكره الأبدان.

وذنب الناجم في تحامل المؤرخين عليه هو خروجه على سلطانهم، ثم اتصاله بأهل البيت، وذلك أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبالإضافة إلى تشويه سيرته، وتقبيح أفعاله، والطعن في ديانته، فإنهم قد أكثروا من الطعن في نسبه.

وكما قلنا سالفاً ينبغي أن يتثبت القارئ فيما يرويه بعض أهل النقل عن مثل من ذكرنا، فإنهم يتحاملون على الشيعة كثيراً، وعلى كل من يتصل بهم، ويغالون في ذلك إلى حدٍّ بعيد

وهذا في حين أنهم يحرمون الكلام في ذكر شيءٍ من عظائم معاوية، ويزيد، ومروان، والوليد بن عقبة، وغيرهم من ولاة معاوية وولاة عثمان، ثم سائر خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، ويسمون من ذكرنا بأنهم سلف هذه الأمة.

نعم، مما ينبغي التنبيه عليه هنا أن نقول: إن الخلاف الذي ظهر في أول الأمر وصار له كيان وأتباع قد كان بين علي ومعاوية، فتأسست لذلك مدرستان: مدرسة عليٍ ومدرسة معاوية. وما زالت هاتان المدرستان قائمتين إلى اليوم، ولكل منها خرِّيجون وأشياع وأتباع، وهذا بِغَضِّ النظر عما بينهما من فارق القوة والضعف، والعداء بين هاتين المدرستين ظاهر مكشوف على طول التاريخ، والتهم بينهما متبادلة كذلك، وذلك بشكل عام شامل لجميع طبقات الناس من العلماء والمتعلمين، والمقلدين والعوام، ورجال الدولة على طول التاريخ، والجم الغفير هم أشياع إحدى هاتين المدرستين، والشيعة هم أشياع المدرسة الأخرى، على ذلك

مضت القرون إلى يوم الناس هذا، وهذا بغض النظر عما تفرعت إليه كلتا المدرستين من الفروع.

لذلك قلنا: إنه ينبغي التثبت فيما يرويه المؤرخون عن مثل المختار والناجم وغيرهما ممن له علاقة بمدرسة الإمام علي عليه السلام.

فوليـــد أولهـــم وَتَابَعَـــهُ　　　شَرِهٌ ســـليمان فَخُـــذْ حَصْرِـــي

في هذا البيت اثنان من أولاد عبد الملك الأربعة الذين تقدمت الإشارة إليهم.

الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ)

فأول الإثنين المذكورين في هذا البيت هو: الوليد بن عبد الملك بن مروان، يكنى أبا العباس.

بويع له بالعهد من أبيه، ثم إلى أخيه من بعده سليمان، يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦هـ، وتوفي للنصف من جمادى الآخر سنة ٩٦هـ وكان لحاناً يعفك عفك الأمة، شديد السطوة لا يتوقف إذا غضب.

خرج يوم مات الحجاج مكشوف الرأس، وقال: اليوم مات سيد العرب. وكان لا يرى للدين حرمة في هوى نفسه. أفاد ذلك في الشافي.

وكان من وصية أبيه إليه: وانظر الحجاج فأكرمه فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك، فلا تسمعنَّ فيه قول أحد، أنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا مت للبيعة، فمن قال برأسه هكذا، فقل بسيفك هكذا. (مروج الذهب، وتاريخ الخلفاء).

ومن وصيته إليه: إذا أنا مت فشمر واتَّزر، والبس جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه. (مروج الذهب، وتاريخ الخلفاء).

وفي مروج الذهب، قال الوليد: أيمكن للخليفة أن يُحاسَب؟

فجاءه أخوه يزيد بن عبدالملك بأربعين شيخاً فشهدوا له ما على الخليفة حساب ولا عذاب.

وفي عهد الوليد مات الحجاج – لعنه الله – شوال سنة ٩٥هـ، وله من العمر أربع وخمسون سنة، وكانت ولايته العراق عشرين سنة.

وكان في سجنه حين مات خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهنَّ ستة عشر ألف امرأة مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف، ولا من المطر والبرد في الشتاء.

وذُكر أنه ركب يوماً فسمع ضجة فقال: ما هذا؟

فقيل له: المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء.

فالتفت إلى ناحيتهم وقال: اخسئوا فيها ولا تكلمون. انتهى من مروج الذهب.

سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩ هـ):

ثم قام بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك، وهذا هو الثاني من أولاد عبد الملك من المذكورين في البيت.

بويع له يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ، وتوفي لعشر خلون من صفر سنة ٩٩هـ، وكان يأكل ولا يكاد يشبع. يأكل في اليوم نحواً من مائة رطل، ومات تخمة فهو شهيد بطنه. انتهى من الشافي.

وفي الكامل: لبس يوماً حُلَّةً خضراء، وعمامة خضراء، ونظر في المرآة فقال: أنا الملك الفتي، فما عاش جمعة.

ونظرت إليه جارية فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما علمته فيك عيب ... كان في الناس غير أنك فان

ولعهـــده قـــد بـــايعوا عُمَـــرَاً   لكنـــــه لم يـــــأت بـــــالهَجْر(١)

عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ)

وفي الشافي: وعقد لعمر بن عبد العزيز بغير علمه بمشورة رجاء بن حَيْوَة.

قال: يا رجاء، قد علمت أني أموت ولا أدري ما أصنع، ولا أرى أرجأ من أن أولي المسلمين رجلاً صالحاً فأشار إليه بعمر بن عبدالعزيز.

فكتب العهد، وحلّف عليه مختوماً في حياة سليمان وبعده، ثم فضه فإذا فيه ذكر عمر.

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وكان عهد سليمان: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز أني وليته الخلافة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا.

فلما قرئ الكتاب بايع جميع من حضر من بني أمية.

ثم قال في الشافي بعد ذلك في بيان أعمال عمر الإصلاحية: وتنكب أعمال أهل بيته وسماها مظالم، ولم ينزل في شيءٍ من قصورهم التي بنوها بأموال الله، ونزل البَرِّيَّة، فقيل له: هذا يضر بالناس. فنزل دار أبيه إلى جانب مسجد دمشق فضاقت به وبالناس، فنهض إلى دير سمعان، وأوصى إذا مات أن يدفن في قطعة أرض ورثها من أمه، ورد مظالم بني أُميَّة إلى أربابها، ووصل أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعشرة آلاف مثقال، أنفذها إليهم المدينة، وزاد لفاطمة بنت الحسين عَلَيْهَا السَّلَامُ شيئاً لما كتبت إليه: جزاك الله من والٍ خيراً، فلقد أشبعت بطوناً من أهل بيت النبي جائعة، وكسوت ظهوراً عارية، وأخدمت من كان لا يقدر على خدمة نفسه.

---

(١)- عجز هذا البيت في النسخة المطبوعة: (عمر الأشج مغير الهُجْرِ).

ورَدَّ فدكاً على أولاد فاطمة عليها السلام بلا خلاف بين أهل العلم في ذلك، وأدنى أهل الدين والصلاح، وباعد أهل الفسوق والعصيان، وما ترك لأولاد سليمان من المال إلا ما كان قد لبسه، وصرف الباقي إلى بيت المال.

ودان بالعدل والتوحيد خلافاً لأهل بيته، لأنهم أول من سنَّ الجبر والقدر فسارت الجبرية والقدرية على الأثر.

وترك لعن علي عليه السلام وقد كانوا جعلوا له مكاناً في الخطبة فرد موضعه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ٩٠].

وأمر بقطعه في الآفاق،ووصل ذلك إلى صنعاء، فلما وصل الخطيب إلى ذلك المكان تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..﴾، فقام محمد بن محفوظ فقال: ما هذا؟ قطعت السنة، والله لأنهضنَّ إلى الشام، فإن وجدت هذا الخليفة قد عزم على قطع السنة لأضرمن عليه الشام ناراً، وقام معه بشر بنو الأسود، ووقعت عصبية، فخرج مغاضباً ولحقه الناس إلى موضع يقال له: المنجل. فرجموه وصرعوه وبغلته تحته وتركوا عليهما رضماً كبيراً، وهو يرجم الآن كقبر أبي رغال وأبي لهب، قال الشاعر:

استراحت من السباب البتول ... وبنوها وبعلها والرسول
وأبى ذلك اللعين ابن محفو ... ظ وبنو الأسود الكلاب البغول

وقامت الشعراء تمدح عمر بن عبدالعزيز في ذلك، فقال كُثَيِّر عزة:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف ... برياً ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

في قصيدة طويلة. ولم يقل أحد من بني أمية بالعدل والتوحيد إلا عمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن الوليد الملقب بالناقص، ومعاوية بن يزيد، ولا ظهر لأحد منهم صلاح إلا لهؤلاء.

وقليل لمن حمَّل ذنبه ربه ألا ينزع من المعاصي، ولا يعظم عليه ثقلها.

ولما كتب إليه غيلان الدمشقي يعظه أمر إليه: أن ائت إليّ فاعني على أمري.

فكتب إليه: إن وليتني رد المظالم إلى أهلها وبيع أموال الخزائن وتفريقها في مستحقها أعنتك وإلا فلا.

فقال: افعل من ذلك ما شئت.

فلما أتى بلغ من ذلك ما أراد، فوجد جوارب بعضها قد فسد فأمر ببيعها فبلغت ثلاثين ألفاً، فقال: من يلومني في هؤلاء يأكل هذه والناس يموتون جوعاً؟

وكان يصيح على الأموال عند تفريقها: هَلُمَّ إلى أموال الخونة، هلمَّ إلى أموال الظلمة، هلمَّ إلى أموال أخذت من غير حلها ومنعت من مستحقها.

فسمعه هشام فقال: يسب آبائي! والله لأقتلنه.. في قصة طويلة، وليس الغرض الاستقصاء وكان عمر يعطي الفقراء ويحرم الشعراء، وقال فيه بعض الشعراء:

هذي الأرامل قد قيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

وأحسب الشاعر جريراً.

ولا يشك أحد أن غيلان كان من كبار المعتزلة القائلين بالعدل والتوحيد النافين للجبر والقدر والتشبيه. انتهى من الشافي.

وفي الكامل:وكان سبب محبته علياً أنه قال [أي عمر بن عبد العزيز]: كنت بالمدينة أتعلم العلم، وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فبلغه عني شيء من ذلك [أي من سب علي] فأتيته يوما وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت

أنتظر فراغه، فلما فرغ من صلاته التفت إليَّ فقال لي: متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم؟

قلتُ: لم أسمع ذلك.

قال: فما الذي بلغني عنك في علي؟

فقلت: معذرة إلى الله وإليك! وتركت ما كنت عليه.

وكان أبي إذا خطب فنال من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تلجلج فقلت: يا أبت إنك تمضي في خطبتك، فإذا أتيتَ على ذكر علي عرفت منك تقصيرا؟

قال: أو فطنت ذلك.

قلت: نعم.

فقال: يا بني، إن الذين حولنا لو يعلمون من عليٍّ ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده.

فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجله، فترك ذلك وكتب بتركه.انتهى من الكامل.

وفي الكامل: توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة، وكان موته بدير سمعان، وقيل بخناصرة، ودفن بدير سمعان، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً، وقيل: أربعين سنة وأشهرا، وكانت كنيته أبا حفص، وكان يقال له: أشج بني أمية. انتهى.

وفيه أيضاً: فلما ولي الخلافة أحضر قريشا ووجوه الناس فقال لهم: إن فدك كانت بيد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ فكان يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر كذلك، وعمر كذلك، ثم أقطعها مروان، ثم إنها صارت إليَّ ولم يكن من مالي أعْوَد منها عَلَيَّ، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ.

قال: فانقطعت ظهور الناس، ويئسوا من الظلم. انتهى.

قلت: رَدُّ عمر بن عبد العزيز فَدَكاً إلى أولاد فاطمة عليها السلام في جملة ما رد من المظالم إلى أهلها دليلٌ واضح على ما نذهب إليه نحن الزَّيدية من أن فدكا أُخِذت من فاطمة ظُلماً.

ولمثل هذه الأعمال الإصلاحية من رد المظالم ألحقه علماء السلفية بالخلفاء الراشدين، قال سفيان الثوري كما في الكامل: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وما كان سواهم فهم منتزون. قال: وقال الشافعي مثله انتهى.

وفيه أيضاً: ولما احتضر عمر بن عبد العزيز قيل له: أكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمَّة.

قال: بماذا أوصي؟ إنه من بني عبد الملك. ثم كتب إليه: أما بعد ؛ فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك، والسلام. انتهى.

[ذكر يزيد بن عبدالملك وهشام]

ويزيد ثـم أخـوه رابعهـم ... أعـني هشـاماً حامـل الـوِزْرِ
صَـلَبَ الإمـام الطَّـاهر الزَّاكـي ... رُصِـفَتْ رُصَـافَتُهُ مـن الجمـرِ(١)

يزيد بن عبد الملك (ت ٠٥ هـ):

يزيد بن عبدالملك هو الثالث من أولاد عبد الملك الأربعة الذين تقلدوا السلطان، وهشام بن عبد الملك هو الرابع.

(١)- هذا البيتان في النسخة المطبوعة كالتالي:
قتل الإمام أبا الحسين وقد ذرُّوه بعد الصلب في البحر
فالأحول الطاغي أزيرقهم رصفت رصافته من الجمر

تولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، وكنيته أبو خالد بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، وبويع له يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وتوفي بحوران لخمس بقين من رجب سنة خمس ومائة.

قال في الشافي: وكان شديد الكبر عاجزاً، صاحب لهو ولذّات، وهو صاحب حبابة وسلامة، وهما جاريتان كان مشغوفاً بهما، وماتت حبابة فمات بعدها بيسير أسفاً عليها، ونبشها بعد الدفن، ولم يدفنها حتى لامه كبار أهل بيته بعد أن تغيّر ريحها. انتهى.

وفي الكامل: وعمد يزيد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه، فرده ولم يخف شناعة عاجلة ولا إثماً عاجلاً.

فمن ذلك: أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان على اليمن فجعل عليهم خراجا مجددا، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بالاقتصار على العشر ونصف العشر، وترك ما جدده محمد بن يوسف، وقال: لئن يأتيني من اليمن حفنة ذرة أحب إليَّ من تقرير هذه الوضعية.

فلما ولي يزيد بعد عمر أمر بردها، وقال لعامله: خذها منهم ولو صاروا حرضاً، والسلام. انتهى.

وفي أول سِنِيِّ خلافة يزيد بن عبد الملك خلعه يزيد بن المهلب ودخل البصرة وجمع الجموع، والتقى جيش اليزيدَينِ حول الأنبار، واقتتلا فهزم جيش اليزيد بن المهلب، قتل يزيد بن المهلب، وأربعة من أخوانه وآخرون غيرهم من أحفاد المهلب، قتل هؤلاء في المعركة، وهذا بالإضافة إلى ثلاثة عشر أسيراً من آل المهلب بن أبي صفرة. جيء بهم إلى يزيد بن عبد الملك فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم. وكان المهلب بن أبي صفرة وأولاده وأحفاده من أكبر أعوان عبد الملك بن مروان وأولاده، وهم الذين تولوا حرب الخوارج، في حين أن الخوارج لم يقم لحربهم سواه.

وإنما جئنا بهذه الحادثة التاريخية لما فيها من العظة والعبرة بالمصير المشؤوم لأعوان الظالمين ومثل هذا مصداق الأثر المشهور: ((من أعان ظالماً أغري به)).

وفي السَّنة الثانية من خلافة يزيد بن عبد الملك ظهر بعض الدعاة للدولة العباسية في خُرَاسان. أفاد ذلك في الكامل.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة ولد أبو العباس السفَّاح.

وأُخرج أبو العباس إلى أبي محمد الصادق وله خمسة عشر يوماً فقال لأبيه: هذا صاحبكم الذي يتم له الأمر على يده، فقبلوا أطرافه.

وقال لهم: والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم. أفاد هذا في الكامل.

قلت: يمكن أن الذي قال ذلك هو الباقر محمد بن علي عليهما السلام.

هشام بن عبد الملك (ت ٢٥ هـ):

هشام بن عبد الملك بن مروان هو الرابع من أولاد عبد الملك الذين تقلدوا السلطان.

في الشافي:بويع له بعهد أخيه [يزيد] إليه لست بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وتوفي بالرصافة لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وصلى عليه ابنه مسلمة، وكان جباراً طاغياً، ظلوماً غشوماً، لما علم سيرة عمر بن عبد العزيز في تراث سليمان وصرفه إلى بيت المال إلا ملابسه؛ جعل مال الله ملابس، ونافس في الطراز حتى ضُرب به المثل، فقيل: طراز هشام.

وقطع وقر عشرة آلاف بعير بزاً، ولم يدر أن الوليد بن يزيد يأتي لا يميز حتى لقد تعسر عليهم كفنه.

وروى أصبغ بن الفرج، قال: خرج هشام حاجاً فحمل ثياب ظهره على ستمائة بعير، وكان أحول، قال لأبي النجم الراجز: أنشدني.

فأنشده أرجوزته التي أولها: الحمد لله العظيم الأجْلَلِ.. -إلى قوله: - والشمس في الأفق كعين الأحولِ.

قال: وما وجدتَ مثالاً إلا عيني، إن بقيت بعد ثالثة ضربتُ عنقك.

قال ذات يوم لسكينة بنت الحسين: أولاد أختك فاطمة بنت الحسين منكم أجود، أو أولادها منا؟ لأنها كانت تحت الحسن بن الحسن، زوجها إياه عمه الحسين لما خطب إليه قال: اختر أيتهما شئت.

فاستحيا. قال: أما إذا أبيتَ فقد اخترتُ لك فاطمة لأنها أشبههما بأمي فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فجاءت بعبدالله وإبراهيم والحسن أولاد الحسن بن الحسن عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وخلف عليها: عبدالله بن عمرو بن عثمان الذي كان يقال له: مطرف، وكان زواجه لها غصباً لمكان سلطان بني أمية، وحاول ذلك باختيار فلم يجب إليه، وطلب أهلها وقالوا: أمرها إليها.

وحاولها، فقالت: قد حلفت أيماناً غلاظاً.

قال: أسلّم بكل نفس من الرقاب نفسين، وبكل شيء مما يلزم به الكفارة شيئين.

وحاول الأمر من قِبَلِ أمها، فجاءت فسألتها فلم تساعد، وكشفت خمارها، وقامت في الشمس ساعتين سدس نهار حتى اسودّت وخشي عليها التلف، وعلم أن لا قدرة لهم بالأمر فأجابوا،

فولدت له: محمداً والقاسم وثالثاً.

فلما قال هشام لسكينة ذلك، قالت: أبرزنا لك يا أحول يوم الطف؟

فقام وقال: إنك امرأة تحبين الشر.

وروى السيد أبو العباس الحسني في كتاب المصابيح ما مثاله: أخبرنا علي بن الحسين بن سليمان البجلي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن صالح الضميري، قال:

حدثنا أحمد بن زنبور المكي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليهما السلام أن أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – خطب على منبر الكوفة فذكر أشياء حتى قال: يملك هشام تسع عشرة سنة، وتواريه أرض رصافة رُصفت عليه بالنار.

مالي ولهشام جبّار عنيد، قاتل ولدي الطيب المطيب، لا تأخذه رأفة ولا رحمة، فيصلب ولدي بكناسة الكوفة، زيد في الدرجة الكبرى من الدرجات العلى؛ فإن يُقتل زيد فعلى سنة أبيه.

ثم الوليد، فرعون خبيث، شقي غير سعيد، يا له من مخلوع قتيل، فاسقها وليد، وكافرها وطاغوتها أزينم، ويزيد متقدمها ابن آكلة الأكباد، ذروه يأكل ويتمتع ويلهه الأمل فسوف يعلم غداً من الكذاب الأشر.

الإمام زيد بن ع عليه السلام ت ٢٢ ه وغضبه لله ضد هشام بن عبد الملك :

ولما دخل عليه زيد بن علي عليه السلام قال: أنت زيد المؤمل للخلافة؟ وما أنت وذلك وأنت ابن أمة؟

قال زيد عليه السلام: لو أن الأمة قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله نبيئاً ابن أمة وجعله أبا العرب وأبا خير النبيين وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وكانت أُمُّهُ مع أم إسحاق كأمي مع أمِّك، وما تقصيرك برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجده علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فلما خرج زيد عليه السلام قال هشام لجلسائه: ألستم زعمتم أن أهل هذا البيت قد انقرضوا؟ لا لعَمْرُ الله ما انقرض قوم هذا خلفهم.

ودخل عليه مرةً أخرى فجاء وفي مجلسه يهودي يسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانتهره زيد عليه السلام وقال: يا كافر ؛ أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك.

فقال هشام: مهٍ يا زيد ! لا تؤذ جليسنا.

فخرج زيد عليه السلام وهو يقول: من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء.

وله عليه السلام مقامات مع هشام قبل قيامه ؛ منها ما رواه السيد أبو طالب عليه السلام يرفعه إلى سعيد بن خثيم عن أخيه معمر قال: قال زيد بن علي عليهما السلام: كنت أماري هشام بن عبد الملك وأكابده في الكلام، فدخلت عليه يوماً فذكر بني أمية، فقال: هم أشد قريش أركاناً، وأشد قريش مكاناً، وأشد قريش سلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا رؤوس قريش في جاهليتها، وملوكهم في إسلامها.

فقلت: على مَنْ تفتخر على هاشم أول من أطعم الطعام، وضرب الهام، وخضعت له قريش بإرغام؟

أم على عبد المطلب سيد مضر جميعاً، وإن قلت: معد كلها صدقت، إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان يطعم الوحش في رؤوس الجبال، والطير والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقي الحجيج، وربيع العمرتين؟

أم على بَنِيْه أشرف رجال؟

أم على سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حمله الله على البراق، وجعل الجنَّة بيمينه، والنار بشماله، فمن تبعه دخل الجنَّة، ومن تأخر عنه دخل النار، وابن عمه المُفَرِّج الكرب عنه، وأول من قال: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم يقله في أحد من أصحابه ولا لأحدٍ من أهل بيته؟

ثورة الإمام زيد عليه السلام ضد الظالمين:

وكان قيامه عليه السلام ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ١٢٢هـ من دار معاوية بن إسحاق الأنصاري، وكان ميعاده لأولى ليلة من صفر فأعجله الطلب.

وكان ديوانه قد انطوى من أهل الكوفة على خمسة عشر ألف مقاتل خارجاً عمن بايع من أهل الأمصار وسائر البلدان.

وبايعه من الفقهاء الذين أخذوا العلم عنه واختلفوا إليه: أبو حنيفة، وأعانه بمال كثير، ومنهم سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وأبو هاشم الرماني، ومنصور بن المعتمر.

ولما خرج عليه السلام خرج معه القُرَّاء والفقهاء وأهل البصائر قدر خمسة آلاف رجل في زيٍّ لم ير الناس مثله، وتخلّف باقي الناس عنه، فقال: أين الناس؟

قالوا: احتبسوا في المسجد.

فقال: لا يسعنا عند الله خذلانهم.

فحمل حتى وصل إليهم، وأمرهم بالخروج فلم يفعلوا، ولم يفلحوا، فقال نصر بن خزيمة: يا أهل الكوفة ؛ أخرجوا من الذل إلى العز، وإلى خير الدنيا والآخرة.

وأدخلوا الرايات عليهم من طاقات المسجد فلم ينجح ذلك فيهم شيئاً.

وأقبلت جنود أهل الشام من تلقاء الحيرة، فحمل عليهم عليه السلام كأنه الليث المغضب فقتل منهم أكثر من ألفي قتيل بين الحيرة والكوفة، وأقام بين الحيرة والكوفة، ودخلت جنود الشام الكوفة، ففرّق أصحابه فرقتين: فرقة بإزاء أهل الكوفة، وفرقة بإزاء أهل الحيرة.

ولم يزل أهل الكوفة يخرج الواحد منهم إلى أخيه، والمرأة إلى زوجها، والبنت إلى أبيها، والصديق إلى صديقه، فيبكي عليه حتى يرده؛ فأمسى عليه السلام وقد رقّ عسكره، وخذله كثير ممن كان معه، وأهل الشام في اثني عشر ألفاً.

وحاربهم عليه السلام يوم الأربعاء ويوم الخميس، وحمل عليهم عشيَّة الخميس، فقتل من فرسانهم زيادة على مائتي فارس، وأصيب عليه السلام آخر يوم الجمعة بنشابة في جبينه، فحُمل إلى دور أرحب وشاكر، وجيء بطبيب نزع النصل بعد أن عهد إلى ولده يحيى عليهما السلام بجهاد الظالمين، ثم مات من ساعته، ودفن في مجرى ماء، وأُجري عليه الماء، فأبصرهم غلام سندي، فلما ظهر قتله، وصاح صائح يوسف بن عمر بطلبه دلّ عليه، فصلبوه في الكناسة، وحرّقوه بعد ذلك، وخبطوه بالشماريخ

والعثاكيل حتى صار رماداً، ونسفوه في البر والبحر، وذرّوه في الرياح؛ فحرّق الله هشاماً ولعنه لعناً وبيلاً في الدنيا، وله في الآخرة عذاب النار.

ومن رواية الزهري، رواه السيد أبو طالب عليه السلام في أماليه، قال: دخلتُ على هشام بعد قتل زيد بن علي عليه السلام فقال لي هشام: إني ما أراني إلا أوبقت نفسي.

فقال الزهري: وكيف ذلك؟

قال: أتاني آت فقال: إنه ما أصاب أحد من دماء آل محمد شيئاً إلا أوبق نفسه من رحمة الله.

قال: فخرجت وأنا أقول: أما والله لقد أوبقت نفسك من قبل ذلك وأنت الآن أوبق وأوبق. انتهى من الشافي.

وفي الكامل: قيل: إن الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك، فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري - وهو أمير العراق - وأمره بقتله، فحبسه خالد، فلما كان يوم العيد خطب الناس فقال في خطبته: انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم. ثم نزل وذبحه. انتهى.

حقيقة القدر:

وفيه – أي في الكامل –: أن غيلان بن يونس أظهر القول بالقدر في أيام هشام، فأمر به هشام فقطعت يداه ورجلاه، ثم أمر به وصلب. انتهى من الكامل.

قلت: أراد أن غيلان أظهر أن المكلف مختار في أفعاله، وأنه بفعل الطاعة والمعصية بإرادته واختياره، وأن الله تعالى لا يريد المعاصي ولا يشاؤها ولا يفعلها، وأنها تصدر من العاصي بمحض إرادته ومشيئته وفعله، وليس لله فيها إرادة ولا مشيئة ولا فعل.

فمن اعتقد هذه العقيدة سموه قدرياً، ويقال: أظهر القدر.

وفي الحقيقة والواقع أن إطلاق اسم القدر على غيلان، وعلى من اعتقد مثل ما ذكرنا إطلاق باطل.

فإن المعهود في اللغة أن يطلق نحو القدر على من يثبته لا على من ينفيه، فالقدري والقدرية اسم لمن أثبت القدر، وقال: (إن المعاصي بقضاء الله وقدره). لا من ينفي ذلك.

فبنوا أمية قد أطلقوا القدر على من ينفيه، وهم الذين يستحقون هذا الاسم، لأنهم يثبتون القدر ويقولون: أن المعاصي بقضاء الله وقدره.

وعندي أن السبب في ذلك أنه قد صح عند الجميع واشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((القدرية مجوس هذه الأُمة)).

فهربوا لذلك من هذا الاسم وألصقوه بغير أهله، فحق عليهم وعيد الله في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء/ ١١٢].

هذا وإنما حكينا هاتين الروايتين لتعزيز ما تقدم من أن بني أمية هم الذين تَبَنُّوا مذهب الجبر.

هذا وبما أنا قد تكلمنا حول القدر فلنتكلم حول كلام الله، فنقول:

لا شك أن كلام الله تعالى فعل من أفعاله.

ولا شك أن الفاعل متقدم في الوجود على فعله.

فيكون الفعل على هذا محدثاً غير قديم.

وقد قال تعالى في القرآن: ﴿ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء / ١٢].

وَسَمِيٌّ فرعون الوليد وقد ... جاءت به الآثار فَاسْتَقْرِ

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٦ هـ):

ذكر في هذا البيت الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان اسم فرعون موسى الوليد، لهذا سماه شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (سمي فرعون).

وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

قال في الشافي: بويع له في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ، وقُتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ[هكذا في كتب التاريخ(١)]، وكانت همّته مصروفة إلى الأكل والشرب، واللهو والبطالة، وهو من لا يشك المسلمون في كفره لاستخفافه بأمر الدين.

حكى إسحاق بن محمد الأزرق قال: دخلت على منصور بن جمهور بعد قتل الوليد بن يزيد وعنده جاريتان من جواري الوليد، فقال: اسمع من هاتين ما تقولان.

قالتا: قد حدثناك!

قال: بل حدّثاه.

---

(١) –بحثت في المكتبة الشاملة فرأيت المصادر مجمعة على أن تاريخ وفاة الوليد هو [جمادى الآخرة سنة ١٢٦] وأنه هو الذي قتل يحيى بن زيد. فلا يمكن أن يكون استشهاد يحيى بن زيد في رمضان من هذه السنة لأنه بعد وفاة الوليد، ولكن وجدت في الأعلام للزركلي أن استشهاد يحيى في سنة (١٢٥هـ) ، وذكره الطبري في تاريخه في أخبار سنة (١٢٥هـ) ، وكذلك في البداية والنهاية ذكر قتل الوليد ليحيى بن زيد في أحداث سنة ١٢٥هـ، وفي تاريخ اليعقوبي أن نصر ابن سيار لما أخذ يحيى بن زيد كتب بخبره إلى هشام فوافق كتابه موت هشام فكتب إليه الوليد أن يخليه ثم بعد ذلك قاتلوه حتى استشهد وكان موت هشام في شهر ربيع الأول فقد تكون الفترة من ربيع الأول إلى رمضان من هذه السنة هي فترة مطاردة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم قتله، ولكن في التحف وكذلك في الشافي أنه استشهد في رمضان سنة ١٢٦هـ فينظر هذا الإشكال.

قالت إحداهما: كنا آثر جواريه عنده فنكح هذه، وجاء المؤذن يؤذن بالصلاة، فأخرجها وهي جنب فصلت بالناس متلثمة على أنها رجل.

ومن تصريحه بالكفر قوله:

تلعّب بالبرية هاشمي ... بلا وحي أتاه ولا كتاب

وكان قد عمل على الشراب على ظهر الكعبة - حرسها الله تعالى-، وأمر مجوسياً رَقَّاها ليعمل قبّة للشراب عليها، فعُوجل بالانتقام قبل ذلك. واستهدف المصحف بالرمي استخفافاً بكتاب الله لما نظر فيه فخرج: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦)﴾... الآية [إبراهيم]، فرماه وحرّقه بالنار وقال:

أتوعدني بجبّار عنيد ... فها أنا ذاك جبّار عنيدُ
إذا ما جئتَ ربّك يوم حشرٍ ... فقل يا ربّ حرّقني الوليدُ

انتهى من الشافي.

الإمام يحيى بن زيد (ت ٢٦ هـ) واستشهاده:

وفي أيام هذا الجبار العنيد قُتل الإمام يحيى بن زيد بن علي عليهم السلام على يد جيش هذا الجبار، أصيب بنشابة في جبهته، وحُزَّ رأسه، وحُمِلَ إلى مروان بن محمد عامل ذلك الجبار، وصُلب على باب مدينة جوزجان إلى أن جاء أبو مسلم الخراساني فأنزله وغسله، وصلى عليه وقبره، ومشهده بـ(نبير) مشهور مزور، وكان قتله عشية الجمعة في شهر رمضان سنة ١٢٦هـ.

ولقد انتقم الله من قتلة يحيى بن زيد، فإن أبا مسلم الخراساني عندما استولى على خُرَاسَان أخذ ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى عليه السلام فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء. أفاد ذلك في الكامل.

وفي عهد الوليد قُتل خالد بن عبد الله القسري، وكان عاملاً لبني أمية على العراق نحواً من خمسة عشر عاماً، وكان قتله على يد عامل العراق يوسف بن عمر بأمر من الوليد بعد أن عذبه يوسف بن عمر عذاباً شديداً.

وخالد بن عبدالله القسري هذا الذي كان يقول حسب ما ذكره الكامل: إن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قال صاحب الكامل: نبرأ إلى الله من هذه المقالة. انتهى.

وقد لاقى يوسف بن عمر والي العراق الذي تولى قتل خالد بن عبدالله القسري نفس المصير، فقد عُزِل ثم سجن وعذِّب، ونتفت لحيته، وأخيراً قُتِل في عهد مروان، وكان أخذه وسجنه في ولاية يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

وقوله: (جاءت به الآثار فاستقر)، المراد بذلك ما رواه السيد أبو العباس الحسني في المصابيح بسنده أن أمير المؤمنين خطب على منبر الكوفة فذكر أشياءً حتى قال: ثم الوليد فرعون خبيث، شقي غير سعيد، يا له من مخلوع قتيل، فاسقها وليد.... إلى آخر ما تقدم.

ويزيد ناقصهم وفَعْلَتُهُ ... رَجَحَتْ به إذ قام بالأمر
قتل الوليد وذاك من غضبٍ ... لله في الإسْرار والجهر
ويُعَدُّ أمْثلهم طريقتُه ... وطَرِيقَة الأقْوام في الشر

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ناقص ت ٢٦ ه

هذا هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الملقب بالناقص. قال الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي: ثم قام يزيد بن الوليد غاضباً لله تعالى وناقماً بثأر دينه، وشايعه أهل الصلاح. يكنى أبا خالد، وهو ابن خالة علي بن الحسين زين العابدين

عليه السلام أمه: هفرية بنت فيروز بن كسرى بن يزدجرد بن شهريار، بويع لليلتين بقيتا من جمادى الأخرى سنة [سبع] وعشرين ومائة، وتوفي بعيد الأضحى بالطاعون، وكان نحيف اللون، مربوعاً، خفيف العارضين، فصيحاً، حسن السيرة، يدين بالعدل والتوحيد ويبطل الجبر والقدر.

ولما استقرّ له الأمر بعد قتل الزنديق الكافر الوليد بن يزيد كتب إلى أهل العراق كتاباً نذكر منه طرفاً فيه تحقيق بعض الحال.

منه: إن الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهّره، فافترض فيه حقوقاً أمر بها، ونهى عن أمور حرمها، ابتلاء منه لعباده في طاعتهم له ومعصيتهم، فأكمل به كل منقبة خير وجسيم فضل، ثم تولاّه فكان له حافظاً، ولأهله المقيمين حدود الله والياً، يحوطهم ويعرِّفهم بفضل الإسلام، ولم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله، وينتهي لنهيه فيناويه مشاق، أو يحاول صرف ما حباه الله به، أو ينكث ناكث إلا كان كيده الأوهن، ومكره الأبور حتى يتم الله له ما أعطاه، ويدخر له أجره، ويجعل عدوّه الأضل سبيلاً والأخسر عملاً، فتناسخت خلفاء الله وولاة دينه راضين فيه بحكمه، متبعين فيه لكتابه، فكانت لهم بذلك من ولاية الله ونصره ما تمت به النعم عليهم حتى توفي هشام، وأفضى الأمر إلى عدوّ الله الوليد المنتهك للمحارم التي لا يأتي مثلها مسلم، ولا يتقدم عليها كافر تكرماً من غشيان مثلها، فلما استفاض ذلك منه، واستعلن واشتد فيه البلاء، وسفكت الدماء، وأخذت الأموال بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليملي العاملين بها إلا قليلاً، سرت إليه بعد انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين منكراً لعمله، وما اجترى عليه من معاصي الله، راجياً من الله إتمام الذي نويت من اعتدال عمود الدين والأخذ على أهله ما هو لله رضا، حتى أتيت جنداً قد وغرت صدورهم على عدو الله بما رأوا من عمله، فإن عدوّ الله لم يكن ترك من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديله والعمل فيه بغير ما أنزل الله،

وكان ذلك منه شائعاً شاملاً عرياناً لم يجعل لله فيه ستراً، ولا لأحد فيه شكاً، والكتاب طويل هذا شطره. انتهى من الشافي.

والسبب في تسميته الناقص كما في الكامل هو أنه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة، ورد العطاء إلى ما كان أيام هشام.

والسبب في أنه أمثلهم أنه كان على غير طريقة بني أميَّة في الجبر، وقد أشار في الكامل إلى ذلك في سياق ذكر عهده بالخلافة إلى إبراهيم ثم من بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فقال: ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لعما. انتهى.

والقدرية أسم يطلقه القوم في ذلك الزمان وإلى اليوم على من يقول بالعدل والتوحيد.

وفي مروج الذهب للمسعودي: وكان يزيد يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة: من التوحيد، والعدل، والوعيد، والأسماء والأحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انتهى.

غير أن أيام يزيد كانت قصيرة فلم يلبث في الخلافة إلا خمسة أشهر وليلتين، لذلك لم يحصل تأثير يخل بالمذهب الرسمي.

وأخـــوه إبـــراهيم ذو وهـــنٍ ... ثـــم الحـــمار أزيـــل بالقَسْـــرِ(١)
وبـــه تقضَّـــت دولـــة لَعِبَـــتْ ... بالـــدِّين فـــاتلوا ســـورة القَـــدْرِ
فحســابها ضُرِبَــتْ لهــم أجــلاً ... وتُصُرِّمـــوا في عـــدَّة الشَّـــهرِ

(١)- عجز هذا البيت في النسخة المطبوعة كالتالي: (ثم الحمار الجلد ذو الفُجْرِ).

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٣٢ هـ):

لما مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك قام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بموجب العقد له بولاية العهد من أخيه.

قال في الشافي:ثم قام بعده [أي بعد يزيد] إبراهيم بن الوليد، وكان في عداد ضعاف النسوان، لا يحلي ولا يُمِرّ، تارة يدعى بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة بغير ذلك.

بويع له في شهر ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائة، ثم خلع نفسه وسلّم الأمر إلى مروان بن محمد الجعدي وبايعه في صفر سنة ١٢٨هـ، فكانت ولايته شهرين وعشرة أيام.

مروان الحمار بن محمد بن مروان بن الحكم (ت ١٣٢هـ):

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، وأمه لبابة جارية إبراهيم بن الأشتر، كردية، أخذها محمد بن مروان من عسكر ابن الأشتر فولدت له مروان وعبد العزيز، ويقال إن خاله الجعد بن درهم، فلذلك يدعى: مروان الجعدي.

وقيل: لأنه أخذ الزندقة عنه، وكان زنديقاً.

وأوصى بقتل بناته إن ظُهر عليه، ويلقب بحمار الجزيرة.

بويع له في صفر سنة ١٢٨هـ، وكان لا يراعي من أمر الدين شيئاً على منهاج سلفه في انتهاك حرمة الإسلام، يغاري بين القبائل، وهو الذي خرج أمر بني أمية من يديه إلى بني العباس.

ولم يزل أمره مضطرباً مدة ولايته إلى أن زال أمره وانهزم من الزاب، ولحقه عبدالله بن علي يطوي البلاد بعده إلى أن توجه إلى مصر، وتبعه صالح بن علي بـ (بوصير) قرية من صعيد مصر، فقتله في ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ، وله تسع وخمسون سنة، فكانت ولايته خمس سنين وشهراً، إلى أن بويع

للسفاح وإلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وهو آخر الشجرة الملعونة، المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار. أفاد ذلك في الشافي.

قوله: (فاتلوا سورة القدر..) إلخ، إشارة إلى الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يذكر فيه عدد أيام ملك بني أمية، وهو: عن الحسن بن علي عليهما السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى بني أميَّة ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فنزلت سورة القدر:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ إلى قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر / ١-٣] يملكها بنو أميَّة.

قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص.

هذا وقد سبق ذكر رواة الحديث نقلاً عن هامش التحف لشيخنا رضي الله عنه.

(الدولة العباسية)

وإليـــك عباســـيَّة عُرفـــت ... بـــاللهو والأوتـــار والخمـــرِ
زعمـــوا بثـــأر محمَّـــدٍ نهضـــوا ... وأتـــى الخُراسَـــاني بالسُّـــمرِ
حتـــى اســـتقر سريـــر مُلْكِهِـــمُ ... وتمكنـــوا بـــالفتح والنصـــرِ
فبغـــوا عـــلى آل النبـــي وقـــد ... نـــالُوهُمُ بالقتـــل والأسرِ
فالقـــائم السَّـــفَّاح أوَّلُهـــا ... سَـــفَحَ الـــدماء كَسَـــافِحِ المطـــرِ

في الشافي: كانت الدعوة في خراسان إلى الرضى من آل محمد على أيدي الشيعة والدعاة، فلما ظهر أبومسلم على خراسان وصلت الجنود إلى العراق من طريق الأهواز وحلوان، واستولوا على الكوفة، وكان شعارهم: (يا لثارات زيد)، وظاهر الأمر طلب نقم الثأر لآل الرسول من بني أمية كما قال شاعرهم لما استقرّ أمرهم:

أصـبح الملـك ثابـت الأسـاس ... بالباهليـــل مـــن بنـــي العَبّـــاس

ومنها:

فـاذكروا مصرع الحسـين وزيـدٍ ... قتـــيلاً بجانـــب المهـــراس

المهراس: ماء بأُحُد قُتل إلى جنبه حمزة بن عبد المطلب عليه السلام.

وقال ابن المعتز:

ونحـن نهضـنا رافعـين شـعارنا ... بثـارات زيـد الخـير عنـد التجـارب

فلما خافت بنو العباس من الشام نهضوا إلى الكوفة وانكتموا فيها، وكان القائم بأمر الشيعة والجيوش الهاشمية أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع المعروف بالخلال لكون داره في الخلالين، وهو الذي قتلوه غيلة لما استتب لهم الأمر، وعادتهم جارية بقتل الأولياء إلى يومنا هذا،

ووصيتهم إلى صاحب الدعوة بخراسان أن اقتل على التهمة من بلغ خمسة أشبار، واقتل من قدرت عليه ممن نطق بالعربية.

ثم استخرجت الخراسانية بني العباس من الدار التي انكتموا فيها، وكان أبو سلمة ونقباء الشيعة يريدون عند تقوي الأمر الاختيار من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت بنو هاشم قد بايعوا محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام، وكان أبو جعفر ممن بايعه.

أبو العباس السَّفّاح (ت ١٣٦ هـ) واستغلاله لشعار أهل البيت عليهم السلام:

ولما ظهرت بنو العباس على حين فترة، والناس يتشحطون لبني هاشم، فاجتمع عليهم دهماء الناس، فبايعوا أبا العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبدالله بن عبد المدان، بويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي بالجدري بالأنبار بمدينته التي بناها وسماها الهاشمية في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وله اثنتان وثلاثون سنة ونصف، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وكان كريماً، واصلاً لبني هاشم وغيرهم، جزيل العطايا، وقيل: إنه أعطى عبدالله بن الحسن ألفي ألف درهم، ولم يصل قبله أحداً بمثلها.

وكان مقداماً على الدماء، غير متثبت في العهود والذمم، وسُمي بالسفاح، وأمر بامرأة هشام بن عبد الملك فشدخ رأسها بالعمد قصاصاً في أم ولد كانت لزيد بن

علي عليه السلام وقيل في امرأته؛ لأن يوسف بن عمر قتلها، فلما قتلها يوسف بن عمر أمر بقطع ثدييها وقتلها.

وأمر بهشام، فنبش من قبره، فوجد بحاله ؛ لأنه طلي بالصبر، لئلا يتغيّر، فأقاموه بين العقابين، فجلدوه ولحمه يتناثر، وحرّقوه بالنار، وفعلوا به كما فعل بزيد بن علي عليه السلام، ولم يزل مدة أيامه يقتل من ظفر به من بني أمية بأمان وغير أمان، وتفصيل شرحهم يطول.

وتوارى عنه: محمد وإبراهيم ابنا عبدالله بن الحسن مدة أيامه إلى أن توفي كما قدمنا. انتهى من الشافي.

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: ولا أعلمه [أي السفاح] قتل أحداً منهم، ولا أجرى إلى جليس له مكروهاً إلا أن محمدَ وإبراهيم خافاه فتواريا عنه. انتهى.

كيفية بداية الثورة العبَّاسية :

بدأ الضعف يظهر في خلافة بني أُمَيَّة عندما تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان مولعاً بشرب الخمر مدمناً عليه، منادماً للفُسَّاق والمغاني كما تقدم، فاستغل هذا الضعف دعاة العباسيين في خراسان أيما استغلال، وتراءا في الأفق حينئذٍ أن سلطان البيت الأموي يُؤْذِنُ بالسقوط، لا بما انتشر فيه من فساد الترف فحسب ؛ بل أيضاً لما نشب من خلاف عنيف بين أفرادهم ؛ إذ لم يلبثوا أن قتلوا الوليد، وأخذوا يتطاحنون على عرش الخلافة تطاحناً مُرّاً، وتغلب في آخر الأمر مروان بن محمد بن مروان غير أنهم نابذوه، وثاروا ضده، وانتهز الخوارج الفرصة فنازلوه في الموصل وفي اليمن وفي الحجاز.

وفي هذه الأثناء تولى أبو مسلم قيادة الدعوة في موطنه خراسان، وكان من دهاة الرجال ومن أكفأهم في النهوض بجلائل الأعمال، فأخذ يصور للناس فساد الحُكم الأموي وما يسومهم به من خسف وظلم، وكيف أنه سيملكهم الأرض ويجعلهم سادة بعد أن كانوا عبيداً مسترقين والناس يسمعون له ويحفون به وينضمون إلى

دعوته حتى كثف جمعهم،وحتى غدا نزاله لنصر بن سيار والي الأمويين هناك قاب قوسين أو أدنى غير أنه رأى أن يتمهل قليلاً قبل أن يبدأ مغامرته الخطيرة متخذاً لها من الأسباب ما يكفل النجاح المحقق، ولم يلبث أن عمد – بدهائه – إلى الإيقاع بين الكرماني ومن معه من القبائل اليمنية، وبين نصر بين سيار ومن معه من القبائل المُضَرِيَّة، واشتعلت الحرب بين الفئتين، وسفك فيها كثير من الدماء، حتى إذا وهنت قوة مضر أعلن أبو مسلم الثورة عليه وعلى من وراءه من الأمويين، وأخذت رايات العباسيين السوداء تخفق فوق جنوده، وحواضر خُراسان تسقط واحدة إثر أخرى تحت يده.

ويستصرخ نصر بن سيار مروان بن محمد وابن هبيرة واليه على العراق أن يمداه بالنجدات، ولكنهما كانا في شُغل عنه بثورات الخوارج في العراق وغير العراق، ويموت محمد بين الرَّي وهمدان.

وتتقدم جيوش أبي مسلم بقيادة قحطبة وابنه الحسن مستخلصة المدن والحصون مدينة مدينة، وحصناً حصناً، وما تلبث أن تقتحم العراق ويسرع ابن هبيرة للقائها عبر الفرات، ويحاول قحطبة أن يتجنبة متجهاً إلى الكوفة، ثم يلتقي به فتدور عليه – كما دارت على نصر بن سيار من قبله – الدوائر،، فينحاز بجيشه إلى واسط، ويُقتل قحطبة في ظروف غامضة، ويتولى القيادة بعده ابنه الحسن ويدخل الكوفة، دون أن يلقى أي مقاومة، وحينئذٍ تبرز إلى النور حكومة بني العباس السرية وعلى رأسها أبو سلمة الخلال.

وكان مروان بن محمد قد قبض قبل دخول الحسن بن قحطبة الكوفة بوقت قصير على إبراهيم بن محمد الإمام؛ إذ عرف أنه هو الذي يُدبِّر هذه الثورة من مقره من الحميمة، وعرف إبراهيم أنه قاتله، فعهد بالأمر من بعده إلى أخيه العباس أبي العباس السفاح، وقتل إبراهيم، ونقلت الأنباء إلى أبي العباس دخول الحسن بن قحطبة الكوفة، فخرج إليها في أهله يتقدمهم أعمامه: داوود، وعيسى، وصالح،

وعبدالله، وإسماعيل، وعبد الصمد، وأخوه أبو جعفر، وابن عمه عيسى بن موسى بن محمد.

وظل العباسيون – طول المدة السرية لدعوتهم – لا يذكرون للناس أنهم طلاب خلافة، وإنما يذكرون لهم أنهم يطلبون إسقاط الدولة الأموية الجائرَة التي طالما أرهقتهم بعسفها وظلمها، وطالما احتكرتهم لمآربها وشهواتها مع الاستبداد بالشعب واستعباده مع ما يعيش فيه الأمويون من ترف بالغ أفسد داؤه الحكم إفساداً لا صلاح لها بعه إلا بمحوهم محواً.

وبذلك وارى العباسيون أشخاصهم وقدموا القضية التي نصبوا أنفسهم للدفاع عنها قضية نصرة الحكم الصالح، ونصرة الحق والعدل على الباطل، والظلم المتصل، ولكي يُحكموا خطتهم كانوا لا يأخذون البيعة لأنفسهم بالخلافة إنما يأخذونها لإمام رضاً من آل البيت النبوي عليهم السلام، وذلك لميل الناس إلى أهل البيت عليهم السلام المتمثلين في أولاد فاطمة الزهراء، وتعلقهم بهم لما يعرفون من فضلهم ومنازلهم التي أوضحها التنزيل وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وحتى لا يثيروا أبناء عمهم العلويين عليهم، بل حتى يجمعوهم تحت لوائهم، وكانوا يشيعون دائماً أنهم نهضوا لهذا الآمر كي يثأروا للشهداء من أبناء فاطمة الزهراء.

وكان أبو سلمة الخلال الذي لقبوه بلقب ((وزير آل محمد)) يرى أن يختار للخلافة أحد أحفاد علي بن أبي طالب، ومن أجل ذلك أخفى أمر أبي العباس وأهله حين نزلوا الكوفة وعزلهم عزلاً تماماً عن جند خراسان، غير أن أبا العباس استطاع الاتصال بأبي مسلم إذ وجَّه إليه من أطلعه على نوايا أبي سلمة، فأرسل إليه وفداً من زعماء الدعوة بخراسان، سلموا عليه بالخلافة، واضطرا أبو سلمة أضطراراً أن يعلن تأييده له، واتجه أبو العبّاس توّاً إلى المسجد الجامع في الكوفة، فبايعه الناس، وارتقى المنبر، فاشرأبت إليه الأعناق، وأصغت إليه الآذان، فإذا هو يحتج بآي القرآن الكريم على أن بيته العبّاسي أحق بالخلافة من بيت العلويِّين، وكان متوعكاً فانقطع

عن متابعة الكلام، وتابعه عمه داوود متحدثاً باسمه ومؤكداً فضل الخُراسانيين في تحرير الأُمَّة من نير الأمويين، ومن حكمهم الباغي الفاسد، ولم يطمئن أبو العباس لمقامه في الكوفة، دار العلويين من قديم، فتحول عنها إلى معسكر الخراسانيين، ثم فارقه إلى الحيرة وأخذ في بناء الهاشمية لتكون مقر سلطانه، وأغرا أبا مسلم الخراساني بأبي سلمة فدس إليه من قتله.

وكانت الجيوش قد اتجهت لمتابعة حرب مروان بن محمد بقيادة عبدالله بن علي عم السفَّاح، فالتقت به على الزاب شمالي العراق، وهزمته وجيشه هزيمة ساحقة، فولى مع بعض فلول جيشه حتى حِرَّان وتركها إلى نهر أبي فُطْرس بفلسطين والأردن، وتبعه عبد الله بن علي، وتلقاه بلدان الشام بالتهليل والترحيب إلاّ ما كان من دمشق ولكنها سرعان ما أنقادت له وبرحها إلى نهر أبي فُطْرس، فإذا مروان قد أوى إلى مصر، فأرسل ورائه أخاه صالحاً فما زال يفر أمامه من بلدة إلى بلدة حتى لقي حتفه في بوصير من بلدان الصعيد لأواخر سنة ١٢٣٢هـ، وكان لا يزال يزيد بن عمر بن هبيرة يقاوم في واسط، وقد ضرب من حوله الحصار حتى إذا جاءه نعي مروان بن محمد أخذ يفاوض العباسيين في التسليم لهم، وسرعان ما عقدوا له أماناً فتح على أثره أبواب واسِط غير أنهم عادوا ففتكوا به وبكثيرين ممن كانوا معه.

وتذكر كتب التواريخ والأدب أن العباسيين مضوا يفتكون بأفراد البيت الأموي فتكاً ذريعاً يريدون أن يستأصلوهم من الأرض استئصالاً، وحتى موتاهم لم يفلتوا من هذا الثأر الصارم فقد نبشت قبور خلفائهم ما عدا قبري معاوية وعمر بن عبد العزيز، وحرقت بقايا جثثهم بالنار تحريقاً.

وقد كان هذا البطش الذي لا يبقي ولا يذر دافعاً لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى أن يلوذ بالفرار إلى الأندلس حيث أسس بها دولة أموية جديده استمرت نحو ثلاثمائة عام.

قال شيخنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وإليـــــك عباســـية عرفـــت بـــــاللهو والأوتـــــار والخمـــــر

أقول: لما استقرت الأمور وهدأت لملوك بني العباس وتيسرت لهم أسباب الرَّاحة والرَّفاهية مالوا إلى الرّاحة والرّفاهية، وتفننوا في ذلك وابدعوا، فطوَّروا الألحان وأصوات العيدان، ومهروا في تلقين ذلك الجواري والغلمان، وراج الخمر في ذلك العهد، وتحسنوا في صناعته، وكادت العلوم تنحصر في ذلك العهد في علم الغناء والعيدان، والخمر، فقد تعددت فنونه وتنوعت.

وقد اختار الرشيد من أصوات الِغنَّاء والألحان مائة صوت، واختار الواثق من المائة عشرة، وصنف أمير المؤمنين عبدالله بن المعتزل تصنيفاً بليغاً في تحليل الخمر متى مزجت بالماء.

وكان أبو العباس السَّفاح يشرب الخمر في الأسبوع ليلتين ولا يعين الليالي، كما كان مروان يفعل، وكان أبو جعفر يشرب الخمر عشية الثلاثاء من كل أسبوع، وكان المهدي والهادي يشربان يوماً ويدعان يوماً، وكان هارون يشرب في كل أسبوع، وربما قدم الأيام وأخرها، وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة، ثم أدمن الشراب في آخر أيامه عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة بعد المائتين إلى أن توفي، وكان المعتصم لا يشرب ليلة الخميس ولا يوم الجمعة، ويشرب فيما سوى ذلك، وكان الواثق ربما أدمن الشرب إلاَّ ليلة الجمعة ويومها. أفاد ذلك في الشافي.

قال أبو فراس بن حمدان وهو يمدح أهل البيت ويذكر مساوئ خلفاء بني العباس في قصيدته الميمية المشهورة التي أولها.

الـــدِّين مخـــترم والحـــق مهتضـــم وفيَـــــئُ آلِ رســـــول الله مقتســـــم

يقول فيها:

ولا يبيت لهم خنثى ينادمهم ... ولا يرى لهم قرد ولا حشم

ما في بيوتهم للخمر معتصر ... ولا ديارهم للسوء معتصم

البيت والركن والأستار تعرفهم ... وزمزم والصفا والحِجْر والحرم

تُنْشا التلاوة من أبياتهم حقباً ... ومن بيوتكموا الأوتار والنغَم

منهم علية أم منكم وهل لهم ... شيخ المغنين إبراهيم أم لكم

إذا تلوا آية غنا أمامكم ... قف بالطلول التي لم يعفها القدم

هذا وقد اشتهر عنهم مناكير سِوَى ما ذكرنا.

قال ابن الرومي في قصيدته الجيمية التي رثى بها يحيى بن عمر:

لئن لم يكن بالهاشميين عاهة ... لما شكلكم تالله إلا المعلج (١)

بآية أن لا يبرح المرؤ منكم ... يتل على حر الجبين فيعفج (٢)

يبيت إذا الصهباء روت عظامه ... يساوره علج من الروم أعلج

فطبعنه في سبة السوء طعنةً ... يقوم لها من تحته وهو أفحج(٣)

فهل عاهة إلا كهذا وإنكم ... لأكذب مسؤول عن الحق يلهج

فلا تجلسوا وسط المجالس حسراً ... ولا تركبوا إلا ركائب تحدج

أبى الله إلاَّ أن يطيبوا وتخبثوا ... وأن يسبقوا بالصالحات ويفلجوا

قوله: (وأتى الخُرَاسَاني بالسمر).

الخراساني هو أبو مسلم الخراساني، أكبر دعاة بني العباس، أرسله إبراهيم الإمام إلى خراسان، ومن وصيته له:.. واقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع

(١)- المعلج: المولد بين جنسين.

(٢)- العفج: الجماع.

(٣)- الأفحج: المتباعد ما بين الرجلين.

بخراسان من يتكلم العربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله. (الكامل).

إبراهيم الإمام هو أن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، وهو أخو السفاح، قتل إبراهيم في سجن مروان الحمار، وقد اختلف في صفة قتله، وكان قتله قبل هزيمة مروان بجمعة.

وأبو مسلم الخراساني هو الذي قامت دولة العباسيين بسيفه، وكان جريئاً على سفك الدماء، فقد أربى في ذلك على الحجاج بن يوسف كما قيل.

والسمر هم أهل خراسان، سماهم شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (سمراً) للباسهم السّواد، والمراد بهم الجيش الذين أتى بهم أبو مسلم من خراسان، أتى بهم من هناك لاستكمال مشواره في سحق جيوش مروان، واستئصال ما بقي من سلطان بني أمية.

ولم يأت أبو مسلم بجيشه الخراساني من خراسان وما إليها إلاَّ بعد أن سحق بجيشه ذلك سلطان بني أمية في تلك البلاد، وقتل كل من له صلة بذلك السلطان من قريب أو بعيد، واسم أبي مسلم عبدالرحمن بن مسلم.

وفي أول أيام دولة السفاح قَتَل أبو مسلم اثنين من كبار دعاة الدولة هما أبو سلمة الخلال الذي كان يقال له: وزير آل محمد، وسليمان بن كثير.

أما أبو سلمة الخلال فقد اتهم بأنه كان يريد تحويل السلطان إلى آل أبي طالب، وذلك أنه – أي أبا سلمة – عندما قدم عليه السفاح ومن معه من بني العباس الكوفة، وهو في معسكره أخفى بني العباس أربعين ليلة، وكان الناس يسألونه عن الإمام وعن قدوم الإمام فيقول: لم يقدم بعد:

وأما سليمان بن كثير فإن أبا مسلم أحضره وقال له: اتحفظ قول الإمام لي: من اتهمته فاقتله؟

قال: نعم.

قال: فإني قد اتهمتك. وأمر بضرب عنقه.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فبغوا على آل النبي...) البيت. يتمثل ذلك فيما يأتي:

(١)-أن الدعوة إلى الثورة في وجه طغيان بني أمية قد كانت إلى الرضى من آل محمد، ولم تكن إلى خصوص بني العباس، وقد كان الرضى هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، بايعه بالإمامة والخلافة أبو جعفر المنصور وغيره، وبايعه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وعلى هذا فالدعوة في الحقيقة هي إلى محمد بن عبد الله النفس الزكية عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبغى بنو العباس وأخذوا ما ليس لهم من الإمامة والخلافة.

هذا مع أن بني العباس لا حق لهم في الخلافة أصلاً من جهتين اثنتين:

الأولى: أنه لا حق للطلقاء في الخلافة، ولا لأبناء الطلقاء، وذلك حسب ما تقرر بين الصحابة.

الثانية: أن الخلافة حق خاص بعترة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حسب ما تفيده الأدلة المتكاثرة المتظاهرة المشهورة والمتواترة، كحديث الثقلين، والمنزلة، والغدير، ولا تقدموهم، وغيره كثير في السنة، وهذا بالإضافة إلى ما تفيده الأدلة القرآنية وتشير إليه كآية التطهير، والمودة، والمباهلة، والولاية، وغير ذلك.

(٢)-البغي على أعراض أهل البيت وأبشارهم ودمائهم، فقد أسرف بنو العباس في ذلك وأكثروا، فلو ذهبْتَ تحصي قتلى أبي جعفر المنصور الذين قتلهم من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أيامه خاصة لزادت أعداد قتلاه على أعداد قتلى بني أمية جميعاً منذ عهد معاوية ويزيد إلى آخر ملوك بني أمية (مروان الحمار).

قال أبو فِرَاس:

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت ... تلك الجرائر إلا دون نيلكم

وفي أيام المقتدر قتل أكثر من أربعة أضعاف من قتلهم أبو جعفر المنصور.

قوله: (السفَّاح)، سُمِّيَ الخليفة الأول بالسفَّاح لكثرة ما سفح من الدماء في عهده على أيدي دعاته وأنصاره بأمره، وقد كان في وصايا بني العباس لدعاتهم ما أوصوا به أبا مسلم الخراساني: واتهم ربيعة على أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل، وإيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله.

فأنت ترى كيف أغرى بنو العباس داعيتهم الكبير بقبيلتين ربيعة ومضر، وهاتان القبيلتان جامعتان لجميع القبائل العدنانية.

العوامل التي تجعل حكام الجَور يتمسكون بالمذاهب المنحرفة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام:

هذا وكان من المفروض عادةً على العباسيين تغيير المذهب الفكري الذي كانت تنتهجه سلاطين بني أمية، وأن تتبنَّى لها منهجاً آخر بدلاً عنه.

وقد حاول بعض الخلفاء العباسيين تغيير ذلك؛ غير أن ذلك لم يتم له بالنجاح، ولعل السبب الذي صرف العباسيين عن التغيير المذكور مع شدة حنقهم على بني أمية هو أن مذهب بني أمية مذهب تأسس وبُيِّتَتْ قواعده من أجل مصالح سياسية عائدة إلى خلفاء بني أمية، لذلك فقد اضطر العباسيون إلى المحافظة على ذلك المذهب الأموي للإبقاء على سلطانهم والحفاظ على كيانهم.

ولنُشِر إلى شيءٍ من ذلك المذهب الأموي مما يتعلق بهذا الباب فنقول:

من مذهبهم:

(١)-وجوب طاعة السلطان وإن كان ظالماً فاجراً، ولم يستثنوا إلا الكافر كفراً بواحاً، فقد أوجبوا طاعة السلطان الخمير السكير الظالم الفاسق من أُمَّة محمد وسموه أمير المؤمنين.

(٢)-حرموا الخروج على من كان كذلك، فمن جاهده غضباً لله حكموا عليه بالقتل وسموه خارجاً مفرقاً لجماعة الأُمَّة.

(٣)-يحكمون لمن كان كذلك من سلاطين الجور، والمنتهكين لكبائر الذنوب، المفسدين في الأرض، الظالمين لعباد الله بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رووا في صحاحهم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))، و ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنى وزعم أنه مسلم)).

(٤)-يحكمون أيضاً لمن كان كذلك باسم الإيمان.

(٥)-يذهبون إلى أن ما حصل من السلطان من كبائر الإثم والعدوان وجرائم القتل والظلم إنما حصل بقضاءٍ من الله وقدر، وأن الله قد أراد ذلك وشاءه، بل إنه جَلَّ شَأْنُهُ وعلا هو الذي تولى فعل ذلك لا فاعل له سواه، وهذا عندهم من تمام التوحيد.

(٦)-معاداة أولياء الله المخلصين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، ومحاربتهم ومطاردتهم، وسبهم وشتمهم، والتقرب إلى الله بذلك، وتسميتهم زنادقة، و...، و... إلخ.

موالاة أعداء الله المشهورين بالفسوق والظلم في القرن الأول الإسلامي من الصحابة والتابعين، وإحلالهم منازل الكرامة العُليا، وتجليلهم بثياب القداسة والحصانة، فبأيهم اقتديتم اهتديتم.

وقالو فيما رووا: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

ثم أغلقوا باب الاستنكار والنقد والعيب، فقالوا فيمن ذكر معاوية، أو مروان، أو الوليد بن عقبة: إنه قد خرج من الإسلام تماماً، فيسمونه زنديقاً.

إلى غير ذلك من المذاهب التي صاغها معاوية ومن تلاه من سلاطين بني أُمَيَّة من أجل شد أركان خلافتهم، وتثبيت دعائمها والحفاظ على سلامتها واستمرارها، وإنما ذكرنا نماذج من مذاهب بني أُمَيَّة من أجل أن نُبَيِّن أن خلفاء بني العباس اضطروا إلى انتهاج سنن معاوية وبني أمية من أجل المحافظة على سلطانهم، ومن

أجل أن نُبيِّن للقارئ أمثلةً من صلب عقيدة أولئك لينظر فيها الناظر، ويبحث عما وراءها من عقائدهم، والله المستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

وأخــــوه عبـــدالله مخـــذولٌ   وَيْـلُ الشَّـقِيِّ غـداً لـدى الحشـرِ

(أبو جعفر الملقب بالمنصور)

عبدالله بن محمد بن علي - السفاح الثاني - ت ٥٨ هـ :

هذا هو الخليفة الثاني من خلفاء بني العباس، واسمه كاسم أخيه السفّاح عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم. في الشافي: بويع له يوم مات أخوه، وكان يومئذٍ بمكة، وقام عمه عيسى بن علي ببيعته، وأتته الخلافة وهو بطريق مكة بالصافية، فقال: صفا لنا الأمر إن شاء الله تعالى.

وتوفي عند بئر ميمون على أميال من مكة في يوم السبت السادس من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ، وكان أبو جعفر يكنى: أبا الدوانيق لحرصه على جمع المال.

وكان لا يفي بالذمة، ولا يلتزم العقد، ويخدع في العهد، ويعدّ ذلك حزماً.

وكان يعجز أخاه في ترك بعض الغدرات، وإن كان قد فعل ما في بعضه كفاية، من قتل ابن هبيرة، وقتل أبي سلمة الخلال الذي وطد الملك، وكانوا يسمونه وزير آل محمد، وقتل سليمان بن كثير صاحب الدعوة بخراسان، إلى غير ذلك.

فلما قام أبو جعفر غلب السيل الوشل، وزاحت عن العذر العلل، فقتل أبا مسلم بعد ما لا يحصى من العهود، وكذلك عمه عبدالله بن علي، وحاول قتل عيسى بن موسى غيلة، فأعجزت فيه الحيلة فجاهره في خلع نفسه عن ولاية العهد. انتهى.

قتل أبي جعفر لأهل البـ عليهم السلام وشيعتهم :

السبب في ذلك أن أبا جعفر المنصور وأخاه إبراهيم الإمام وعمه صالح بن عبدالله بن عباس في جماعة من بني هاشم كانوا قد أجمعوا وبايعوا لمحمد بن عبدالله النفس الزكية بالإمامة.

فلما ولي أبو جعفر الخلافة بعد أخيه السفاح طلب محمد بن عبدالله وأخاه إبراهيم أشد الطلب فلم يقدر عليهما.

فحبس من أجل ذلك أباهما عبدالله بن الحسن وإخوته وجماعة من أهل بيته، وكان هذا الحبس في المدينة، ثم أحضرهم إلى الكوفة فحبسهم بها، وكان هذا من أجل أن يأتوه بمحمد بن عبدالله وأخيه إبراهيم.

فلما ظهر محمد بن عبدالله بالمدينة، وأعلن الحرب على بني العباس، وقتل في تلك الحرب، قتل أبو جعفر آل الحسن وهم على ما ذكره أبو الفرج في مقاتل الطالبيين:

(١)-عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قُتِل في محبسه.

(٢)-الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

(٣)-إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وأم الثلاثة هي: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وإبراهيم أولهم في مفارقة الحياة.

(٤)-علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب،وكان يقال له العابد،وكانوا لا يعرفون في حبسهم الليل من النهار، وإنما يعرفون أوقات الصلاة بوظائف ذِكْره، وكان مُجاب الدعوة، فقال له عمه عبدالله بن الحسن: ألا تدعوا فيفرّج عنّا. قال: إن لنا منزلة في الجنة لا نبلغها إلا بمثل هذا، أو بما هو أعظم، وإن لأبي جعفر منزلة في النار لا يبلغها حتى يبلغ منا مثل هذه البلية، أو ما هو أعظم، فإن شئت أن تصبر فما أوشك أن تموت وتستريح، وإن شئت أن ندعو الله أن يفرِّج عنّا ويقصر بأبي جعفر غايته التي له في النار فعلنا. قال عمه: أصبر.

(٥)-العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قالت أمه عائشة بنت طلحة يوم أُخِذَ العباس ابنها: دعوني أَشْمُّهُ شَمَّةً، وأضمُّهُ ضَمَّةً. فقالوا: لا والله ما دمت في الدنيا حية.

(٦)-إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يقال له طباطبا، سَأل بعض من كان معهم في سجن إبي الدوانيق: كيف كان صبرهم؟ قال: كانوا صبراء،وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب، كلما أوقد عليها نار ازدادت خلاصاً، وهو إسماعيل بن إبراهيم، كان كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبراً.

محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، نظر إليه أبو جعفر – لعنه الله – وقال له: أنت الديباج الأصفر؟ قال: نعم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك. ثم أمر بأسطوانة مبنية، ففرقت ثم أدخل فيها فبُنِيَت عليه وهو حي. وكان محمد يسمى بالديباج الأصفر، وكان الناس يختلفون إليه فينظرون إلى حُسنه.

علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا وقد قتل مع هؤلاء في سجن أبي جعفر محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، وكان أخاً لعبدالله بن الحسن من أمه، وكان يهوى هواه، وكان عبدالله يحبُّه حباً شديداً فأُخذ معهم وسُجِن وقُتِل.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن إسحاق وإسماعيل ابنا إبراهيم بن الحسن بن الحسن في جملة من قُتِل. أفاد كل هذا في مقاتل الطالبيين.

وقَتَل أبو جعفر النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن في المدينة، قتله عيسى بن موسى، وحميد بن قحطبة في جيش أقبلا به من العراق، واحتز رأسه حميد بن قحطبة.

وقتل بعد ذلك الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن في البصرة في مكان يقال له با خمرى، قتله عيسى بن موسى أيضاً.

وقتل أبو جعفر غير من ذكرنا من آل الحسن ومن آل أبي طالب رضوان الله عليهم، والغرض هنا الإشارة إلى بغي العباسيين وظلمهم لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإسرافهم في دمائهم وإزهاق أنفسهم.

وهناك الكثير من أولاد علي عليه السلام خصوصاً، ومن آل أبي طالب عموماً، أودعهم أبو جعفر في ظُلمات السجون، وصبَّ عَلَيْهِمُ حر السياط، ومزق جلودهم بنارها كما فعل بموسى بن عبدالله بن الحسن، فإنه جلده ستمائة جلدة. وهكذا فعل أبو جعفر بأنصار محمد بن عبدالله وأشياع أخيه إبراهيم، فإنه تتبعهم وألحق بهم ألوان العذاب من القتل والجلد والسجن وأنواع الإهانة.

وفي الحديث: ((ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة..)) الحديث.

أول من سن ظلم أهل ا يت(ع):

أول من سن ظلم أهل البيت عليهم السلام بالقتل والقتال هو معاوية بن أبي سفيان فإنه فعل ما هو ظاهر مشهور، فإنه قاتل علياً عليه السلام، وقتل الحسن، وأظهر العداوة التي لا غاية بعدها لأهل البيت عليهم السلام، فأمر المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها بلعن علي عليه السلام.

وأمر بالبراءة من دين علي، وقتل كل من كان يُحبُّ علياً وأهل بيته، وجعل ذلك ديناً وسنة وشريعة يتقرب المسلمون بها إلى الله.

فسار على هذ السنة الخبيثة من تلاه من خلفاء بني أمية، ثم مَنْ جاء بعدهم من خلفاء بني العباس، فقد ساروا على أعقابهم، وسلكوا سبيلهم، فقتلوا أهل البيت عليهم السلام وشردوهم، و... إلخ، وكما ذكرنا سابقاً فقد جعلوا ذلك الصنيع بأهل البيت عليهم السلام ديناً وشريعة يتقربون إلى الله بفعله.

وسموا أولئك الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر خوارج مفرقين لجماعة الأُمَّة، خارجين عن الطاعة وعن السنة والجماعة، وروافض، و.... إلخ.

وقد ذكرنا فيما تقدم نماذج وأمثلة من مذاهب بني أمية لتوضيح أنه مذهب سياسي صاغه خلفاء بني أمية منذ خليفتهم الأول لحماية سلطانهم، وأنه لا صلة له بالإسلام.

دعوة أهل البيت عليهم السلام ورفض الظالمين له :

إذاً فالسبب في حصول ما حصل من العداء والقتل لأهل البيت عليهم السلام هو:

(١)-أنهم يدعون إلى الدين الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويبينونه للناس.

(٢)-في ظهور الحق الذي يدعون إليه خطورة مؤكدة على سلاطين الجور.

(٣)-لا مكان لسلاطين الجور وفسقة الولاة في دين المسلمين ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة/ ١٢٤]، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود/ ١١٣].

(٤)-الدين الحق يحكم على شارب الخمر، والزاني، ومرتكب اللواط، والظالم، والقاتل، وغيرهم من مرتكبي الجرائم بأحكام جزائية وحدود زاجرة.

ومن أروع الأمثلة ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).

وما روي عن علي عليه السلام: والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت لما كان لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما.. إلخ.

وما روي أنه عليه السلام أمر برد القطائع والصلات التي أقطعها عثمان من مال الله، ولو كانوا قد نكحوا بها النساء، واشتروا الإماء.

(٥)-الحق لا يبرز أعمال الظالمين بالقضاء والقدر ومشيئة الله وإرادته، ولا يسمى الظالم مؤمنا، ولا يُمنِّيه بدخول الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بـ((لا إله إلا الله)) وحدها، ولا يدعو الناس إلى السكوت عن الظالم وعيبه كما هو الحال عند أهل البيت، ولا.. إلخ.

(٦)-الدين الحق يدعوا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويأمر أهله بأن لا يخشوا في الله لومة لائم.

فلمثل ما ذكرنا تأكدت معرفة الظالمين أنه لا عيش لهم ولا بقاء مع الدين الحق، فلذلك اشتدت عنايتهم في قتل أهل الحق ومطاردتهم، وبذلوا في ذلك كل غالٍ ورخيص، وسعوا بكل جِدٍ واجتهاد إلى دعم مذهب معاوية والترويج له، وطمس مذهب أهل البيت عليهم السلام، وخنقه، وقلعه من جذوره، وتنظيف الحواضر الإسلامية من آثاره.

وقد كان معاوية هو أول من فتح باب الظلم بالقتل والقتال لأهل البيت عليهم السلام من أجل ما ذكرنا، وتبعه في ذلك بنو أمية ثم بنو العباس.

وقد اختص معاوية وبنو أمية بعداء خاص لبني هاشم ولا سيما آل أبي سفيان توارثوه خلفاً عن سلف.

في هذين البيتين ثلاثة من بغاة العباس:

المهدي أبو العباس محمد بن عبدالله بن محمد ت ٦٩ هـ :

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، بويع له بعهدٍ من

وَمُضِلُّهم يُدْعَى بِمَهدِيٍّ(١) وابناه موسى أَقْصَرُ العمرِ
وأخوه هارون الغويُّ وما قَصُرَتْ لياليه عن السُّكرِ

أبيه أبي جعفر المنصور يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي بماسندان سنة تسع وستين ومائة، وصلى عليه ولده المسمى بالرشيد، وكان منهمكاً في المعاصي واللّذات والملاهي، وكان كثير التولية والعزل لغير سبب، وكانت له عناية في طلب فضلاء أهل البيت عليهم السلام لقتلهم واستئصال شافتهم،، فسلم بعض، وأدرك مراده في بعض.

(١) – ومضلهم سموه مهدياً (نخ).

أخبار الإمام عيسى بن زيد بن د عليهم السلام ت ٦٦ ه :

وكان من طلباته عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام، المكنى مُؤْتِم الأشبال، وذلك أنه لما انصرف مع المنهزمين من وقعة با خمرى عرضت للناس لبوة معها أشبالها، فمنعت الناس الطريق، فأخذ سيفه ودرقته وبرز لها فقتلها، فقال له بعض خدمه: يا سيدي، أيتمت أشبالها !.

قال: نعم أنا مؤتم الأشبال.

وقد كانت الشيعة إذا أرادوا الكناية عنه قالوا: قال مؤتم الأشبال كذا، وفعل مؤتم الأشبال كذا، مبينين مكانه.

وكان قد بُذل له مال جليل ليخرج ويأمن، فعذله بعض أصحابه وقال: أرحنا مما نحن فيه من الخوف، وخذ هذه الأموال.

فقال عليه السلام: لئن يبيتوا ليلة خائفين مني وأبيت ليلة خائفاً منهم أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها.

علي بن العباس بن الحسن بن الحسن(ع):

وممن مات مسموماً مظلوماً بسطوتهم مهضوماً من أهل البيت عليهم السلام في هذا العهد علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان من فضلاء آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يخافهم إلا خيار عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى كان جواسيسه تتفرق في الآفاق وتسأل دهماء الناس: مَنْ علمتم من أهل هذا البيت من عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعرف بعلم أو صلاح. فإذا أعلموا صاحبهم دسَّ إليه السُّم، أو قبضه إلى السجن، وكان علي بن العباس عليه السلام قد دعا إلى نفسه ببغداد واستجابت له جماعة وافرة من الزيدية فدس عليه الجواسيس، فجاؤوه بعلمه فقبض عليه قبل استحكام أمره، ولم يزل في حبسه إلى أن وفد عليه الحسين بن علي الفَخِّي عليه السلام فكلمه فيه، واستوهبه. فوهبه له، فدس إليه شربة سُم، فلم تزل تعمل فيه حتى قدم المدينة فتفسخ لحمه وتباينت أعضاؤه بعد دخول المدينة بثلاثة أيام.

عودة إلى ذكر عيسى بن زيد(ع):

ومات عيسى بن زيد عليه السلام في تواريه، فلما بلغ المهدي نبأ موته خَرَّ ساجداً.

وكان عيسى بن زيد شجاعاً، ورعاً، تقيّاً، عالماً، زاهداً، نافذ البصيرة، وله مقامات في القتال عجيبة، ولولا ميلنا في كتابنا إلى الاختصار لحققنا أحوالهم عليهم السلام تحقيقاً بليغاً، ولكنا نذكر ما يدل على ما وراءه، فمن طلبه وجده في أخبار أهل البيت عليهم السلام في كتب جَمَّة مضبوطة بالأسانيد الصحيحة.

وكان كثير العلم واسع الرواية، وقد روى عن أبيه، وعن جعفر بن محمد، وعن أخيه عبدالله بن محمد، هؤلاء من أهل البيت عليهم السلام.

وعن سفيان بن سعيد الثوري، والحسن بن صالح بن حيي، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن أبي زياد، والحسن بن عمارة، ومالك بن أنس، وعبد الله بن عمر العمري، ونظرائهم كثير عددهم، فهؤلاء الذين أَخَذَ العلم عنهم من العامة.

وكان مطبوعاً على العلم حريصاً عليه من حال صغره، وانطوى ديوانه على عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة دون غيرهم، فقال له ذات يوم الحسن بن صالح – رحمه الله –: إلى متى تُسَوِّف القيام وهذا ديوانك قد انطوى على عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة دون غيرهم؟ فقال: أتفرحني بكثرة الأعداد وأنا بهم عارف؟ فإني والله لو وجدت فيهم ثلاث مائة رجل أَعْلَمُ أنهم يريدون الله، ويبذلون أنفسهم له، ويصدقون لقاء عدوه في طاعته، لخرجت قبل الصباح حتى أبلي عند الله عذراً في أعدائه، وأجري المسلمين على سنته وسنة نبيه؛ ولكن لا أعرف موضع ثقة يفي ببيعته لله، ويثبت عند اللقاء.

قال: فبكى الحسن بن صالح حتى سقط مغشياً عليه.

وكان ممن يقوم بخدمته جعفر الأحمر، وصباح الزعفراني، وخصيب الوانسي وكان من أفاضل الشيعة، وكان له بلاءٌ بين يدي محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن

الحسن عليه السلام. وكان علي بن عبدالله ممن خرج مع محمد بن عبدالله، وتوارى أيام أبي جعفر.

روى أبو الفرج في كتابه الصغير في أخبار آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن عبدالله بن زيدان البجلي، قال: حدثني سعيد بن عمرو بن جنادة البجلي، قال: كان الحسن بن صالح وعيسى بن زيد بمنى اختلفا في مسألة من السيرة، فبينما هما يتناظران فيها إذ جاء رجل وقال: قَدِم سفيان الثوري.

فقال الحسن بن صالح: قد جاء الشفاء.

فقال عيسى بن زيد: فأنا أسأل عن هذا الذي اختلفنا فيه.

وسأل عن موضعه فأخبرته، فقام إليه، ومضى إلى سفيان فسأله عن المسألة، فأبى سفيان أن يجيبه خوفاً على نفسه من الجواب؛ لأنه كان فيه شيءٌ على السلطان.

فقال له حسن بن صالح: إنه عيسى بن زيد.

فتنبه سفيان واستوفز، ثم نظر إلى عيسى كالمستثقل له فتقدم إليه وقال: نعم، أنا عيسى ابن زيد.

فقال له: أحتاج إلى من يعرفك. لأن الغيبة كانت قد نكرت حاله.

فقال: أجيبك بجناب بن بسطاس؟

قال: إفعل.

فأتى جناب فقال: فقال نعم يا عبد الله، هذا عيسى بن زيد.

فبكى سفيان فأكثر في البكاء، وقام من مجلسه فأجلسه فيه، وجلس بين يديه، فأجابه عن المسألة ثم أودعه وانصرف، وكان سفيان يقول: حُبُّ بني فاطمة والجزع لهم مما هم عليه من الخوف والقتل والتطريد يُبكي من في قلبه شيءٌ من الإيمان.

وحكى أبو الفرج في كتابه الصغير، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني محمد بن سالم بن عبد الرحمن، قال: قال لي علي بن الأحمر: حدثني أبي، قال: كنت أجتمع أنا وعيسى بن زيد، والحسن وعلي ابنا صالح بن حيي، وإسرائيل بن

يونس بن إسحاق، وجناب بن بسطاس، في جماعة من الزيدية في دار بالكوفة، فسعى ساع بأمرنا إلى المهدي ودلهم على الدار، وكتب إلى عامله بالكوفة بوضع الأرصاد علينا، فمتى اجتمعنا كبَسَنَا وأخذنا ووجَّه بنا إليه.

فاجتمعنا ليلة في تلك الدار وبلغه خبرنا، فهجم علينا، ونَذِر[1] القوم وكانوا في علو الدار، فتفرقوا ونجوا جميعاً، فأخذني وحملني إلى المهدي فدخلت عليه، فلما رآني شتمني بالزاني وقال لي:: يا ابن الفاعلة ؛ أنت الذي تجتمع مع عيسى بن زيد تحثه على الخروج عليّ، وتدعوا إليه الناس؟

فقلت له: يا هذا ؛ أما تستحي، ألا تتقي الله ولا تخافه، تقذف المحصنات وتقذفهن بالفاحشة، وقد كان ينبغي لك ويلزمك من دينك وما وليته أن لو سمعت سفيهاً يقول مثل ذلك أن تقيم عليه الحد؟

فأعاد شتمي، ثم وثب إليّ، وجعل يضربني بيده، ويخبطني برجليه ويشتمني، فقلت: إنك لشجاع حتى قويت على شيخ مثلي، تضربه لا يقدر على المنع من نفسه، ولا الانتصار لها.

فأمر بحبسي والضيق عليّ، فقيدت بقيد ثقيل، وحبست سنين، فلما بلغه وفاة عيسى بن زيد بعث إليّ فدعاني وقال: من أي الناس أنت؟

قلت: من المسلمين

قال أنت: عربي؟

قلت: لا.

قال: فمن أي الناس؟

قلت: كان أبي عبداً لبعض أهل الكوفة فأعتقه فهو أبي.

قال لي: إن عيسى بن زيد قد مات.

(١) – نَذِرَ القوم بالعدوّ: علموا، وبابه طَرِبَ. انتهى من مختار الصحاح.

فقلت: أَعْظِم بها مصيبة، رحمه الله تعالىٰ، لقد كان عبداً ورعاً، مجتهداً في طاعة الله، غير خائف لومة لائم.

ثم قال: أما علمت بوفاته؟

قلت: بلىٰ !.

قال: فلم لا تبشرني بوفاته؟!.

قلت: لم أحب أن أسرَّك بأمر، لو عاش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فعرفه لساءه.

فأطرق طويلاً ثم قال: ما أرىٰ في جسمك فضلاً للعقوبة، وأخاف أن أستعمل شيئاً منها فتموت، وقد كُفيت عدوي، فانصرف في غير حفظ الله، والله لئن عدت لمثل ما فعلت لأضربنَّ عنقك.

قال: فانصرفتُ إلىٰ الكوفة، فقال المهدي للربيع: أما ترىٰ قلة خوفه وشدة قلبه؟ هكذا والله تكون البصائر. أفاد ذلك في الشافي.

الهادي العبّاسي موسى بن محمد بن أبي جعفر المنصور
(ت ٧٩ ه :

اسمه موسىٰ بن محمد بن أبي جعفر المنصور، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بموجب عهد تقدم به أبوه، وتوفىٰ ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٩هـ، وكان جباراً عنيداً، فظاً غليظاً، غيوراً حسوداً، قَلَّ من يسلم لسطوته من جلسائه إلاَّ من عرف غرضه وتوخىٰ أمره.

أخبار الإمام الحسين بن علي الفخي (ت ٦٩ هـ :

وممن قتل في أيامه من أهل البيت: الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فقتلته جيوش موسى الهادي بـ(فَخٍّ)، وكان قواد هذه الجيوش الظالمة على ما ذكره أبوالفرج في مقاتل الطالبيين: العباس بن محمد، وموسى بن عيسى، وجعفر ومحمد ابنا سليمان، ومبارك التركي، ومنارة، والحسن الحاجب، والحسين بن يقطين.

وقد كانت هذه القتلة في يوم التروية في وقت صلاة الصبح، وقُتِل مع الحسين الفَخِّي في هذه المعركة سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عَلَيْهِمُ جميعاً.

وفي هذه المعركة حُزَّت رؤوس القتلى، وجيء بها إلى موسى الهادي في العراق، وجيء إليه بالأسرى، فأمر بضرب أعناقهم، ثم صلب نفر منهم، وكانت رؤوس القتلى التي حُزَّ مائة ونيفاً فيها رؤوس الحسين الفَخِّي، وسليمان بن عبدالله.

ومما رثي به الحسين بن علي قول عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب كما في مقاتل الطالبيين:

فلأبكين على الحسين ... ن بعولة وعلى الحسن

وعلى ابن عاتكة الذي ... اثووه ليس بذي كفن

تركوا بفخّ غدوة ... في غير منزلة الوطن

كانوا كراما فانقضوا ... لا طائشين ولا جبن

غسلوا المذلة عنهم ... غسل الثياب من الدرن

هُدِيَ العباد بجدهم ... فلهم على الناس المنن

ابن عاتكة هو عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن.

روى في مقاتل الطالبيين بسنده إلى زيد بن علي عليهما السلام قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى موضع فخّ فصلى بأصحابه صلاة الجنازة ثم قال: ((يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة)).

وروى أيضاً بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بـ(بفخ)، فنزل فصلى ركعتين، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ((ما يبكيكم؟)).

قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يارسول الله.

قال: ((نزل عليَّ جبريل لما صليت الركعة الاولى، فقال: يامحمد؛ إن رجلا من ولدك يقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين)).

وروى أيضاً بسنده عن جعفر بن محمد: أنه نزل في فخ، فصلى، وقال: ((يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة)).

وروى أيضاً عن عبدالله بن الحسن: أنه قال: ((يقتل في هذا الموضع [أي فخ] رجل من أهل بيتي يتعادى عليه الحاج..)).

وفي الشافي: لما حضرت محمد بن سليمان الوفاة [وكان أحد قُوَّاد الجيش الذي قَتَل الفخي] جعلوا يلقنونه الشهادة، فلم يفصح بها لسانه ؛ إلا أنه يقول:

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكن شهدت حسيناً يوم فَخٍّ ولا حسن

فلم يزل يردد هذا البيت حتى مات.

وقوله في البيت: (ذوالغمر) معناه ذو الحقد، فقد كان موسى الهادي شديد الحقد، غيوراً حسوداً، جباراً عنيداً.

وبعد ؛ فإنه يكفي العاقل اللبيب من معرفة ضلال الأُمة أن يراها تُناصر وتُشايع مثل هذا الجبار العنيد وأن يكون لها إماماً، وتكون له أتباعاً وأشياعاً، وقد قال

تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المجادلة / ٢٢].

ومن هنا ومن ما سبق وما يلحق يتبين للناظر صحة قول شيخنا الناظم – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فيما سبق: ((وتوسعت لأئمة الكفر))، وحقاً فإنهم بريئون من الإسلام – أعني الأئمة الذين عناهم الناظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وأولهم معاوية، ثم إلى آخر خلفاء الدولتين، فإن سمات الكُفر عَلَيْهِمُ ظاهرة ؛ بل إنهم قد أحاطوا بالكفر من جميع جوانبه، وأخذوا بجميع أكنافه، وتجاوزوا بأفعالهم وجرائمهم الفراعنة والقياصرة والأكاسرة، ولم يدعوا باباً من أبواب الكُفر والضلال إلا دخلوه، وما كان نطقهم بالشهادتين إلا كنطق المنافقين أو أسوأ اعتباراً منه.

هذا ولم تكن الخلافة إبان الدولتين إلا عبارة عن مجمَّع حافل بجميع أنواع الكفر والفسوق والطغيان، والإثم والعدوان، في عصائب وكتائب من أرجاس البشر، تحت شعار الخلافة وأمير المؤمنين.

هذا ولا يحتاج في إثبات ما ذكرنا إلى إقامة الدلائل والبراهين ؛ بل يكفي القارئ أن يقرأ كتب التاريخ التي كتبها المؤرخون، وسيجد صحة ما ذكرنا.

وذلك أن معاوية إمام المتسلطين، وأفعاله بين الملأ الإسلامي متواترة، وسيرته مشهورة، وأحداثه على الألسن مذكورة.

وكذلك ابنه المشؤوم، وذلك مروان اللعين الطريد، وكأولئك سائر خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بين العباس.

الرشيد   الغوي) هارون بن محمد بن عبد الله   تـ ٩٣ هـ ؛

واسمه هارون بن محمد بن عبدالله ـ ويسمى بالرشيد، وهو من الغاوين عند الله وعند الصالحين.

بويع له بالخلافة يوم مات أخوه موسى، وتوفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ.

وهارون هو الذي رتب طبقات المغنين واختار الأصوات، وكان يجزل العطاء في جوائزه للمغنين والندماء، فراج الغِنَّاء في عهده وتطوَّر، وأقبل الناس على تعلمه حتى نساء بني العباس ورجالهم، فمن نساءهم عليَّة بنت المهدي أخت الرشيد، يُضرب بها المثل في جودة الغِنَّاء، ومن رجالهم إبراهيم بن شكلة شيخ المغنين، على أنه قد ولي الخلافة مدة.

قال أبو فراس:

منهم عليَّة أم منكم وهل لهمُ   شيخ المغنين إبراهيم أم لكمُ

إبراهيم هو ابن المهدي، وهو أخو الرشيد، وعليّة كذلك أخته.

الإمام يحيى بن عبدالله (ت ٧٥ هـ):

ممن قتل هارون في عهده: الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الإخافة له وملاحقته والبحث عنه، وبعد حبسه في أضيق البيوت وأظلمها.

وكان يجلد في سجنه بأمر الرشيد، وبمرأى منه، فيناشده يحيى بن عبد الله وبالرَّحم وبالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقرابته منه، فيقول هارون: ما بيني وبينك قرابة.

وكان الرشيد يدخل عليه السجن، فيأمر بضربه مائة عصى، فيناشده يحيى عليه السلام مثل تلك المناشدة. وهكذا.

حتى إذا كانت آخر مرة عاد الرشيد إلى يحيى في السجن وقال: عليَّ به.

قالوا: هو عليل مدنف.

وقد كان الرشيد في كل مرة يدخل على يحيى يأمر السجَّانين بتقليل الطعام على يحيى، حتا صار المقرر له في الليلة نصف رغيف ورطلين ماء.

فخرج الرشيد من عنده في هذه المرة، فلم يلبث يحيى عليه السلام أن مات.

وقيل: إن الرشيد بنى عليه اسطوانة وهو حي.

وقيل: إن الرشيد أمر بخنقه في محبسه.

وقيل: إنه سقاه سُمَّاً.

وقيل: إنه أجاع السباع ثم ألقاه إليها فأكلته.

وقال حفيده: قتل جدِّي بالجوع والعطش في الحبس.

أفاد هذه المعلومات عن يحيى بن عبدالله أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين.

وكل هذا حصل من هارون بعد الأمان والعهد والأيمان المشدَّدة أنْ لا يتعرض ليحيى عليه السلام.

الإمام إدريس بن عبدالله بن الحـ عليهم السلام ت ٧٧ هـ :

وممن قتل هارون الغوي: إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، قتله هارون بالسُّم في المغرب، فقال شاعرٌ من أولياء بني العباس في ذلك:

أتظن يا إدريس أنك فائت ... كيد الخليفة أو يقيك فرار

فليدركنَّك أو تحل ببلدةٍ ... لا يهتدي فيها إليك نهار

إن السيوف إذا انتظاها سخطة ... طالت وتقصر دونها الأعمار

ملك كأن الموت يتبع أمره ... حتى يقال تطيعه الأقدار

وممن قتل هارون الغوي: عبدالله بن الحسن بن علي المثنى بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو الذي يقال له: ابن الأفطس.

وعلى حسب ما رواه صاحب مقاتل الطالبيين فإن الحسين الفَخِّي أوصى إلى عبدالله بن الحسن الأفطس إن حدث به حدث فالأمر إليه.

وروى صاحب مقاتل الطالبيين أيضاً بسنده، قال:كان الرشيد مغرى بالمسألة عن أمر آل أبي طالب، وعمن له ذكر ونباهة منهم،فذكر له عبدالله بن الحسن، فوجَّه

إليه الرشيد من ساعته، فأُخذ عبدالله، وجيء به إلى الرشيد وحبسه عند جعفر بن يحيى البرمكي، فلما كان يوم النيروز ضرب جعفر البرمكي عنقه، وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع هدايا.

وأخذ الرشيد أيضاً محمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليه السلام، فحُبس وقُيِّد وأمر بتثقيله والزيادة في حديده، فقال محمد بن يحيى: قل لصاحبك:

إنِّي من القوم الذين تزيدهم ... قسواً وصبراً شدة الحدثان

فلم يزل في الحبس حتى مات.

ومن ضحايا هارون الغوي: الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، سُجن في المدينة المنورة، وضُرب بالسياط ضرباً مُبرحاً، فمات من ذلك الضرب.

ومن ضحاياه أيضاً: العبَّاس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمر به هارون فأُدني إليه، فضربه بعود من حديد حتى مات.

ومن ضحاياه: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، مات في سجن الرشيد، وكان يقعد الفراشون النصارى على وجهه.

ومن ضحاياه على كثرتهم: إسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، حبسه هارون فمات في سجنه.

قوله **: (وما قصرت لياليه عن السُّكر) .**

أراد به أن هارون كان مولعاً بشرب الخمر، فقد كان – كما في الشافي – يشرب الخمر عشيَّة الثلاثاء من كل أسبوع.

وابن الرشيد محمّد نَفِدَتْ ... أيامه سَكرَانَ في البحرِ

(الأمير) محمد بن هارون الغوي) بن محمّد بن عبد اللّه (ت ٩٨ ﻫ)

هذا هو محمّد الملقب بالأمين بن هارون الرشيد.

قال في الشافي: بويع له لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقُتل ليلة الأحد لخمس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان قبيح السيرة، سفاكاً للدماء، ضعيف الرأي، قد غلب عليه اللعب واللهو والجواري والخصيان.

وقد حكى عنه رواة أخبارهم كمحمد بن جرير وغيره: أن الجنود لما نزلت من عقبة حلوان جاء إليه الخبر، فقال له: يا مولاي ؛ هذا طاهر بن الحسين قد نزل من عقبة حلوان في الجيوش، فلم يلتفت إليه، فلما ألحّ عليه انتهره، وقال: كوثر قد صاد سمكتين، وأنا ما قد صدت شيئاً.

ولما حُصر في بغداد، وضُويق إلى مدينة المهدي، وصارت المجانيق تقع في شق بساطه وهو يختار الجواري للغِنَّاء فغنته جارية فأخطأت في غِنَّائِها في الضرب أو في لفظة فشتمها بالقذف، وقال: تغنيني الخطأ. فأخذوها، وكان آخر العهد بها.

وشرح أخباره في هذا الباب يطول، وما أفاق من الخمر حتى الليلة التي قُتل فيها.

ونكث العهد فيما بينه وبين أخيه، وإن كان لأولهم وآخرهم كالصفة الواجبة، ولاشتغاله بما كان عليه من المعاصي، واشتغاله بحرب أخيه؛ لهذا لم يقتل أحداً من أهل البيت عليهم السلام.

ومما قيل فيه:

أضاع الخلافة غشّ الوزير ... وفسق الإمام وجهل المُشير
وما ذاك إلا بفضل وبكر ... وشرّ المسالك طرق الغرور
لواط الخليفة أعجوبة ... وأعجب منه خناث الوزير

فهـــذا يـــدوس وهـــذا يـــداس … كـــذاك لعمـــري اخـــتلاف الأمـــور
فلـــو يســـتعينان هـــذا بـــذاك … لكانـــا بعرضـــة أمـــر ســـتير
ولكـــن ذا لـــج في كـــوثر … ولم يشـــف هـــذا دعـــاس الحمـــير
فشـــنع فعلاهـــما مـــنهما … وصـــارا خلافـــاً كبـــول البعـــير
وأعجـــب مـــن ذا وذا أننـــا … نبـــايع للطفـــل منّـــا الصـــغير
ومـــن لـــيس يحســـن مســـح استه … ولم يخـــل مـــن بولـــه حجـــر ضـــير
ومـــا ذاك لـــولا اخـــتلاف الزمـــان … في العـــير يكتـــب أم في النفـــير
ولكنهـــا فـــتن كالجبـــال … يرفـــع فيهـــا بضـــبع الحقـــير

فانظر إلى حكاية حاله وما كان عليه، وما يُقال ذلك إلا من خواصّهم وأوليائهم، ومن يريد تغطية أفعالهم. انتهى.

وأخـــوه عبـــد الله قَاتِلُـــه … وهـــو الخـــؤون وصـــاحب السَّـــكَرِ(١)

المأمو عبد الله بن هارو - الغو - ذ ١٨ ه :

هذا هو عبد الله الملقب بالمأمون ابن هارون الرشيد.

قال في الشافي: بويع له يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات بالنديدون من أرض الرُّوم لثمان خلون من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وكان مؤثراً للذات على رأي سلفه، روى ذلك الطبري وغيره من أهل

(١)- في النسخة المطبوعة: (المكر) بدلاً عن (السَّكَرِ).

التواريخ، ورواه أهل السير إلا أنه كان سديد الرأي كامل الحزم، ولما عرض على القاضي أحمد بن أبي دؤاد ويحيى بن أكثم الشراب فامتنعا، قال:

إن كنتما لا تشربان معي خوف المعاد شربتها وحدي

وقال في الخمر مازحاً والكفر يقع في المزاح:

هذه الممنوع منها وأنا المحتج عنها
ما لها تحرم في الدنيا وفي الجنة منها

ولما دخل عليه طاهر بن الحسين وهو يشرب سَلَّم، فرد المأمون عليه السلام، وقال: اسقوه رطلاً.

فأخذه في يده اليُمنى ثم قال: اجلس.

فخرج فشربه، ثم عاد وقد شرب المأمون رطلاً آخر، فقال: اسقوه الثاني.

ففعل كفعله الأول، ثم دخل فقال له المأمون: اجلس.

فقال: يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشُّرَط أن يجلس بين يدي سيده.

فقال المأمون: ذلك في مجلس العامة؛ فأما في مجلس الخاصة فطلق.

فأين هذا من ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم عليه السلام الذي قيل لمحمد بن منصور المرادي: إنك عاشرت القاسم بن إبراهيم مدة طويلة والناس يقولون: لم تستكثر من علمه؟

قال: أويظنون أنَّا كلما أردنا كلامه كلَّمناه، من كان يقدر على ذلك؟ وكنت إذا لقيته فكأنما أُشرب حزناً، كل ذلك من ذكر الآخرة وخوف المعاد، وتأسفاً على هلاك الأمة، وضياع الدِّين، لغلبة أئمة الجَور.

وروى أبو جرير علي بن صالح، قال: قال لي المأمون: أبغني رجلاً من أهل الشام له أدب يجالسني ويحدثني.

فالتمست ذلك فوجدته، فدعوته وقلت: إني مُدخلُك على أمير المؤمنين، فلا تسأله عن شيء حتى يبتديك فإنِّي أعرف الناس بمسألتكم يا أهل الشام.

فقال: ما كنت متجاوزاً ما أمرتني.

فدخلت على المأمون، فقلت: أصبت الرجل يا أمير المؤمنين.

فقال: أدخله.

فدخل فسلّم، ثم استدناه، وكان المأمون على شغله من الشراب، فقال له: إني أريدك لمجالستي ومحادثتي.

فقال الشامي: يا أمير المؤمنين إن الجليس إذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضه.

قال: فأمر المأمون أن يخلع عليه.

قال علي: فدخلني من ذلك ما الله به أعلم.

فلما خلع عليه ورفع إلى مجلسه، قال: يا أمير المؤمنين إذا كان خاطري معلقاً بعيالي لم تنتفع بمحادثتي.

قال: خمسون ألفاً تحمل لك إلى منزلك.

قال: يا أمير المؤمنين ؛ وثالثة.

قال: وما هي؟

قال: قد دعوت بشيءٍ يحول بين المرء وعقله، فإن كانت مني هنة فتغفرها لي.

قال: وذلك.

قال علي: فكأنّ الثالثة جلت عني ما كان.

ثم سرد الحكاية بما يطول به الشرح ؛وإنما أردنا تبيين اشتغاله بالشرب وإعطاء هذا المال الجليل المضحكين، وأهل الشرب والمعاصي، ولعل بإزاء دار خلافته من يتضور من الجوع فلا تساغ جوعته، لأنا روينا عن محمد بن إبراهيم عليه السلام قبل قيامه

بالكُوفة أنه خرج ظاهر الكوفة فرأى عجوزاً تتبع الطريق وتلقط من الرطبة ما سقط، وتلفه في كسائها.

فقال: يا أَمَةَ الله ما تريدين بهذا؟

قالت: إنِّي امرأة أرملة، ولي بنات يتائم، ولا شيءَ لنا من المعيشة إلا هذا، ألفُّه كل يوم فأرده إليهنَّ فيقتتنه.

قال: فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، وقال: أنت والله وأمثالك تخرجنني غداً، فأقاتل حتى أُقتل.

فهؤلاء أئمة الهُدى بخلاف أئمة الرَّدى.

وروي أن المأمون ركب بدمشق يريد جبل الثلج، فمرّ ببركة عظيمة من برك بني أمية، وعلى جانبها أربع سروات، وكان الماء يدخلها سحاً، ويخرج منها، فاستحسن الموضع، ودعا برطل وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقّصهم، فأقبل علويه على العود فاندفع يُغَنِّي:

أولئك قومي بعد عزّ ومنعة تفانوا فإلا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون الطعام برجله وقال لعلويَّه: يا ابن الفاعلة !! لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا هذا الوقت؟

وذكرنا ذلك ؛لأن القوم لم يكن فيهم تحاشٍ من الشرب على الطرقات وفي الطرقات، ولا إحضار الندماء على اختلاف أجناسهم. انتهى من الشافي.

(السَّكَرِ) في البيت بفتح السين، وفي البيت الذي قبله (السُكْرِ) بضم السين.

فبالضم هو السكر من الخمر، وبالفتح الغضب والحقد. فالكلمتان مختلفتان في الوزن والمعنى.

وفي السنة الأخيرة من سني المأمون أراد أن يغير بعض السنن الموروثة عن بني أمية فكتب إلى والي بغداد في امتحان الشهود والقضاة والمحدثين، فمن أقرّ بأن القرآن مخلوق خلي سبيله، ومن أبى عليه أعلمه به.

وقد كان كتب المأمون رقعة يعرضها عليهم، فمن أقرّ بما فيها خلى سبيله، ففعل الوالي ما أمره به المأمون، فأحضر جميع المطلوبين وامتحنهم، فاقروا بما في الرقعة وأن القرآن مخلوق ؛ إلا أحمد بن حنبل وثلاثة معه فشُدُّوا في الحديد.

فلما كان من الغد أقر اثنان، وأبى أحمد بن حنبل و محمّد بن نوح فشُدا في الحديد ووجه بهما إلى المأمون.

وقد ثقلت وطأة المأمون على المذهب الأموي، وذلك بسبب ميله إلى أهل البيت فيما سوى الخلافة ؛ غير أن ذلك المذهب الأموي العريق كان قد تمكن غاية التمكن، واستغلظ واستوى على سوقه، وتمددت عروقه، فلم يتمكن المأمون من اجتثاثه واستئصال عروقه، مع أن المعتصم أخا المأمون قد كان في خلافته يسعى إلى ذلك الهدف الذي يسعى إليه المأمون قبل، فلم يتم لهما ما طلبا، ولم يحصل ما أرادا، لما ذكرنا من تمكن ذلك المذهب.

ولسبب آخر هو أن من بعدهما من الخلفاء العباسيين انتصروا لمذهب بني أمية غاية الانتصار، وتنكروا لما كان المأمون يسعى إلى نصرته.

وفي مروج الذهب: وذكر محمّد بن علي الخُرَاساني وهو يصف للقاهر ملوك بني العباس عند ذكره للمأمون: وأظهر التوحيد، والوعد والوعيد، وجالس المتكلمين، وقرب إليه كثيراً من الجدليين المبرزين والمناظرين كأبي الهذيل، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وغيرهم.

دين الرَّعية على دين الرَّاعي :

لو سار خلفاء بني العباس على ما سار عليه المأمون لما كان لمذهب بني أُمَيَّة وجود؛ ألا ترى أن علماء العراق تخلوا عن مذهبهم وعدلوا إلى مذهب المأمون.

والعراق هي الحضيرة العلمية الأولى في بلاد المسلمين، تحولت ما بين عشيَّة وضُحاها إلى دين خليفتها، واستبدلت التشبيه بالتنزيه، وعداوة أهل البيت بالحُبّ، و.... إلخ.

غير أنه لم يكتب لذلك البقاء، ولم يساعده الحظ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة / ٢٥٦].

فقد اقتضت حكمة الله – وهو العليم الحكيم– أن يكلف عباده ويختبرهم ويبتليهم بشرائعه وأحكامه، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه وعذبه.

ولا يستحق الثواب العظيم في جنات النعيم إلاَّ من أطاعه بمحض اختياره لا دافع له إلى الطاعة إلّا الإيمان بعظمة الله وجلاله، وعزَّته وكبرياءه، والتصديق بوعد الله ووعيده، وثوابه وعقابه، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾الآية [البقرة / ٢-٣].

فإذا اندفع المكلفون إلى فعل الطاعة بدافع أوامر السلطان وتهديده، ووعده ووعيده، لم يتميز المطيع منهم والعاصي، ولا الخبيث من الطيب، وارتفع حينئذ معنى الاختيار والابتلاء والتكليف، وذلك أنه يستوي حينئذ المطيع والعاصي، في أن كلاً منهما مرغم على تنفيذ أوامر السلطان.

من ضحايا المأمون:

(١)-محمّد بن محمّد بن زيد بن علي عليهما السلام، وهو الخارج في أيام أبي السرايا بعد موت محمّد بن إبراهيم.

(٢)-الحسن بن الحسين بن زيد بن علي، قُتل يوم القنطرة في الحرب التي كانت بين المأمون وأبي السرايا.

(٣)-الحسن بن إسحاق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قُتل في وقعة السُّوس مع أبي السرايا.

(٤)-علي بن عبدالله بن محمّد من أولاد جعفر بن أبي طالب، قُتِل باليمن في أيام أبي السرايا.

(٥)-محمّد بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أخذه المأمون مع جماعة من الطالبيين فحبسوا في خُرَاسان حتى مات محمّد بن جعفر هناك في محبسه، وكان محمّد بن جعفر قد خرج في مكة ودعا إلى نفسه، وقاتل عمال العباسيين وجنودهم، وتفرق عنه أنصاره بعد ذلك، ثم أُخِذ وأُرسِل إلى المأمون.

(٦)-عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن الحسن بن الحسن، خرج أيام المأمون إلى فارس وقُتِل ثَمَّ.

(٧)-علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان المأمون قد عقد له على العهد من بعده، ثم ندم فدس إليه بعد ذلك سُمَّاً فمات منه.

وقد كان المأمون أمر بضرب الدراهم وطبع اسمه عليها، وأمر أن يُخطب له في كل بلد بولاية العهد، وكان يقول الخطيب في دعاء الخطبة: اللهم وأصلح ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يقول:

ستةٌ آباؤهمُ ما همُ ... همُ خير من يشرب صوب الغمام

(٨)-محمّد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُكَنَّى أبا جعفر، وهو ابن الأفطس الذي ذكرنا خبر قتل أبيه في أيام الرشيد، سقاه المأمون شرباً مسموماً فمات في ساعته.

أخبار الإمام محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ (ت ١٩٩ هـ):

هذا وفي أيام المأمون قام بأمر الخلافة والأمة والدعوة إلى الله الإمام محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عليه السلام، وناصَرَهُ في دعوته أبو السرايا السَّرِيُّ بن منصور أحد بني ذهل بن شيبان، وكان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع.

وكان هو القيم بتدبير الحروب وتدبير الجيوش أيام الإمام محمّد بن إبراهيم وأيام الإمام محمّد بن محمّد بن زيد، قُتِل في تلك الفترة من العباسيين مائتا ألف قتيل، وأخيراً تخاذل أهل الكوفة فخرج أبو السرايا عنهم هو وجماعة العلويين ونفر من الزيدية، فتعرضت لهم جيوش العباسيين في خروجهم هذا، وقتل منهم جماعة من العلويين ومن الزيدية، وأخذ أبو السرايا بالأمان والعهد هو و محمّد بن محمّد وجماعة ؛ غير أن العباسيين كعادتهم لا يفون بعهدهم فقتلوه وغلامه أبا الشوك، وقتلوا محمّد بالسُّم بعد أربعين يوماً من قدومه بالأمان.

وأخوهما لم يعتصم كلا ... متقمِّص الجلباب بالقهر(١)

(المعتص محمّد بن هارون - الغو - تـ ٢٩ هـ

هذا هو المعتصم محمّد بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ، ويكنى أبا إسحاق، وأمه أم ولد يقال لها مارد، وقد جاءت بشيطان مارد، ومات يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ وكان فيه نهضة وقوة وشجاعة وحزم، وهو في اللهو على منهاج من سبقه من أهله، وكان متجبراً مقدماً على سفك الدماء.

كان يأمر مماليكه بالنظر إليه، فمن نظر إليه فقد جعل له عملاً لا يتعداه، فنظر إلى بعضهم في حالة اشتغاله بثيابه فلم يفهم، فقام إليه فوجاه فقتله.

(١)- الشطر الأول لهذا البيت في النسخة المطبوعة هكذا: (وأخوهما سموه معتصماً).

وكان أُمِّياً لا يقرأ ولا يكتب، مشتغلاً في كثير من أوقاته باللذات وإيثار الشهوات، وكان إذا غضب لم يبال من قتل، ولا ما فعل.

وفي عهد المعتصم خرج داعياً إلى الله الإمام محمّد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ويقال له الصوفي، والطالقاني أيضاً، فأخذه عبد الله بن طاهر، وبعث به إلى المعتصم بعد وقعة كانت بينه وبينه، وانهزم عنه أصحابه، فأُخذ أسيراً وسُجن عند المعتصم في سجن ضيق، فلبث في السجن مدة، ثم هرب من السجن في يوم الفطر عند اشتغال السجانين بالعيد والتهاني.

وتوارى أيام المعتصم وأيام الواثق، ثم أُخِذ في أيام المتوكل فحبسه حتى مات في محبسه، ويقال: إنه دُسّ إليه سُمٌّ فمات.

وفي عهده أُخِذ عبد الله بن الحسين من أولاد جعفر بن أبي طالب، فحبس في (سر من رأى) حتى مات، وذلك لأنه امتنع من لبس السواد.

وفي الكامل: وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولد العباس، ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر.

وفيه: قال زنام الزامر: أفاق المعتصم في علته التي مات فيها بإفاقة. قال: هيئُوا لي الزلال لأركب غداً، فركب في الزلال في دجلة، وأنا معه فمر بإزاء منازله فقال: يا زنام أزمر لي:

يا منزلاً لم تبل أطلاله ... حاشا لأطلالك أن تُبلى
لم أبك أطلالك لكنني ... بكيت عيشي فيك إذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى ... لا بد للمحزون أن يسلى

قال: فما زلت أزمر له هذا الصوت وأكرره وقد تناول منديلاً بين يديه فما زال يبكي وينتحب حتى رجع إلى منزله.

ولما احتضر جعل يقول: ذهبت الحيل، ليست حيلة حتى أصمت. ثم مات ودفن بسَامَرَّا.

الغِنّاء في العصر العبَّاسي

كان للغِنّاء في العصر الأول العباسي، أثر كبير فقد اشتغلوا به حتى كأنه نعيمهم من الدنيا الذي لا يؤثرون سواه.

وقد كانت بغداد هي عاصمة الغِنَّاء، وقد جذب إليها المغنون والمغنيات من كل فجّ، ونثرت الأموال عَلَيْهِمُ نثراً، بل كيلت كيلاً، وأول من كالها من الخُلفاء العباسيين المهدي ثم الهادي وخلفهما الرشيد، وبعد ذلك الأمين، وكأنه لم يخلق إلاَّ للغِنَّاء، ويقال: إنه اشترى مغنية بعشرين ألف ألف درهم. ثم جاء المأمون فامتنع عن سماع الغناء أربع سنوات، ثم أقبل عليه وهكذا المعتصم، وكان الواثق أشد كلفاً بالغناء لإحسانه الضرب على الآلة.

ولقد بلغ من رقي هذا الفن وارتفاع شأنه في النفوس أن أقبل على تعلمه أبناء الخُلفاء وكبار الدولة وغيرهم من عِلِّيَّة القوم.

ومن هنا فقد كانت بغداد نادياً حافلاً للغناء واللهو مما يجعل الناس يذهبون إليها شعراء وغير شعراء للسماع ورؤية الجَمَال من كل شكل وعلى كل لون.

ولقد يُخَيَّل إلى الإنسان في هذا العصر أنه لم يبق في بغداد ولا في الكوفة ولا في البصرة رجل إلاَّ عمل على أن يقتني قينة أو قِياناً للغناء والرّقص.

المجُون في العصر العبَّاسي

ورث المجتمع العباسي كلما كان في المجتمع الساساني من لهو ومُجُون، فقد مضوا على عبِّ الخمر عبًّا واحتسائها.

وقد ساعد على ذلك فتوى كثير من فقهاء العراق على تحليل أنواع من الخمر كنبيذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ، ونبيذ العسل، والبُّر، والتِّين، فشرب الخُلفاء وشربها الناس، وأمعنوا حتى تجاوزوا الفتوى إلى شرب الأنواع المُحرَّمة.

ومنذ العصر الأول العباسي فقد اقترن شرب الخمر بالغِنَّاء والرقص، ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر دفع بالرُّعاة والرَّعيَّة إلى المجون والعبث والإباحية، وكان المجتمع زاخراً بزنادقة وملاحدة وبأناس من ديانات شتَّى مجوسية وغير مجوسية، فمضوا يطلقون لأنفسهم العنان في ارتكاب الآثام متحررين من كل قانون للخلق أو العُرف أو الدين.

هذا وقد تحولت كثرة المغنيات إلى أسباب فتنة وإغراء وريبة ومجون وعبث، مع ما هُنَّ عليه من الحذق في الحيل التي يجتلبن بها قلوب الرّجال، مداعبات لهم بالتبسم، وغامزات بطرف العين، وناشطات معهم بالسُّكر، حتى قال الجاحظ في وصفهن:

فلو لم يكن لإبليس شَرَكٌ يقتل به، ولا عَلَمٌ يدعو إليه، ولا فتنةٌ يستهوي بها إلا القيان لكفاه.

فلذلك فقد انتشر الفساد والفُجْر الفاجر، وابتذلت الجواري ابتذالاً فاحشاً من غير استخفاء ولا حياء.

وشاع في هذا العصر العباسي من المجون آفة أخرى غير آفة الزنا المكشوفة وهي آفة التعلق بالغلمان، ظهر ذلك في تلك المجتمعات ظهوراً فاحشاً، ونُظِمَت فيه أشعار الغزل من غير خجل ولا حياء.

وقد يكون من أسباب ظهور هذا الخلق المقيت كثرة الغِلمان والخصيان في بغداد وسائر المدن العراقية.

وكان منهم من تسقط رجولته فيلبس لبس النساء، وكان من الجواري من يلبسن لبس الغلمان لفتاً لأنظار الرجال.

ويروى أن (الأمين) قدم الخصيان فشاعت قالة السوء فيه، ويروى أن أمه أرسلت إليه درءاً لتلك القالة بعشرات من الجواري ألبستهن لبس الرجال.

ولم يلبث الناس أن جاروه في هذا الصنيع، وكنَّ يُسَمَّيْنَ بالغُلاميات.

ومن تتمة هذا التبادل بين الجواري والخصيان في الزِّي والهيئة أن أكثر المُخَنَّثُون بين المغنين والراقصين والعازفين، فكانوا يتشبهون بالنساء في عاداتهن وثيابهن، وظفر شعورهن، وصبغ أظافرهن بالحناء. وقد ظهر بين أوحال هذا الفسوق والخمر والزنا ألوانٌ من الإلحاد والزندقة والابتعاد تماماً عن أخلاق الإسلام وشرائعه، حتى عَمَّ ذلك الخاصة والعامة، والشعراء والكُتاب، لذلك ظهرت كتابات كثيرة عن آداب المنادمة والنديم، وكثر في عصر العباسيين أشعار الغزل في الجواري والغلمان، وكثيراً ما يُنظم ذلك أثناء السُّكر وشرب الخمر.

وعلى الجملة فقد بلغ الفساد في هذه الأعصار إلى الغاية التي ليس بعدها غاية حتى امتلأت العراق بدور اللهو وحاناته في المدن والقُرى، وعلى طول الطرق جنوباً إلى البصرة والكوفة، وشمالاً إلى الموصل، يجد النازل في تلك الدُّور والحانات ألوان الخمر، وأصناف الجواري اللاتي لا يعرفن حشمة ؛ وإنما يعرفن اللهو والابتذال للرجال، وإجادة الغِنَّاء والرقص والعزف.

والواثـــق المشـــهور بُغْيَتُـــهُ ... مـــن نغـــمات العـــود في العَشْـــرِ
لكنهـــا طابـــت شـــمائله ... وتهلَّلـــت لـــلآل بالبِشْـــرِ
والعـــدل والتوحيـــد مذهبـــه ... وكـــذا صـــحيح القـــول في الـــذِّكْرِ
والحـــق[1] مُتَضِّـــحُ السـبيل وقـــد ... تاهـــت عقـــول في هـــوى الفِكْـــرِ

(١)- في نسخة: والحق ما قالوا به ولقد.

الواثق (هارون بن محمّد بن هارون ت ٢٣٢ هـ):

هو الواثق بالله هارون بن المعتصم، بويع له في اليوم الذي توفي فيه أبوه، وذلك يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ، وكان يكنى أبا جعفر، وأُمُّه أم ولد رومية تسمى قراطيس.

وفي الشافي: وكان في أيامه من أهل البيت عليهم السلام محمّد بن جعفر بن يحيى بن عبدالله عليه السلام، الخارج بباهرت السفلى الغالب عليها وذريته إلى سنة تسعين ومائتين، وكان فاضلاً ورعاً عالماً كاملاً عادلاً، يقسم بالسويَّة، ويرفق بالرعيَّة، متواضعاً يركب الحمار، ويطوف في الأسواق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحضر جنائز الأشراف.

وكان الواثق أمثل القوم طريقة ولا سيما في السيرة والاعتقاد ومعاملة العترة عليهم السلام، فإنه حمل من قدر عليه منهم إلى (سر من رأى)، وأدرَّ عليهم الأرزاق الواسعة، وسكن جانبهم باللطف بهم، وأحسن السيرة في الرعيَّة وإظهار شيءٍ من العدل، وحسن القول في باب الاعتقاد، والتشدد على أهل الجبر والقدر والإرجاء، وكان في باب اللهو والشرب واللعب على منهاج من سبقه من أهل بيته، وله الألحان المعروفة في الغَنَّاء بالواثقية، وهي العشرة المختارة من المائة التي كان المسمى بالرشيد اختارها، ولم يقتل في أيامه من أهل البيت عليهم السلام إلاَّ ما رواه محمّد بن علي بن حمزة: أن علي بن محمّد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قتل بالرَّي في الوقعة التي كانت بين محمّد بن ميكال و محمّد بن جعفر.

ولم يزل الحال جميلاً، وكثير من أهل البيت عليهم السلام في حال الأُنس في (سر من رأى) في غاية الجلالة حتى أيام المسمى المتوكل، وسنذكرها ببعض التفصيل.

وكان الواثق مع الذي ذكرنا من تحليه بالصلاح له في الإقدام على المصادرات والتعذيب أمر عظيم، وكان يضرب ألف سوط ونحوها، ويقتل في العذاب، فدفع أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار وضربه نحواً من ألف سوط، وأخذ من سليمان

بن وهب أربعمائة ألف دينار، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفاً، ومن أحمد بن الخصيب وكُتَّابه مائة ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكُتّابه مائة ألف دينار، ومن نجاح ستين ألف دينار، ومن أبي الوزير صلحاً مائة ألف وأربعين ألفاً ؛هذا سوى ما أخذ من العمال.

وذكر مصنف أخبارهم أن السبب الباعث للواثق على مصادرة الكُتّاب والعمال أنه قال ذات ليلة: لست أشتهي النبيذ في هذه الليلة ولكن هلمُّوا نتحدث.

فنهض إلى القبة المِنْطَقة، وكانت بيضاء كأنها بيضة إلا قَدراً، في وسطها ساج منقوش مغشى باللازورد والذهب،فسألهم عن السبب الذي بعث جدَّه هارون على البرامكة، فأخبروه أن ذلك كان سبب طلب المال، وقَصُّوا له قصصاً لو ذكرناها لطال بها الكتاب.

ومات الواثق لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. انتهى من الشافي.

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ودعا إلى ما كان..) إلخ

الواثق هو ثالث الخلفاء العباسيين الذين ثاروا على بعض السنن التقليدية الموروثة عن خلفاء بني أمية، والتي تمثلت في المذاهب الفكرية.

الأدلة على حدوث القرآن :

ومن تلك المذاهب الفكرية التي دعا الواثق إلى تفنيدها القول بقدم القرآن، فإنه دعا إلى إبطال هذا القول ودعا إلى القول بحدوث القرآن.

هذا والقول بحدوث القرآن هو المذهب الحق كما ذكره شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لقيام الأدلة العقلية والنقلية على ذلك.

أما دلالة العقل ؛فلا شك أن القرآن كلام مرتب كلمة بعد كلمة، وحرف بعد حرف، والكلمة المسبوقة بكلمة محدثة، وكذلك الحرف المسبوق بحرف، وهذا معروف بالبديهة.

فإن قيل: هذا الاستدلال ظاهر على من يقول: إن كلام الله تعالى هو هذا المسموع، أما من يقول: إن كلام الله تعالى معنى غير هذا المسموع، وهذا المسموع إنما هو ترجمة لذلك المعنى النفسي.

قلنا: المعنى النفسي لا يوصف بأنه كلام في لغة العرب إلاَّ على سبيل التوسع والمجاز، عُلِمَ ذلك بالاستقراء والتتبع لكلام العرب فلم يبق النزاع إلاَّ في هذا المسموع، وقد بيَّنا بدلالة العقل حدوثه.

ومن أراد المزيد من المعرفة حول ذلك فعليه بكتب الكلام كشرح الأساس، وشرح الثلاثين المسألة من كتب أئمتنا عليهم السلام، وغيرهما.

وأما الدلالة النقلية ؛ فقوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء / ٢].

وهذه الآية تكفي في إثبات ما نقول به، وهناك أدلة قرآنية غير هذه، توجد في كتب الكلام.

وهذا في حين أن القائلين بقدم القرآن لم يأتوا على إثبات دعواهم بأي دليل.

وهذه المسألة التي ذكرها مولانا الناظم – رضي الله عنه – في نظمه هي إحدى المسائل التي دعا إليها الواثق، ومن قبله أبوه المعتصم، وعمه المأمون.

وهناك غيرها من المسائل حاولوا خلال ولايتهم إبطالها كمسألة التشبيه والصفات، والجبر والقدر، وغير ذلك.

وكان هؤلاء الخلفاء الثلاثة قد انحرفوا عن مذاهب بني أمية، وأعرضوا عنها، وأبعدوها، وتنكروا لها، وعذبوا أهلها وسجنوهم، حتى قيل: إنهم جلدوا أحمد بن حنبل ستمائة جلدة على القول بحدوث القرآن.

غير أن المتوكل بن المعتصم أخا الواثق لما استولى على الخلافة بعد أخيه (أظهر الميل إلى السنة كما قال السيوطي في تاريخ الخلفاء)، ونصر أهلها، واستقدم المحدثين إلى سامرا، وأكرمهم، وأمرهم أن يُحدّثُوا بأحاديث الصفات والرؤية، حتى قال

قائلهم – أي قائل أهل الحديث –: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق في قتل أهل الرِّدَّة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة.

الاعتزال في عهد المأمون والمعتصم والواثق

نشأ الاعتزال ونمى وازدهر وكثر أتباعه وأعلامه في هذا العصر، فتحولت البصرة وبغداد إلى ساحتين كبيرتين للمناظرات والجدال في العقيدة، وفي الدفاع عن الدّين الحنيف من التوحيد والعدل، والوعد والوعيد، وما يتبع ذلك من حقائق النبوة وغيرها.

وقد كان ذلك الجدال والدفاع شاملاً لأصحاب الملل المخالفة والنحل المختلفة، وللمجبرة والمرجئة وغيرهما من فرق الإسلام، ونازلوا الدهريين نزالاً عنيفاً، وكذلك المانويين الثنويين، وقد كانت مناظراتهم لا تتوقف يوماً.

وكان الناس يتجمعون حولهم في المساجد يسمعون ويتفرجون، وجذبوا إليهم الشباب بحيث أن حلقاتهم كانت أكبر الحلقات وأوفرها سامعين.

وسرعان ما كوَّنوا لأنفسهم مذهباً ضخماً تميز بأصوله الخمسة المعروفة حتى أصبح له السيطرة التامة على الحُكم في عهد المأمون والمعتصم والواثق مما أدى إلى أن حمل هؤلاء الخلفاء على أصحاب المذاهب الأخرى للالتزام بأفكار المعتزلة.

ونشبت الفتنة المعروفة وامتحنوا على ذلك وسيموا من أجل ذلك سوء العذاب، غير أنه سرعان ما دالت على المعتزلة الدولة حين مات الواثق وتولى المتوكل فاستقدم المحدَّثين وانتصر لأهل السنة فاندحر لذلك المعتزلة، ولم يستطيعوا بعد ذلك أن يستردوا سلطانهم.

ومع ذلك فقد استمر الاعتزال في نشاطه، وما زالت له حلقات في بغداد والبصرة، تَخرَّج منها الكثير من علمائهم مثل الجاحظ ومن عاصره أو تلاه كالشحَّام، وجعفر بن بشر، وجعفر بن حرب، والخياط، ثم أبو علي وأبو هاشم.

هـذا ولمّـا مـات واثقهـم … أبْـدَا أخـوه فَضَاضَـةَ الكِـبرِ
مُتَوَكِّـلٌ رِجْسـلٌ سَـجِيَّتُهُ … بُغْـضُ الرسـول وآلـه الغُـرِّ
وَأُتِـيْحَ مُنْتَصِـرٌ فـأوْجَرَهُ … طَعْنـاً فَخَـرَّ مُعْفَـرَّ الثَّغْـرِ
وأذاق والـده الحِـمامَ بـما … آذى النبـي ففـاز بـالفَخْرِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم

المتوكل (جعفر بن محمّد بن هارون ت ٢٤٧ هـ)

اسمه جعفر بن محمّد بن هارون الرشيد، بويع له يوم مات أخوه الواثق لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ، وقتل ليلة الأربعاء خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ، وكانت أيامه أشد أيام مرَّت بأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أيام بني العباس، كان شديد الوطأة على العترة الطاهرة متهيمناً بأمرهم، شديد الغيظ والحنق عليهم، سيئ الظن بهم والتهمة لهم، فبلغ في أمرهم ما لم يبلغه أحد ممن كان قبله من جبابرة آبائه.

وذلك أنه كَرَبَ قبر الحسين [أي حرث] وعفا آثاره، ووضع على طرق الزوار المسالح، ولا يجدون أحداً يجيء لزيارته إلا جاؤوا به فقتله أو نَهِكَه[1] عقوبة.

وكان مما بالغ في عداوة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه استعمل على مكة والمدينة – حرسهما الله تعالى – عمر بن الفرج الرجحي(٢) فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من برهم، والتقرب إلى الله بإعطائهم، وكان لا يبلغه أن أحداً بَرَّ أحداً منهم بشيء إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرماً، حتى كان القميص الواحد يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرفعنه، ويجلسن على مغازلهن، عواري حواسر.

---

(١) – من باب فهم: أي بالغ ي عقوبته. انتهى مختار صحاح.
(٢)– في مقاتل الطالبيين: الرخجي.

وهذا في حال أن المغنيات والراقصات والصَّنَّاجات والعوادات تُحمل إليهن أنواع الثياب الفاخرة على الإبل والبغال. انتهى من الشافي.

قلت: فلذلك قال أنصار المذهب الأموي ما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء: الخلفاء ثلاثة: ((أبو بكر الصديق في قتل أهل الرِّدَّة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة..)).

وحقاً فلقد أحيا المتوكل سنة بني أمية التي هي قتل أهل البيت ومضايقتهم والتشدد في عداوتهم والقسوة في معاملتهم.

وقد كان أخوه الواثق أمات هذه السنة، فأحسن إلى أهل البيت ووسَّع عليهم، وأغدق عَلَيْهِمُ العطاء، ووفَّر لهم الأمن والسلام، و.. إلخ.

فاستاء أتباع بني أُمَيَة لذلك، وضاقت عَلَيْهِمُ الأرض بما رَحُبَتْ، فلما جاء المتوكل وأحيا السنة العتيقة استبشروا غاية الاستبشار، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قالوا: إنه ثالث الخلفاء المجددين في تاريخ الإسلام.

وفي الكامل: أن مروان بن أبي الجنوب أنشد المتوكل شعراً ذكر فيه أولاً علياً بالنقص والذم فعقد له على البحرين واليمامة، وخلع عليه أربع خلع، وأمر له بثلاثة آلاف دينار فنثرت عليه، وخلع عليه المنتصر(١) أيضاً أربع خلع، والشعر هو:

مُلْكُ الخليفة جعفر ... للدين والدنيا سلامة
لكمُ تراث محمّد، ... وبعد لكم تشفي الظلامة
يرجو التراث بنو البنا ... ت وما لهم فيها قلامة
والصهر ليس بوارث ... والبنت لا ترث الإمامة
ما للذين تنحلوا ... ميراثكم إلاَّ الندامة
أخذ الوراثة أهلها ... فعلام لومكم علامه

---

(١) – ابن المتوكل.

او كـــــان حقكـــــم لمــــا قامــت عــلى النــاس القيامــة
لــــيس الـــتراث لغـــيركم لا والإلـــــه ولا كرامـــــة
أصـــــبحت بـــين محـــبكم والمبغضـــين لكـــم علامـــة

انتهى.

وفيه أيضاً: وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليا وأهله بأخذ المال.

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنُّون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين. يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك.

فقال له ابنه المنتصر: يا أمير المؤمنين ! إن الذي يحكيه هذا الكلب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه.

فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعاً:

غـــار الفتـــى لابـــن عمِّـــه رأس الفتـــى في حِـــرّ أُمِّـــه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل.

وفيه أيضاً: وقيل: إن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء، المأمون، والمعتصم، والواثق في محبَّة علي وأهل بيته ؛ وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي عليه السلام، فكانوا يخوفونه من العلويين، ويشيرون إليه بإبعادهم والإعراض عنهم، والإساءة إليهم. انتهى.

ولشدة عداوة المتوكل لآل أبي طالب فقد تفرقوا في البلدان خوفاً منه، وخرج عليه منهم، لذلك: محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان من فتيان آل أبي طالب، وفتاكهم وشجعانهم، وظرفاءهم وشعرائهم، أُخِذ بعد خروجه غيلة فحبس بـ (سر من رأى) سنين، ثم أطلق ومات بها، ومن شعره في الحبس قوله:

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه ... وتشعبت شعباً به أشجانه
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألَّق مَوهناً لمعانه
يبدوا كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذُرا متَمنِّع أركانه
فدنا لينظر أين لاح فلم يطق ... نظراً إليه وردَّه سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سَحَّت به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح ورَدَّه ... نحو العزاء عن الصبا إيقانه
وبدا له أن الذي قد ناله ... ما كان قدَّره له ديَّانه
حتى استقر ضميره وكأنما ... هتك العلائق عامل وسنانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخلٌ ... بالنيل باذل تافه منانه
يَعِدُ القضاء وليس ينجز موعداً ... ويكون قبل قضائه ليَّانه

إلى قوله:

والبؤس فانٍ لا يدوم كما مضى ... عصر النعيم وزال عنك أوانه

وله شعر جميل ذُكِرَ شيءٌ منه في مقاتل الطالبيين.

وخرج بـ(الرَّي) محمّد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، خرج داعياً إلى الحسن بن زيد، فأخذه عبد الله بن طاهر، فحبسه بـ(نيسابور)، فلم يزل في حبسه حتى هلك.

وكان قد خرج قبل ذلك الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل الحسني، وغلب على طبرستان ونواحي الديلم، وأظهر العدل وأحيَا التوحيد والعدل.

وخرج أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين في الرَّي يدعو إلى الحسين بن زيد بن محمّد بن جعفر.

وخرج الكوكبي الحسين بن أحمد من ذرية الحسين بن علي.

ومن ضحايا المتوكل: القاسم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، كان رجلاً فاضلاً، اعتل فوجه إليه السلطان بطبيب فجس يده، فحين وضع الطبيب يده على يده يبست من غير علة، وجعل وجعها يزيد عليه حتى قتلته.

وتوارى في عهد المتوكل أحمد بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام فمات في حال تواريه، ويكنى أبا عبد الله، وهو أحد علماء أهل البيت المذكورين.

وتوارى في عهده عبدالله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وقد كان متوارياً منذ عهد المأمون، ولم يزل متوارياً إلى أن مات في أيام المتوكل.

ولما نُعي عبد الله بن موسى وأحمد بن عيسى للمتوكل اغتبط بوفاتهما وسر، وكان يخافهما خوفاً شديداً ويحذر حركتهما، لما يعلمه من فضلهما واستنصار الشيعة الزيدية بهما وطاعتها لهما لو أرادوا الخروج عليه، فلما ماتا اطمأن وأمن، فما لبث بعدهما إلا أسبوعاً حتى قُتِل.

وفي أيام المتوكل مات الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عليه السلام في مواراته عن السلطان، وفي مواراته كان يدعو إلى الله ويطوف في البلدان، فلم تسعفه الأيام بتحقيق ما أراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان للمتوكل بصيرة في ألوان عذاب العباد، ومن ذلك أنه كان له تنور ضيقة لا يتمكن المعذَّب من القعود فيها، وكانت فيها مسامير.

ومن ذلك منع المعذَّب النوم، فكان يأمر بمساهرة المعذب فمتى أخذته عينه نخس بالحديد.

وبذينك العذابين عذب المتوكل علي بن محمّد الزيات، وكان من عمال العبّاسيين الكبار، وأحد رجال دولتهم، وسلك في المصادرة مسلك من تقدمه وتجاوز في التعذيب حد من سبقه.

وقتل إيتاخ، وهو الذي بلغ في نصرتهم الغاية في قتل النفوس وانتهاك المحرمات.

وعقد المتوكل عهد الخلافة لأولاده الثلاثة: محمّد الملقب المنتصر قاتل أبيه بأمره ومعونته، وللزبير ولقبه المعتز بالله، ولإبراهيم وسمّاه المؤيد بالله. ثم قسم بينهم الأرض فجعل لكل منهم نصيباً مفروضاً.

وسبب قتل المنتصر لأبيه أن المتوكل أكثر شرب الخمر في مجلس الشراب، وعنده المغنون والندماء، فعبث بابنه المنتصر، وأمر بعض الحاضرين بصفعه وإهانته وأكثر من شتمه وتهديده بالقتل، ثم قال المتوكل للحاضرين: اشهدوا أني قد خلعت المنتصر، وفي هذه الليلة قتل المنتصر أباه على أيدي بعض أعوانه وغلمانه.

فساد الحكم العبّاسي

كان الوزراء يرتشون، ومثلهم الولاة على الأقاليم، وكذلك الكُتّاب ؛ بل إنهم جميعاً يختلسون أموال الدولة من الخراج والضرائب والمكوس.

لذلك فقد كان الخلفاء يصادرون أموال الكُتّاب والوزراء والموظفين، والقضاة فيستخرجون بذلك منهم أموالاً طائلة، وكثيراً ما كانوا يعذبونهم بالضرب والسحب على الوجوه والرسف في القيود، وصب الزيت على رؤوسهم، أو النفط،

وتعليقهم في الجدر من أيديهم وأرجلهم، حتى يستخرجوا منهم كل ما يريدون من أموال.

وكان يُصْنَع بالتجار وأصحاب الجواهر والأموال العريضة نفس هذا الصنيع، فكانوا يدَّعون عليهم ودائع للسلطان يجب أن يردوها، وكانوا يتفننون في تعذيبهم لاستخراج الأموال، والويل كل لمن يرث من أبيه ميراثاً كبيراً.

فأصبحت الخلافة عبارة عن مجموعة لصوص ومختلسين وقُطَّاع طُرق، ثم تُبَدَّد تلك الأموال من جديد عن طريق الولاة والوزراء والكُتَّاب، وهذا في حين أن الشعب يتمرغ في البؤس والفقر والشقاء والحرمان، وزاد الطين بلَّة غَلَبة النساء على الحُكم.

(المنتصر) محمّد بن المتوكل (ت ٢٤٨ هـ):

واسمه محمّد بن المتوكل، وقد تقدم ذكر النسب، بويع له بعد قتل أبيه، وأقام في السلطان ستة أشهر ثم سمَّه الطيفوري فمات.

وكان يناقض أباه في أعماله فلم يتعرض لأحد من أهل البيت في أيامه بمكروه ولا قتل منهم أحد بسببه.

ومن وصيته لأحد عماله حين وجهه إلى المدينة: إني أوجهك إلى لحمي ودمي، ومَدَّ جلد ساعده وقال: إلى هذا وجهتك فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم – يعني آل أبي طالب –.. إلخ.

هذا ولما وَلِيَ المنتصر الخلافة ألحَّ عليه الأتراك الذين قتلوا المتوكل بأمره، ألحوا عليه أن يخلع المعتز والمؤيد الَّذَين كان أبوهما المتوكل قد عقد لهما بعهد الخلافة الواحد بعد الآخر، وذلك خوفاً منهما أن ينتقما لأبيهما فخلعهما المنتصر.

وقد كان الأتراك في هذه الفترات وما تلاها هم المسيطرون على الأمر، يخلعون من أحبُّوا، وينصبون من شاءُوا.

فلما مات المنتصر نصَّب الأتراك المستعين للخلافة، وأخرجوا الخلافة عن أولاد المتوكل وردوها إلىٰ بيت المعتصم.

وأمر برد فدك إلىٰ أولاد الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وأطلق أوقاف العلويين جميعاً، وأمر أن لا يتعرض أحد لشيعتهم بأذىٰ أو مكروه.

والمُسْتعين تلاه مُعْترٌّ … والمُهْتَدِي في غَيِّهم يجري
وانْصَبَّ سوطَ عذابِ نَاجِمِنَا … فأذاقهم كأساً من المُرِّ
دارت بهم أسيافه مائتا … ألف ونصف النِّصف لِلْقَفْرِ
أفناهم واسْأَلْ مَلَاحِمَه … تُنْبِئْكَ عمَّا عُدَّ في السِّفْرِ

(المستعين: أحمد بن محمّد بن هارون ت ٢٥٢ هـ)

هو أبو العباس أحمد بن محمّد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع له يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ، وهو جارٍ مجرىٰ من تقدمه في انتهاك المحرمات.

وفي أيام المستعين قام الإمام يحيىٰ بن عمر بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان قد خرج في أيام المتوكل فأُخذ وحُبس وضرب، ثم أطلق بعد حين، ثم خرج إلىٰ الكوفة زمن المستعين ودعا إلىٰ الرضا من آل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأظهر العدل وحسن السيرة علىٰ طريق الأئمة الطاهرين، وكان عالماً عابداً، كريماً، شجاعاً، مكتمل القوىٰ، شديد البدن، مجتمع القلب، وقُتِل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد معارك وحروب بينه وبين جنود المستعين، ورثاه الكثير من الشعراء بما لم يرث به أحد قبله ولا بعده، ورثاه المُجِيْدُون من الشعراء.

فمن ذلك قول علي بن العباس الرُّومِي، وهي من مختار ما رُثِي به:

أمامَك فانظر أيّ نهجيك تنهجُ ... طريقان شَتّى مستقيم وأعوجُ
ألا أيُّهذا الناس طال ضَريرُكُم ... بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا
أَكُلَّ أوانٍ للنبي محمَّدٍ ... قتيلٌ زكيٌ بالدماءِ مُضَرَّجُ
تبيعون فيه الدين شر أئمةٍ ... فللَّه دين الله قد كان يَمْرُجُ

ومنها:

أبعد المُكَنَّى بالحسين شهيدكم ... تضاء مصابيح السماء فَتُسْرَجُ
لنا وعلينا لا عليه ولا له ... تُسَجْسَجْ أسراب الدموع وتَنْشُجُ

ومنها:

أيحيى العُلا لهفي لذكراك لهفةً ... يباشر مكواها الفؤاد فَيَنْضُجُ
سلامٌ وريحانٌ ورَوحٌ ورحمةٌ ... عليك وممدود من الظل سجسجُ
ولا برح القاع الذي أنت جاره ... يرف عليه الأقحوان المُفَلَّجُ
ويا أسفي ألَّا تُرَدُّ تحيَّةٌ ... سِوَى أَرَجٍ من طيب رمسك يَأرَجُ

منها في ذم بني العباس:

بآية ألَّا يبرح المرء منكم ... يُكب على حُرِّ الجبين فيُعفجُ
يبيت إذا الصهباء روَّت مشاشه ... يُساوره عِلْجٌ من الروم أَعْلَجُ
فيطعنُه في سبَّة السوء طعنةً ... يقوم لها من تحته وهو أَفْحَجُ
لِذاك بني العباس يصبر مثلكم ... ويصبر للموت الكميُّ المُدَجَّجُ
فهل عاهةٌ إلا كهذي وإنكم ... لَأكذب مسئول عن الحق يَلْهَجُ
فلا تجلسوا وسْطَ المجالس حُسَّراً ... ولا تركبوا إلاَّ ركائب تُدْحَجُ
أبى الله إلا أن يطيبوا وتُخبثوا ... وأن يسبقوا بالصالحات ويَفْلُجوا
وإن كنتُمُ منهم وكان أبوكُمُ ... أباهم فإنَّ الصفو بالرَّنْقِ يُمْزَجُ
أروني امرأً منهم يَزِنّ بأبنة ... ولا تنطقوا البُهتان فالحقُّ أَبْلَجُ

******

وقال علي بن محمّد بن جعفر العلوي يذكر دخولهم على محمّد بن عبد الله بن طاهر في التهنئة:

قتلت أعز من ركب المطايا ... وجئتك أستلينك في الكلام
وعزَّ عليّ أن ألقاك إلَّا ... وفيما بيننا حدّ الحسام
ولكن الجناح إذا أهيضت ... قوادمه يدف على الأكام

وقال أيضاً:

تَضَوَّع مسكاً جانب القبر إذ ثوى ... وما كان لولا شلوه يتضوع
مصارع أقوام كرام أعزةٍ ... أتيح ليحيى الخير في القوم مصرع

وخرج في أيام المستعين الحسين بن محمّد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وخرج بالكُوفة، وأخِذ، وحبس، ثم أطلق، ثم خرج وحبس فظُفِر به فحبس، ثم مات في محبسه أيام الموفق.

وخرج أيضاً محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسين، أخذ، وحبس حتى مات.

تدهور الخلافة العباسية

سيطر الأتراك على الحُكم بعد مقتل المتوكل فكانوا هم الحُكَّام الحقيقيين، ولم يكن للخلفاء حينئذٍ أيُّ سلطان، ومن أين لهم السلطان والترك يولون ويعزلون ؛ بل يسفكون دماءهم، وكل ما يأتون من الأمر أو يدعون فإنما هو تدبيرهم، وقد صور ذلك بعض الشعراء لعهد الخليفة المستعين فقال:

خلافــــةٌ في قفـــــصٍ ... بــــين وصـــــيفٍ وبغـــــا
يقـــول مـــا قـــالا لـــه ... كــــما يقـــــول الببغـــــا

(المعتز) الزبير بن جعفر (ت ٢٥٥هـ):

بويع المعتز البيعة العامة ببغداد، لأربع خلون من المحرم سنة ٢٥٢هـ، واسمه الزبير بن جعفر المتوكل، وكان في السجن هو وأخوه المؤيد.

وقد كان الأتراك غضبوا على المستعين، فأخرجوا المعتز من السجن، وبايعوا له بالخلافة، وخلعوا المستعين.

وكان المستعين حينئذ في بغداد، فحوصر من قبل أعوان المعتز حصاراً شديداً، ووقع خلال ذلك معارك دامية، وقتل فيها الآلاف من الأتراك وأهل بغداد، وأخيراً اضطر المستعين إلى القبول بخلع نفسه، واشترط لنفسه ولقواده شروطاً وقَّع عليها المعتز، ودخل المعتز بغداد، وبايع له المستعين، وكان دخوله بغداد في المحرم سنة ٢٥٢هـ، وخطب له فيها:

خلـع الخليفـة أحمـد بـن محمّـد ... وسـيقتل التـالي لـه أو يخلـع
ويـزول ملـك أبيـه ولا نـرى ... أحـداً بملـك مـنهم يتمتـع
إيهـاً بنـي العبـاس إن سـبيلكم ... في قتـل أعبـدكم سـبيل مهيـع
رفعـتهم دنيـاكم فتمزقـت ... بكـم الحيـاة تمزقـاً لا يرفـع

وبعد أشهر من ولايته خلع أخاه المؤيد من ولاية العهد، وكان المؤيد في الحبس، وبعد أيام مات المؤيد في محبسه، قيل: إنه أقعد في ثلج حتى جمد، وقيل: إنه خنق في لحاف أمسك طرفاه. وفي الوقت نفسه أمر المعتز بقتل المستعين فقتل وحمل رأسه إليه.

وفي أيام المعتز خرج إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وكان بينه وبين والي مكة من قبل بني العباس حرب، قتل فيها الحسن بن يوسف أخو إسماعيل بن يوسف، وقتل فيها جعفر بن عيسى من أولاد جعفر بن أبي طالب، وقتل أيضاً أحمد بن عبد الله من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب، وأُخِذ عيسى بن إسماعيل من أولاد جعفر بن أبي طالب، وحبس فمات في الحبس، فهؤلاء ممن خرج مع إسماعيل بن يوسف.

وقتل بالري جعفر بن محمّد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقُتِل إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب قتله طاهر بن عبدالله في وقعة بينه وبين الكوكبي بـ (قزوين).

وأخذ في المدينة أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، فحبس بها حتى مات.

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب خلع الأتراكُ المعتز، دخلوا عليه، فجرُّوه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده، وأدخلوه الحجرة، وأحضروا جماعة أشهدوهم على خلعه، وأن للمعتز الأمان هو وولده وأُمُّه وأخته.

وبعد ذلك سلمه الأتراك إلى من يعذبه، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم أدخلوه سرداباً، وجصصوا عليه فمات، فلما مات أشهدوا على موته بني هاشم والقواد، وأنه لا أثر فيه، ودفنوه مع المنتصر، وكانت خلافته من حين بويع إلى أن خُلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكان عمره كله أربعاً وعشرين سنة.

(المهتدي) محمّد بن هارون الواثق (ت ٢٥٦ هـ):

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ بايع الأتراك لمحمّد بن الواثق.

وفي رجب الخامس عشر منه سنة ٢٥٦هـ خلعوه وقتلوه بعد وقعة قتل فيها الآلاف من الأتراك وأنصار المهتدي، ولّى فيها المهتدي منهزماً وهو يقول وينادي: يا معشر المسلمين ؛ أنا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتكم.

فلم يجبه أحد، فأخذه الأتراك، وحبسوه، ثم داسوا خصيتيه، وصفعوه حتى مات، وأشهدوا على موته أنه سليم ليس به أثر، ودفن بمقبرة المنتصر.

وفي أيام المهتدي كان ابتداء أمر الناجم واسمه علي بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فابتداء أمره قد كان سنة ٢٥٥هـ، واستمر إلى سنة ٢٧٠هـ وقد كان أكثر جيشه من الزنوج.

وكما قال شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقد صب الله به على جيوش الضلال أسواط العذاب، وأذاقهم به مرارة النكال والوبال، وحصد بسيفه من الجيوش العباسية مائتي ألف وخمسين ألفاً، وامتلأت دنيا العباسيين من هذا الناجم خوفاً ومهابة، وضاقت عليهم الدنيا بخروجه.

وخرج مع الناجم جماعة من الطالبيين ؛ منهم: محمّد بن القاسم بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وطاهر بن أحمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قال الإمام عبد الله بن حمزة في الشافي: وفي أيام المهتدي نجم الناجم بالبصرة علي بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولسنا نذكر شيئاً من أمره؛ لأنا لم نرض طريقته وإن كان – والحمد لله – أفضل من أفاضلهم بكثير؛ لأنه كان يقتل على الكبائر، ويقول من قطع فريضة من فرائض الله كفر، ويقتل في شرب الخمر وفي كل معصية، وقد نال منهم منالاً عظيماً فأحصيت القتلى من جند بني العباس في أيامه مائتي ألف قتيل وخمسين ألف قتيل، وكان للنصف من شوال سنة ست وخمسين ومائتين قيامه في نخيل البصرة بأمر ضعيف،

فكان قوياً بعد ذلك، وأقام ست عشرة سنة، فملك البصرة والأهواز والأيلة وواسط.

وممن خرج في أيام المهتدي علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين خرج بالكوفة.

قال في المقاتل: ولم يكن للزَّيديَّة وأهل الفضل والوجوه فيه هوى.

وقُتِل في واقعة بـ(قزوين) الحسين بن محمّد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وقتل في وقعة بـ(الرَّي) يحيى بن علي بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وأُسِر محمّد بن الحسن من أولاد زيد بن الحسن، وحمل إلى المدينة فتوفي بالصفرا فقطعت رجلاه لأخذ القيود.

وقُتِل جعفر بن إسحاق من أولاد الحسين بن علي عليه السلام، قتله سعيد الحاجب بالبصرة.

وقَتَل سعيد الحاجب أيضاً موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، قتله بالسُّم، واحتز رأسه وحمله إلى المهتدي في المحرم سنة ٢٥٦هـ، وكان رجلاً صالحاً عالماً، روي عنه الحديث.

وأسر في عهد المهتدي عيسى بن إسماعيل من أولاد جعفر بن أبي طالب، وحمل إلى الكُوفة فمات بها.

وقتل بين الرَّي وقزوين محمّد بن عبد الله من أولاد جعفر أيضاً.

وحُبس بمكة حتى مات عبد الله بن محمّد من أولاد الحسن عليه السلام.

واعْــدُدْ بِمُعْتَمِــدٍ وَمُعْتَضِــدِ   وَالْمُقْتَفِـــي وَكَـــذَا بَمُقْتَـــدِرِ [(١)]

في هذا البيت أربعة من خلفاء بني العبّاس:

(المعتما أحمد بن جعفر المتوكل ذ ٧٩ هـ :

أحمد بن جعفر المتوكل، ولقب بالمعتمد، وكنيته أبو العباس، وقيل: أبو جعفر.

بويع له لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ٢٥٦هـ، وكان مُقبلاً على اللّذات، مشغولاً عن التدبير بالشهوات، وكان المتصرف في أمر الرعيَّة، أخوه أبو أحمد طلحة، وعقد له الخلافة بعده ولقبه الموفق بالله، فهو الذي كان يورد ويصدر عن رأيه ؛ بل كان هو المتولي للحروب، وفي أيامه وقع الهلاك على الجنود العباسية على أيدي الناجم بالبصرة.

وفي أيامه قام من الذرية الزكية أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أُمُّه من الأنصار من أولاد عثمان بن حنيف، فقتله ابن طولون على باب أسوار، وحُمِل رأسه إلى المعتمد.

وأحمد بن محمّد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين زين العابدين أُسِر بـ(نيسابور) فمات في السجن.

و عبد الله بن علي بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين قتل في وقعة خمارويه بن طولون.

---

(١) – في نسخة:

وبأحمدين   ومقتفٍ   لعبت   شهواتهم   بِهِمُ   ومقتدر

وعلي بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي زين العابدين، قتل على باب المعتمد بـ(سر من رأى) غيلة.

و محمّد بن أحمد بن محمّد بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين، وأُمُّه أم نوفل بنت جعفر بن الحسين بن علي بن عمر بن علي زين العابدين، قتله عبد العزيز بن دلف صبراً بآبة قرية بين قُم وساوة.

وحمزة بن الحسن بن محمّد بن جعفر بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أُسِر في وقعة وهشوذان فقتله صلابي التركي صبراً.

وحمزة بن عيسى بن محمّد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتل في الوقعة التي كانت بين الصفار والحسن بن زيد الدّاعي عليه السلام بطبرستان.

وقُتِل أيضاً في هذه الوقعة محمّد وإبراهيم ابنا الحسن بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي زين العابدين، والحسن بن زيد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قتل في هذه الوقعة.

وإسماعيل بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام قتل في هذه الوقعة.

وتوفي بـ(سر من رأى): محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد الأكبر بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أمه بنت عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر.

وتوفي في السجن بـ(سر من رأى) أيضاً موسى بن موسى بن محمّد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأَسَرَ سعيد الحاجب: محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فتوفي محمّد في السجن، وكان عالماً فاضلاً،قد كُتِب عنه الحديث، وروى هو عن محمّد بن منصور المرادي كتب أبيه أحمد بن عيسى بن زيد في الأحكام.

ولما غلب يعقوب بن الليث الصفار على نيسابور أسر الحسين بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وحمله إلى طبرستان، فمات في الطريق.

وتوفي محمّد بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن الحسن بمحبسه بنيسابور، وأسره في وقعة طبرستان، فهؤلاء من الفضلاء من الذُّريَّة الطَّاهرة حصدتهم وملكتهم السيوف، قالت الذرية الطاهرة: يُطاع الله ولا يُعصى.

وقالت الجنود الفاجرة العباسية يُعصى الله ولا يُطاع. أفاد ذلك في الشافي.

واسم الموفق طلحة بن جعفر المتوكل، وهو أخو المعتمد غير أن أبا طلحة كان هو القائم بتدبير شؤون السلطان.

وقد كان المعتمد جعل ولاية العهد لولده جعفر ولقبه بالمفوّض، غير أن الموفق أبا طلحة خلع جعفراً من ولاية العهد وجعلها لابنه المعتضد، وحبس المعتمد.

قال في مروج الذهب: وقد كان المعتمد آثر اللذة، واعتكف على الملاهي، وغلب أخوه أحمد الموفق على الأمور وتدبيرها، ثم حظر على المعتمد وحبسه، فكان أول خليفة قهر وحبس وحجر عليه. انتهى.

ومات الموفق ليلة الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ٢٧٨هـ، ومات المعتمد بعد موت الموفق في ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ، وكان موته بالسُّم كما في مروج الذهب.

المعتمد والموفق

كان المعتمد منهمكاً في اللّهو واللذات غير أن أخاه طلحة الذي لقب بالموفق نهض بالأمر من دونه فثبَّت الخلافة إلى أبعد حدّ، وأعاد إليها بحزمه وعزمه وجده هيبتها ومكانتها.

وقد ترك أخاه عاكفاً على ملذاته، واحتمل أعباء الخلافة بحيث أصبح هو الخليفة الحقيقي، أما أخوه فلم يكن له من الخلافة سوى الاسم، وقد صوَّر ذلك بنفسه قائلاً:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قلَّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيءٌ في يديه

(المعتضد: أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل ت ٢٨٩ هـ):

المعتضد بالله، واسمه أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل، وهذا هو الثاني من الأحمدين المذكورين في البيت.

بويع لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ في اليوم الذي مات فيه عمِّه المعتمد، وكانت وفاته يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ.

المعتضد بن الموفق

قال فيه أحد المؤرخين: كان المعتضد مهيباً شجاعاً، أسمر نحيفاً، معتدل الخَلق، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة من أفراد رجالات بني العباس وشجعانهم، وهو آخر خليفة أخذ بزمام الخلافة، فلم يرتفع للترك في عهده صوت، ثم أخذ أمرُ الخلفاء بعده في إدبار، فما إن مات حتى تقوض ما كان أرسى بناءه هو وأبوه الموفق فعاد للترك سلطانهم وطغيانهم، وعاد الخلع وسفك الدماء، وزادوا سمل الأعين.

وكان من أسباب تدهور الخلافة انغماس الخلفاء في اللهو والترف والإقبال على كل متاع وشهوة بالإضافة إلى الإدمان على شرب الخمور، وارتكاب كل فُجُور، فكأن الخليفة لا يفكر إلاَّ في نفسه وملذاته، وكأنه ليس هناك جيوش تُعَدُّ للحرب

بأسلحتها وعددها الكثير، وكأن ليس هناك رعية يقوم الخليفة على توفير مصالحها فيبني لها المصحات، ويوفر العيش والكساء، والأمن والرخاء؛ بل إن الرعية تكدح وتشقى وتتذوق مَرَارة الشقاء والكدح من أجل أن ينعم الخليفة ويلهو ويبني القصور ويملؤها بالجواري من كل لون.

وقال في مروج الذهب: كان قليل الرحمة، كثير الإقدام، سفاكاً للدماء، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله، وكان إذا غضب على القائد النبيل، والذي يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حُفيرة بحضرته، ثم يدلى على رأسه فيها، ويطرح التراب عليه، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب، ويُداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره.

وذُكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتّف، ويقيد، فيؤخذ القطن، فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه، ثم يسد الدبر بشيءٍ من القطن، ثم يُفصَد – وقد صار كالجمل العظيم – من العرقين اللذين فوق الحاجبين، فتخرج النفس من ذلك الموضع، وربما كان يقام الرجل في أعلى القصر مجرداً موثقاً ويرمى بالنشاب حتى يموت.

واتخذ المطامير، وجعل فيها صنوف العذاب، وجعل عليها نجاح الحرمي المتولي لعذاب الناس، ولم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء، فإنه انفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار، وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ.

وممن قُتِل أيام المعتضد:

محمّد بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو المعروف بالدَّاعي، وكان قبله أخوه الحسن بن زيد عليه السلام.

و محمّد بن زيد هو القائم بخراسان يضرب بعدله المثل، وهو الذي أجرى فيها رسوم العدل، ونفى رسوم الجَور، وأظهر معالم الدين، وعُزَّت الذُّرِّيَّة الطّاهرة في

أيامه وأيام أخيه، وانتصف من الأعداء، وأقام بها سوق العدل والتوحيد، ونفى الجبر والتشبيه والمذاهب الرديّة من القدر والإرجاء.

فقُتِل عليه السلام في وقعة بينه وبين الجيوش العباسية، ومشهده بجرجان مشور مزور، وفي هذه الوقعة أسر ابنه زيد بن محمّد بن زيد، وكانت شهادته عليه السلام يوم الجمعة في شهر رمضان سنة ٢٧٧هـ.

قيام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحس عليه السلام في أرض اليمن (ت ٩٨ هـ :

وفي أيام المعتضد قام في أرض اليمن الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام أحيا الله تعالى به الدين، وطهّر به أرجاس القرامطة، وقد كان له معهم نيف وسبعون وقعة كانت اليد له فيها عليهم.

قال نشوان في كتاب ((الحور العين)): فخرج أحمد بن عبد الله الأكيلي من اليمن إلى العراق، وافداً على المعتضد بالله في آخر أيامه، يستنجده على يحيى بن الحسين عليه السلام، فوجد المكتفي قد بويع له، فواجهه المكتفي بالعراق، وأمر معه بالجيوش العظيمة، حتى ورد كتاب أبي مزاحم ولي الحرمين، يخبر أن يحيى بن الحسين العلوي قد خرج من صنعاء، ففتر السلطان عن ذلك العزم.

المكتف علي بن أحمد المعتضد (ت ٩٥ هـ :

واسمه علي بن أحمد المعتضد، وبويع له في اليوم الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد، وهو يوم الإثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ، ويكنى أبو محمّد، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي العقدة سنة ٢٩٥هـ.

وفي المقاتل: قُتِل في أيامه محمّد بن علي بن إبراهيم من أولاد الحسين بن علي عليهما السلام، وعلي بن محمّد من أولاد محمّد بن الحنفية، اتهمهما السلطان بالخروج عليه من

غير أن يكون منهما خروج، فأُخِذا وقطعت أيديهما وأرجلهما وضربت أعناقهما صبراً.

وقُتِل زيد بن الحسين من أولاد الحسين بن علي عليه السلام، قتله القرمطي في طريق مكة، وكان شيخ بني هاشم.

وقُتِل محمّد بن حمزة من أولاد العباس بن علي بن أبي طالب، قتله بعض أعوان السلطان دخلوا عليه في بستان، فكبسوه، وقطعوه بالسكاكين. انتهى.

(المقتد) جعفر بن أحمد المعتضد تـ ٢٠' ٥ :

واسمه جعفر بن المعتضد، وكنيته أبو الفضل، بويع له لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ، تقلد الأمر وله ثلاث عشرة سنة.

ولما تقلد الأمر غلب على أمره النساء والخدم، ولتشاغله باللذات وعكوفه على الشهوات غلبت القرامطة – لعنهم الله تعالى – على كثير من البلدان، وقصد ملعونهم أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي مكة فدخلها يوم التروية، فقتل الحُجاج قتلاً ذريعاً، قيل: بلغ عددهم ستة آلاف، ورمى بهم في زمزم، وأخذ الحجر الأسود، وعَرَّى الكعبة وقلع بابها، وبقي الحجر الأسود عند القرامطة اثنين وعشرين سنة، ثم ردوه، في قصص يطول شرحها.

وفي أيام المقتدر استولت الباطنية على أعمال الغرب وإمامهم عبيد الله الملقب بالمهدي.

وفي أيامه من أهل البيت عليهم السلام طائفة كثيرة ؛ منهم: العباس بن إسحاق الذي يقال له المهلوس من أولاد الحسين بن علي.

وقُتِل في أيامه وقعت الحرب بين الطالبيين والعباسيين بسبب بناء بناه الطالبيون في جامع الكوفة على الموضع الذي كان علي عليه السلام يجلس فيه للقضاء، فهدمه العباسيون، قتل فيها جماعة من الطالبيين وجماعة من العباسيين.

وقتل بالسُّم في أيام المقتدر طاهر بن يحيى من أولاد الحسين عليه السلام، وكان سيِّداً فاضلاً عالماً، روى عنه العلماء من أهل العدل والتوحيد.

وقتل في أيامه الحسن بن محمّد بن عبد الله من أولاد عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام، و عبد الله بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وأحمد بن القاسم بن محمّد بن جعفر الصادق، وجعفر بن الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي، والحسين بن الحسن بن محمّد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن.

فهؤلاء الذين قُتِلوا في أيامه بأيدي ولاته وعماله وأولياء دولته دون من قتل بأسبابهم فهم في الحكم كأنه من جهتهم ممن شردته المخافة من سطوة الظالمين.

ذكر ذلك الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام في الشافي.

وزاد في مقاتل الطالبيين على ما ذكره الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام، ذكر أعداد رجالٍ آخرين من الطالبيين قتلوا في أيام المقتدر.

وذكر في الكامل أن الإمام الحسن بن القاسم الدَّاعي قتل أيام المقتدر في ٣١٦هـ، وهذا هو الذي ذكره شيخنا رضي الله عنه في التحف ونسبه – كما في التحف – الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبدالرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليهم السلام.

قيام الإمام المرتضى محمّد بن الإمام الهادي ' تـ ١٠'٥)

وفي زمانه أيضاً كان قيام الإمام المرتضى محمّد بن الهادي عليهما السلام.

وقد بويع له بعد موت أبيه الإمام الهادي عليهما السلام، وكل ذلك قد كان في عهد المقتدر.

ومات المرتضى عليه السلام سنة ٣١٠هـ، وتوفي الناصر في ثامن عشر من ذي الحِجَّة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة في عهد الراضي.

هذا وقد عاصر المقتدر في أيامه الناصر لدين الله الإمام الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالأطروش، ولم يكن في عصره مثله شجاعة وعلماً، وورعاً وزهداً، وكرماً وفضلاً، وسيرته عليه السلام مشهورة، توفي عليه السلام بـ(آمل) في شعبان سنة ٣٠٤هـ، وله من العمر أربع وسبعون سنة، ومشهده بـ(آمل) مشهور مزور.

وقُتِل المقتدر ببغداد يوم الأربعاء لثلاث ليالٍ بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة في وقعة كانت بينه وبين مؤنس الخادم.

وقد كان مؤنس الخادم قد خلع المقتدر في سنة ٣١٧هـ، ورده بعد الخلع إلى الخلافة.

وقد كان زمام الأمر بيد الأتراك، ومن هنا قال شيخنا الناظم رضي الله عنه في البيت الذي بعد هذا البيت الذي شرحنا: (وتولت الأتراك للأمر).

قال الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي نقلاً عن ثابت بن سنان في تاريخه: لما استقرت الأمور للمقتدر توفر على لذاته، وتعلق بالنساء حتى احتشم من مواجهة الرجال رأساً، وانقبض عنهم، واطرح من رام الاتصال به، وعاشر النساء، وغلب على الدولة الحرم، وأنفق الأموال إسرافاً وتبذيراً مفرطاً أدّى إلى تلفها، وصارت فاطمة القهرمانة الوسيلة إلى سلامة أفاضل المسلمين من شره.

وكان أمر خلافته مردوداً بين النسوان من الحرائر والإماء، وبين النصارى والخدم يتصرفون في المسلمين بما شاءُوا.

منهم: إسحاق بن دليل النصراني، وعلي بن عيسى، وعبدالله بن شمعون النصراني، ومارك بن الوليد النصراني، وأبو إبراهيم النصراني، وأبوس النصراني، ولما ماتت ثمل القهرمانةأقام نعمة جارية ثمل مقامها، وكانت ذمّية، وكانت عند المقتدر في منزلة لم ينزِّلها أحداً من كبراء العباسيين وأمراء الدولة، تشفع للوزير وتعقد إمارة الأمير.

وقمرية الأكثمية المغنية كان لها جانب وسيع، وصوت رفيع.

وأم القهرمانة العازلة للوزير علي بن عيسى من الوزارة.

وزيدان القهرمانة كان لها محل في السلطان لم يبلغه سواها.

ومن عجائب أمور العباسيين - وإن كانت كلها عجيبة — أن المقتدر قلد ولده المكنى أبا العباس أعمال الحرب بمصر وله أربع سنوات، واستخلف له مؤنساً الخادم، وكتبت عنه الكتب وإليه. انتهى.

قلت:هكذا صارت خلافة النبوة إلى خلافة للشيطان، ترتع في الإثم والعدوان، وترتكب العظائم والجرائم، وتأمر بالفحشاء والمنكر، وتتكلم بلسان الشيطان وتعمل أعمال الشيطان إلى حدٍّ ضاعت فيه أحكام القرآن وشرائع الإسلام ؛ بل إلى حدٍّ لو سمحت فيه المقادير للشيطان أن يتربع على منصة الخلافة لما تجاوز تلك الحدود التي بلغها خلفاء بني العباس ومِنْ قبلهم خلفاء بني أُميّة من البغي والفساد، وارتكاب العظائم والجرائم.

ومن المؤسف حقاً أن يكون هؤلاء هم رعاة المسلمين، وخلفاء الله في أرضه والأمناء على دينه، والقائمون مقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مع ما هم عليه من القبائح والفضائح منذ عهد معاوية ويزيد، والسَّفَّاح والمنصور، وإلى آخر ولاة الدولتين.

تواطؤ علماء السوء مع سلاطين الجَور :

وهكذا كان العلماء يصنعون لسلاطينهم ما يشتهون، ويُرَوِّجون لهم ما يتمنون.

أما العلماء الربَّانيون الذين لا يخافون في الله لومة لائم فقد حصدتهم سيوف الخلفاء، وتمالأت عليهم علماء الأُمَّة ورعاتها بالجفاء، فلا تحس منهم في تلك الأحقاب حساً، ولا تسمع لهم ركزاً، ومن هنا كانت الساحة العلمية في تلك الأزمنة خالصة للمذهب الموروث عن بني أُمَّية من دون أي معارض.

تمزق بلاد المسلمين

منذ عهد المقتدر وما بعده وفي حدود سنة ٢٤٧هـ استطاع يعقوب بن الليث الصفار أن ينفصل عن الدولة العباسية فاستقل بالأمارة الصفارية في شرق إيران ((بلوخستان)) ومدَّ حدودها حتى شملت كرمان وأفغانستان والهند، واستقل أحمد بن طولون على مصر وامتد حكمه إلى الشام، وأصبحت فارس والرَّي وأصبهان والجيل في أيدي بني بويه، وخُراسان في يد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، وكرمان في يد محمّد بن إلياس، والموصل وديار ربيعة وبكر ومضر في أيدي بني حمدان، والأهواز وواسط والبصرة في يدي البريدي، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر الجنَّابي القرمطي، ومصر وافريقية في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد عبدالرحمن الأمويّ، ولم يبق في يد الخليفة سِوى بغداد استولى عليها منه البويهيون وخلعوا الخليفة وولوا المطيع.

وكــذاك قـــاهرهم وراضـــيهم   وتولَّـــت الأتـــراك لِلْأَمْـــرِ

وفي هذا البيت اثنان من سلاطين العباسيين:

(القاهر) محمّد بن المعتضد ت ٣٢٢ هـ

القاهر بالله أبو منصور محمّد بن المعتضد، بويع له يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر شوال سنة ٣٢٠هـ، وكان ألثغ شديد الإقدام على سفك الدماء بغير بصيرة ولا برهان، أهوج يأكل التراث أكلاً لماً، ويحب المال حباً جماً، قبيح السياسة، سيء الظن، وكانت مدته قصيرة يسيرة، وأحداثها طويلة كثيرة، أقام في الأمر سنة وستة أشهر وثمانية أيام.

وكبس عليه الغلمان الساجية والحجرية فحبس، وسُمِلَت عيناه، وهو أول من سُمِل، وخلع يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ، وقتل جماعة من رجال الدولة منهم مؤنس الخادم.

الراضي محمّد بن جعفر المقتدر (ت ٣٢٩ هـ):

الراضي بالله، واسمه محمد بن جعفر المقتدر، ويكنى أبا العباس، بويع له يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ، فأقام في الخلافة إلى أن مضى من ربيع الأولى عشرة أيام سنة ٣٢٩هـ، ومات حتف أنفه بمدينة السلام، وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام، ولم يقصر الراضي عمن تقدمه من الخلفاء في المعاصي والملاهي.

وفي أيامه كان قيام الداعي الحسن بن القاسم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبويع للداعي يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان، فأظهر من حسن السيرة في الأمور كلها من بسط العدل والإحسان إلى الناس عموماً، وإلى الأشراف وأهل العلم على طبقاتهم وتسويغ حوائجهم، والتشديد على أهل العيث والفساد، ما يضرب بعدله المثل بطبرستان فيقال: عدل الداعي.

وكانت له حروب مشهورة ووقائع معروفة مع الجنود العباسية، ومع ولدي الناصر فقد كانا نازعاه، واستظهر استظهاراً تاماً في تلك الجهات. هكذا قال الإمام عبد الله بن حمزة عَلَيْهِ السَّلَامُ في الشافي.

والصحيح أن الإمام الداعي الحسن بن القاسم قُتِل في أيام المقتدر سنة ٣١٦هـ، كما ذكره شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التحف.

وذكره أيضاً في الكامل، وقد ذكرنا ذلك فيما سبق ؛ وإنما ذكرنا ذلك هنا تبعاً للإمام المنصور، ولما في كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ من حسن الثناء على الإمام الدَّاعي، ومن الإشارة إلى شيءٍ من عدله وسيرته وجهاده.

وعادة الإمام المنصور بالله عليه السلام في قسم التاريخ من كتابه الشافي أن يقارن بين كل خليفة من خلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وبين من قام في عصر كلٍ منهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام، من أجل أن يعرض للقارئ الفوارق بين كلٍّ منهم ومن يوازيه من أهل البيت عليهم السلام، ولا شك أن القارئ اللبيب يجد الفرق الواضح بين أولئك المتسلطين وبين دعاة أهل البيت عليهم السلام، كوضوح النهار من الليل، والسماء من الأرض، والمؤمن من الكافر، والمهتدي من الضال، والحي والميت، والأعمى والبصير، والظل والحرور.

ولا يخفى على أهل العقول أن المؤمن أولى بالخلافة من الفاسق، وأن المهتدي أولى من الضال، وأن العادل أولى بها من الجائر، عرفت ذلك الأمة، وتحققته في مبادئ فطرتها وضرورة دينها، ولم يكن داؤها هو الجهل، كَلّا ؛ بل إن داءها هو الأهواء وحب الدنيا، وتماماً كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة / ٢٠-٢١]، ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر / ١٩-٢٠].

لذلك سارعت الأمة إلى قتل الحسين عليه السلام، وطاعة يزيد وعبيد الله بن زياد، ثم هرولت إلى مناصرة مروان الطريد ومشايعته ومبايعته بإمرة المؤمنين، وخلافة رسول ربِّ العالمين، وتركت – كما ذكرنا – سيد العابدين وكامل آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، مع علمها بما بين الطرفين من الفوارق الجليَّة الواضحة.

المذهب الأشعري

أورد شوقي ضيف صاحب كتاب ((العصر العباسي)) قائلاً: كان أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل سليل أبي موسى الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ، تلميذاً لأبي علي الجبائي المعتزلي، وقد ظل على مذهب المعتزلة أربعين عاماً كان يختلف فيها

إلى حلقات أستاذه أبي علي الجبائي، ثم بعد ذلك تاب (١)من القول بالعدل، وخلق القرآن، وعدم رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار، وأن الإنسان يفعل أفعاله بقدرته وإرادته الخاصة، وذهب إلى مذهب متوسط – بزعمه – بين المعتزلة والجبرية.

فقال: إن الله تعالى هو الذي يخلق أفعال الإنسان وهي للإنسان كسب.

وقال: إن صفات الباري تعالى أزلية قائمة بذاته.

وقال في القرآن: إن العبارات والألفاظ المنزلة دلالات على الكلام الأزلي، والدلالات محدثة مخلوقة، والمدلول قديم أزلي.

ورفض دلالة العقل فقال: إن معرفة الله تعالى لا تكون بالعقل ؛ بل بالوحي والشرع ونصوص الكتاب والسنّة.

فالعقل عنده لا يوجب شيئاً، ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، فالواجبات عنده كلها إنما تجب بالسمع فقط. انتهى.

قلت: كان هذا هو بداية المذهب الأشعري، ولم يكن له وجود قبل ذلك، وليس للأشعري فيما ذهب إليه سلف ((وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)).

هذا ولم يبعد كثيراً ببدعته تلك عن المذهب الرسمي للدولتين (١)، والجديد من بدعته التي ابتدعها هو صناعته لفلسفة جديدة كسى بها المذهب الموروث ثوباً جدياً، فأخرجه للناس في ذلك الثوب الجديد.

اتفاق الحنابلة و لأشاعرة في أصول المذهب التقليدي :

ومن هنا فإنك لا تجد خلافاً بين الحنابلة والأشعرية في أصول المذهب التقليدي العام، فهم متفقون جميعاً على أن الله سبحانه وتعالى هو خالق أفعال العباد الطاعة

(١)- هذا حسب تعبير شوقي ضيف واعتقاده.

(١)- أنظر صفحة....... في تفسير مصطلح الحديث.

منها والعصيان، وأنه يُرى يوم القيامة، وعلى وجوب طاعة السلطان المتغلب وإن اقترف العظائم والكبائر، وعلى تحريم الخروج عليه، وعلى تولي معاوية والعمل بسنته، وعلى معاداة عدوه الذين هم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده وأهل بيته واشياعهم عبر القرون، وما يتبع ذلك من الذم لهم والتضليل، ورد شهاداتهم ورواياتهم و.. إلخ.

وعلى تزكية جميع الصحابة وتعديلهم، وتحريم الخوض فيما جرى بينهم.

واتفقوا على أن العقل لا يوجب تحسيناً ولا تقبيحاً، وأن ذلك لا يكون إلاَّ عن طريق السمع.

واتفقوا على تفسير المؤمن والإيمان والشفاعة للفاسقين، والخروج من النار للموحدين، وعلى مسائل النبوة الإمامة و.. إلخ.

والذي اختص به الأشعري هو تأويل الآيات التي ظاهرها التشبيه على حد ما تفسره العدلية ؛ إلاَّ ما يتعلق بالرؤية فإنه أبقاه على ظاهره.

واختص أيضاً بالكسب، وبقدم معنى القرآن دون ألفاظه المُنَزَّلة.

وبإخراج علم الكلام في صورة فلسفية جديدة، استنكرها إخوانه من أهل السنة والجماعة، ولم تستسغها أفكارهم الجامدة، لذلك افترقت بهم الطريق، وانشقت العصا، وأصبح الفريق الواحد فريقين، كل منهما يقول إنه صاحب السنة والجماعة.

مذهب أهل البـ عليهم السلام

وإذ قد أشرنا إلى مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة والجماعة (الحنابلة والأشعرية) فلنشر هنا إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام (الزَّيْدِيَّة) فنقول وبالله التوفيق:

مذهب الزيدية هو امتداد لمذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أن مذهب أهل السنة والجماعة امتداد لمذهب معاوية بن أبي سفيان، لذلك فإن أهل السنة والجماعة يسمون الزيدية بـ((شيعة علي))، أو بـــ((الشيعة)).

وأيضاً فإن كُلاً من الفريقين قد ورث عن سلفه كل سمات العداوة التي كانت بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

فأهل السنة يبغضون شيعة علي وأنصاره، وينسبونهم إلى الضلال والبدعة، ويمقتونهم أشد المقت، ويحاولون لو دالت لهم الأيام قتلهم كما يقتل المشركون، وتماماً كما كان معاوية، ولا زالت هذه السمة التاريخية ملازمة لأهل السنة والجماعة على طول التاريخ، وركناً عظيماً من هويتهم الفكرية إلى اليوم.

وكذلك الزيدية منذ عهدهم الأول فإنهم يكرهون أهل السنة والجماعة، و.. إلخ ؛ غير أنهم لم يبلغوا إلى الحد الذي وصله أهل السنة والجماعة من استحلال القتل باسم الشرك.

بعض مميزات المذهب الزيدي مذهب أهل البـ عليهم السلام :

وقد اشتهرت مذاهب الزيدية منذ القدم عند جميع الطوائف الإسلامية وذكروها في كتبهم الكلامية ؛ فمن ذلك:

(١)-اشتهارهم بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن فعل معاصي العباد، وعن إرادتها ومشيئتها، وأن العاصي هو الذي فعل المعصية من قبل نفسه وبإرادته ومشيئته وقدرته، لا دخل لإرادة الله ومشيئته وقدرته في فعلها البتَّة.

(٢)-ومن ذلك قولهم: إن صفات الله تعالى هي ذاته، وأن الله سبحانه لا تحله الأعراض، وأنه ليس بذي مكان، ولا يشبه شيئاً من المُحدثات، فليس له يدان على الحقيقة، ولا وجه، ولا عينان، ولا رجلان، ولا قبضة، ولا أصابع، ولا جنب، ولا.... إلخ، وأنه لا يجوز عليه الصعود والهبوط والهرولة، سبحانه وتعالى عمَّا يقول المشبهون علواً كبيراً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى / ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص / ٤].

(٣)-وأنه تعالى لا يفعل القبائح، ولا يريدها ولا يشاؤها على الإطلاق.

(٤)-وأن العقل من أقوى طرق الفكر إلى معرفة الله تعالى، وتوحيده وعدله، وإلى تصديق رسله وكُتبه، وإلى معرفة الحَسن والقبيح، و.. إلخ.

(٥)-وأن من أدخله الله تعالى النار من فُجَّار هذه الأُمّة فإنه خالد فيها أبداً، وأن شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خاصة بالمؤمنين التائبين يرفع الله تعالى بها درجاتهم ومنازلهم.

وأنه لا نصيب لعصاة هذه الأمَّة الذين ماتوا مصرين على عصيانهم في شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد استدلوا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٢٧٠البقرة، آل عمران / ١٩٢، المائدة / ٧٢]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر/ ١٨].

(٦)-وأن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ خير هذه الأُمَّة بعد نبيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأفضلها على الإطلاق.

وأنه أحق بالخلافة وأولاهم بمقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(أ)-أجمعهم لخصال الفضل عند الله، فهو أسبقهم إلى الإسلام، وأكبرهم جهاداً في سبيل الله وبين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع القرابة القريبة من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(ب)-ولِما جاء من التنصيص على ذلك في حديث الغدير وفي حديث الدار يوم الإنذار، وحديث المنزلة، وحديث الثقلين، وغير ذلك من الكتاب والسنة.

(٧)-وأن خلافة النبوة لا تكون باختيار البشر ؛ وإنما هي باختيار الحكيم العليم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص / ٦٨].

(٨)-وأن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم محل اختيار الله لخلافة النبوة بدليل حديث الثقلين وغيره.

(٩)-وأن الظالم لا تجوز خلافته ولا ولايته ولا طاعته.

(١٠)-وأن الصحابة كغيرهم في باب العدالة والرواية، فيهم المؤمن والمنافق والمهتدي والضال و..إلخ {ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم}.

(١١)–وأن من أبغض علي بن أبي طالب عليه السلام غير عدل، بل إنه منافق لا تجوز روايته وتسقط عدالته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المشهور: ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)). وهذا على عكس ما عند أهل السنة فإنهم يعدلون مبغضي علي عليه السلام ويجرحون محبيه عليه السلام.

(١٢)–وأن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم طائفة الحق الظاهرة بالحجج والبراهين، لا يفارقون الحق ولا يفارقهم إلى يوم القيامة، وأن متبعهم ناج ومخالفهم ضال هالك.

يدل على جميع ذلك حديث الثقلين المتواتر، وحديث الكساء، وآية التطهير، وآية المودَّة، وغير ذلك كثير، ولو لم يكن من الدلائل على ما قلنا إلا ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من إيجاب الصلاة عَلَيْهِمُ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل صلاة لكفى وشفى، كيف وقد طفحت كتب السنة بما في ذلك الصحاح الست بذكر فضائلهم الشاهدة بزكاتهم وطهارتهم وحسن ديانتهم، وهذا في حين أن أهل السنة والجماعة لم يأتوا بدليل واحد ولا حتى بشبهة دليل على أنهم هم الفرقة الناجية والطائفة المحقة، اللهم إلا مجرد أسماء ودعاوى كقولهم: (إنهم أهل السنة)، وإنهم على مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وعلى ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه، وعلى ما كان عليه الجم الغفير من علماء هذه الأمة عبر العصور السالفة.

ثم يدعمون هذه الأسماء والدعاوى برمي أهل البيت وأتباعهم بأسماء الذم من مثل قولهم: روافض، وشيعة، وغلاة، يسبون الصحابة، ويسبون الخلفاء وأمهات المؤمنين.

ونحو قولهم: قدرية، ومعطلة، ومجوس ومشركون شركاً أكبر أو أصغر، و..إلخ، يشيعون مثل ذلك من أجل إدحاض حجج الحق التي جاءت في أهل البيت عليهم السلام، ولتثبت بسبب ذلك وتتقوى أركان عقيدتهم.

بناء المذهب الزيدي على فطر العقول وأدلة الكتاب والسنة

هذا، وكل الذي ذكرناه من مذهب الزيدية قد بني على فطر العقول التي فطر الله الناس عليها، وعلى أدلة الكتاب العزيز وأدلة السنة المجمع عليها بين طوائف المسلمين.

وبذلك تميزت عن الشيعة الإمامية، وذلك أن الشيعة الإمامية جعلت في عقيدتها وفي صلب دينها عقائد لم تقم عليها الدلائل من فطر العقول، أو من الكتاب العزيز، أو من السنة المجمع عليها بين طوائف المسلمين، كقولهم بحصر الخلافة في اثني عشر إماماً مسميين بأسمائهم.

وكدعواهم غياب المهدي منذ أكثر من ألف سنة، ودعواهم للأئمة العصمة المحققة، وشيئاً من علم الغيب، والعلم من غير تعلم، و..إلخ.

فما زالت الزيدية على ذلك المذهب الموروث عن باب مدينة العلم علي بن أبي طالب عليه السلام إلى يوم الناس هذا.

وما زال هذا المذهب حياً في جميع أحقاب التاريخ الطويلة التي مر بها، ومعموراً في كل عصر بوفرة من العلماء المبرزين في العلوم الإسلامية مع كامل التحقيق والتدقيق وجودة النظر والتمييز، و...إلخ.

وبعد، فلم يخل عصر من العصور من دعاة أئمتهم عليهم السلام إبلاغاً للحجة على العباد، وقياماً بحق الخلافة التي عهد بها إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض))، وهذا حديث صحيح عند علماء المسلمين، رواه مسلم وغيره.

ولم يصدهم عن القيام بذلك جور جبابرة بني أمية وبني العباس؛ بل صاحوا في وجوه فراعنة الدولتين، وخاضوا غمرات الموت معلنين للحق، ورافعين لراية الصدق، {يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

لذلك فإنهم يستحقون الخيرية التي حكم بها القرآن في قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، دون الشيعة الإمامية، ودون أهل السنة والجماعة، فإنهما قد تخلتا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طول التاريخ الإسلامي، ولم تذكر عنهم كتب التاريخ الإسلامي مع كثرتها أي حسٍ ولا حركة في هذا المجال؛ بل المذكور عن جماهيرهم التأييد للظالمين والمساندة لهم، وإغرائهم بأهل البيت وأتباعهم، أو السكوت والمداهنة.

وبذلك تَخَلَّوا عن صفة الخيرية وتنازلوا عنها، ولأمرٍ مَّا قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة:١١١].

وتخلوا أيضاً عن صفة الفلاح التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤) ﴾ [آل عمران].

ولم يتخلوا عن ذلك فقط فيكون الأمر كفافاً لا لهم ولا عَلَيْهِمُ كما فعل ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأصحابهما حين تخلوا عن علي عليه السلام وعن أعدائه، فإنهم لم ينصروا الحق ولم يخذلوا الباطل؛ بل مالوا مع الظالمين، ودخلوا في حزبهم، وشايعوهم، وناصروهم ضد الحق والمحقين، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(٢٢٧) ﴾ [الشعراء]، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ(٤٢) ﴾ [إبراهيم].

أسباب سقوط الأمة وتراجعها بعد وفاة نبيئها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

من المناسب هنا أن نشرح هذا الداء الذي أصيبت به الأمَّة بعد نبيها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فالأهواء تتمثل في الحسد والكبر، وهذا الداء الذي هو الحسد والكبر داء قديم أصيبت به الأمم السابقة، وعاش معها في كل تاريخها الطويل، فهو إذاً داء الأمم الذي ألقاها في مهاوي الهلكات، وجرَّ عليها الويلات، وأكسبها المهانة والمقت، وحق عليها بسببه عذاب الاستئصال، وكم قص الله سبحانه وتعالى في كتابه عن تلك الأمم التي أصيبت بذلك الداء، وعن مصيرها المشؤوم الذي صارت إليه.

ولم يقص الله تعالى تلك القصص المتكاثرة في كتابه الكريم إلاَّ من أجل أن تعتبر به هذه الأمَّة، وتتحذر أشد الحذر من أن تقع في مثل ما وقع فيه من قبلها من الأمم، فيحق عليها مثل ما حق عَلَيْهِمُ، ومن هنا تجد الحكيم العليم كثيراً ما يعقب القصص بنحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[ق/ ٣٧].

وقال تعالى لنبيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾[إبراهيم / ٥].

وقال سبحانه: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ..**﴾الآية [الرعد/ ٦].

ومع كل ذلك البيان الذي نزل به القرآن من العبر والأمثال والقصص والمثلات، والإنذار والتحذير، والأوامر والنواهي، و... إلخ، فإن الأمَّة بعد أن أخذ عليها ربُّها العهود والمواثيق في السمع والطاعة آثرت دواعي الأهواء من الكبر والحسد، وأعرضت كل الإعراض عن زاجر الرَّحمن، ودواعي القرآن، فقالت في يومها الأول حين مات نبيُّها: هيهات هيهات ! لا يجتمع لبني هاشم النبوة والخلافة.

فلأجل هذا الداعي المذموم الذي تنفست به الأمَّة بعد موت نبيِّها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان ما كان من الجفاء لأهل البيت عليهم السلام المتكاثر والمتلاحق منذ ذلك الحين إلى زماننا،

هذا مع معرفة الأمة بحق أهل البيت عليهم السلام ومعرفة فضلهم ومنازلهم التي أنزلهم الله فيها.

غير أن داء الحسد والكبر غلب هذه المعرفة وهزمها في قلوبهم، فصار هذا الداء هو الآمر الناهي بلا منازع.

وقد تحقق فعلاً ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لأمَّته: ((لتحذن حذو من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل، حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ لدخلتموه..)) أو كما قال.

أما الداء الثاني: فهو حُبُّ الدنيا، ويتمثل حب الدنيا في حب الترفع، وحب الجاه والسلطان، وحب المال، وحب الولاية والأمارة، فقد مال الناس مع الدنيا إلا من عصم الله، وصارت هي القبلة التي تتوجه إليها أفئدة الخلق وأبصارهم، ومن هنا فقد اشترى معاوية من الصحابي الكبير عمرو بن العاص دينه بخراج مصر، ومن سَمُرَة بن جُنْدُب بآلاف الدراهم، واشترى البيعة ليزيد بما لا يحصى من الأموال، ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾[البقرة / ٩٠]، ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة / ١٦].

والمتقي كَـاذِبٌ وَمُسْتَكْفٍ   وَمُطِيعُهُمْ وَلَّى أبا بكرِ

(المتقي) إبراهيم بن المقتدر (ت ٣٣٣ هـ)

المتقي، واسمه إبراهيم بن المقتدر،يكنى أبا إسحاق، بويع له يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ، وكان على منهاج من تقدمه من أهله في ارتكاب المعاصي، واطراح فرائض الله سبحانه وتعالى، ولم يبق لأمره نظام، وكان (تَحْكُم) المتولي على الملك، والخليفة في حكم المولى عليه لا ينفذ الأمور بحكم إلاَّ بما أراد (تَحْكُم)، وبقي الأمر على ذلك إلى أن قتل (تَحْكُم) في متصيد له، فصار التدبير

(لكوركتين) أبي شجاع ولم يترك للمتقي شيئاً من الأمور، فكتب إلى ابن واثق يستدعيه فسار من دمشق إلى بغداد، وهرب كوركتين، وكان إمارته ثمانين يوماً، وخلع ابن واثق، وطُوِّق وسوِّر، وفي أيام المتقي وقع الغلاء العظيم في الأسعار حتى بلغ كر الحنطة مائتين وعشرة دنانير، وخرج الحرم من قصر الرصافة ينادين: الجوع،الجوع.

ووصل أبو الحسين اليرندي إلى بغداد، وملك أصحابه دار السلطان، وهرب المتقي وابنه وابن واثق إلى الموصل فتجور ببني حمدان، فقتلوا ابن واثق واعتلوا بأنه أراد الإيقاع بالمتقي، وصار تدبير الملك إلى الحسين بن حمدان، ولقبه المتقي ناصر الدولة، وساروا إلى بغداد فأوصلوا المتقي إليها، وقرروا له الأمر بها، فانحرف المتقي عن بني حمدان، وخلع على تورون وصار التدبير إليه، وقامت الحرب بين سيف الدولة بن حمدان وبين تورون فانهزم المتقي إلى الموصل، وانهزم سيف الدولة، وعاد تورون إلى بغداد، فراسله المتقي في الصلح فأجاب إليه، وأقبل إلى تورون فاستقبله وقبل له الأرض، وقبل يده ورجله، وسار معه، ونزل المتقي هو وحرمه في مضرب تورون فأنفذ تورون فأحضر عبدالله بن المستكفي، وبويع له، وسلِّم إليه المتقي فأخرجه إلى جزيرة بقرب السندية، وسملت عيناه بعد أن أقيم بين يدي المستكفي وسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع. انتهى من الشافي.

هكذا صارت الخلافة العباسية ألعوبة بأيدي المتغلبين من القواد والأجناد وأمراء النواحي من العرب والعجم والترك، ولم يبقَ للخلفاء العباسيين إلاَّ تلك السمات البارزة للخلافة العريقة وهي إدمان شرب الخمر، ومجالس اللهو المعمورة بآلات العزف والرَّقص والغِنَّاء، والجواري والغلمان، وارتكاب فواحش العصيان.

ولم يبق لهم من الخلافة إلاَّ ذلك وإلا اسم الخلافة وأمير المؤمنين واللقب عاطلة عن أي معنى تحمله هذه الأسماء سوى ما ذكرنا من اللهو والمجون.

أما الإسلام والمسلمون فقد باد وبادوا منذ زمان بعيد، وأكل عليهم الدهر وشرب.

مرتكزات المذاهب المنحرفة عن الإسلام:

أما العلماء المعاصرون لأولئك الخلفاء وعوام تلك الفترات فنقول: إن الرّعيَّة على دين الرَّاعي، ولن يعدوا قول الشاعر:

إذا كان ربُّ البيت بالدُّف ضارباً   فشيمة أهل البيت كلهم الرَّقصُ

غير أن السلف الأول في عهد معاوية فما بعده كان قد أبدع للخلفاء ورعاياها إسلاماً مسايراً للخلافة الإسلامية الجديدة خالياً عن العراقيل، في غاية السماحة مع الخلفاء والرعايا لا يتصادم مع الأهواء واللذات من نصوص ذلك الإسلام الجديد: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنى))، ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي))، (وجوب السمع والطاعة للسلطان الظالم)، بالإضافة إلى تبرير عظائم المجرمين وكبائر الظالمين والفاسقين بالقضاء والقدر، ومشيئة الله وإرادته.

فتهاونوا من أجل ذلك بشرائع الإسلام ركوناً إلى تلك العقائد الأموية، وحاربوا كل من يشكك فيها أو ينتقدها أو يكذبها، وسارعوا إليه بالأذى، واصدروا ضدَّه أقسى الأحكام بحجة أنه زنديق، أو رافضي، أو قدري يشكك في الإسلام، أو أنه يسب السلف الصالح، فمضت على ذلك القرون والأجيال، وتتابعت الأمم والملوك.

وما زال هذا المذهب الأمويُّ إلى يومنا هذا هو المسيطر في بلاد المسلمين، ولا شك أن هذا المذهب الأمويّ لا يستند إلى شيءٍ من الأدلة اللَّهُمَّ إلاَّ موافقته للأهواء ودواعي الغرور.

أما استدلالهم بأنه مذهب السلف والخلف ومذهب الجمُّ الغفير من علماء الأُمَّة على طول التاريخ فنقول في الجواب:

الكثرة ليست بدليل، وقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ/ ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[ص/ ٢٤]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف/ ١٠٣]، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام/ ١١٦]، ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف/ ١٠٢]، إلى غير ذلك من آيات الكتاب الكريم.

وهذا في حين أن كتاب الله تعالى مليء بذكر فضل آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كآية التطهير، والموَّدة، وغيرهما، وكذلك كتب السنة، ولو لم يكن من ذلك إلا حديث الثقلين الذي أجمعت طوائف الأُمَّة على صحته لكفى.

كيف وقد ضاقت كتب أهل السنة والجماعة بمئات الأحاديث في ذكر أهل البيت عليهم السلام وفضلهم، وأنهم أهل الحقِّ إلى يوم القيامة ؛ ولكنها ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج/ ٤٦]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[النور/ ٤٠].

(المستكفي: عبدالله بن علي (ت ٣٣٤ هـ)):

المستكفي بالله، وهو أبو القاسم عبد الله بن علي المستكفي، بويع يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ٣٣٣هـ، وخلع في شعبان سنة ٣٣٤هـ لسبع بقين من شعبان، فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر إلاّ أياماً.

وكان المتولي لتدبير شؤون الخلافة في عهده تورون إلى أن مات تورون، ووصل بنو بويه الديالمة إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ.

وهم: أحمد بن بويه، ولُقِّب معز الدولة.

وعلي بن بويه، ولقب عماد الدولة.

والحسن بن بويه، ولقب ركن الدولة.

فاستولوا على تدبير شؤون الخلافة دون المستكفي، يفعلون ما شاؤوا، ونزل الديلم دور الناس اغتصاباً.

ثم إن معز الدولة اتهم (قهرمانة)(١) المستكفي بمؤامرة مع رجال الدولة ضد بني بويه فركب إلى دار المستخلف لثمان بقين من جمادى يوم الخميس سنة ٣٣٤هـ، ووقف بين يدي المستكفي، وتقدم رجلان من الديلم فمدا إليه أيديهما وصاحا صياحاً عظيماً بالفارسية، فظن الخليفة أنهما يريدان تقبيل يده، فمدها فجذباه وسحباه بعمامته في عنقه، وساقوه إلى دار معز الدولة ماشياً، ونهبت دار الخلافة، وخلعوه.

تأريخ أسْوَد وصو ة من ظلم بني أميّة وبني العبّاس

الشدة والقسوة كانت من السمات الواضحة على خلفاء بني العباس ومن قبلهم خلفاء بني أميَّة، فلا تعرف قلوبهم الرحمة والرّأفة بالمسلمين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[التوبة / ١٠]، حتى أن القارئ لتاريخ سلاطين الدولتين إذا استقرأ تاريخهم في الإسلام واستقرأ تاريخ حُكام العالم في العصر الحاضر لا يجدون لهم شبهاً ؛ اللَّهُمَّ إلاَّ النازية والفاشية والصهاينة أو الشيوعية في بداية ثورتها، أو صرب يوغسلافيا، والبوسنا والهرسك.

ومع هذا الشبه فإنك تجد لخلفاء الدولتين الريادة في القسوة، فإن الخلفاء منذ عهد معاوية إلى آخر عهدهم كانوا يقتلون على التهمة والظِنة من غير محاكمة ؛ بل بمجرد قول الوالي: أضربوا عنقه.

وكان الخليفة يجعل لولاة الأمصار كامل الصلاحية والتفويض بقتل من شاء، وبصلب من شاء، ويعذب من يشاء ((لا يُسأل عما يفعل)).

(١)- قهرمانة: يعني الجارية.

ويصادر الأموال، ويخرب البيوت، ويفعل العظائم والجرائم كيف يشاء على حسب ما يشتهي ويريد، ولا يحتاج في فعل شيءٍ من ذلك إلى محاكمة، وهكذا كان الولاة، ووكلاء الولاة، والأمراء والقواد، لكل منهم نفس ذلك التفويض وتلك الصلاحية، ((يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد))، و ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))، فيقتل ويسفك، ويصلب لسبب أو لغير سبب ؛ بل لمجرد التلاعب والتشهي، والإثم والبغي، كل ذلك من حقوقه التي خوّله إيَّاها خليفته، والتي يزينها لهم علماؤهم المتقربون إليهم باختلاق الروايات في وجوب السمع والطاعة، وتحريم الخروج على الظالم، و.. إلخ.

وهذا في حين أنك لا تجد هذه الشرائع في قوانين الصهاينة اليوم، ولا القوانين الشيوعية الملحدة، ولا العلمانية الكافرة، وإن جاء شيءٌ يقارب بعض ذلك فإنما يكون على سبيل الخفية أو الندرة، وربما عاقبت القوانين الوضعية فاعل ذلك وأخذت بعنقه إلى المحاكم الدولية.

وأني لأعجب من كثير ممن يتنمي إلى الإسلام ويظهر الانقطاع إلى الله، والورع والزهد، وإذا ذكرت عنده ظلم معاوية وبغي يزيد وجور زياد بن أبيه، وعَسْف الحجاج يزبد ويرعد، وتنتفخ أوداجه، وتحملق عيناه، ويفقد توازنه غضباً لأولئك البغاة ؛ بل إنه ليكاد يتميز غيضاً عليك.

وذلك لأنه يرى أنك انتهكت حرمة عظيمة، وارتكبت جريمة شنيعة بها خرجت من دوائر الإسلام وحضيرة الإيمان، وصرت بذلك زنديقاً ورافضياً وشيعياً.

وكأني بقارئهم كذلك إذا قرأ ما كتبنا، فنقول له مسبقاً: مهلاً مهلاً ! إذا كان ما ارتكبه معاوية غير ضائر له في دينه وآخرته وقد سفك من دماء المسلمين ما لا يعلمه إلاَّ الله، وقاتل الخليفة العادل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبغى عليه، وقتل الكثير من الصحابة من أهل بدر ومن أهل بيعة الرضوان، وفعل

العظائم وارتكب الجرائم الموبقات التي ملأ الدنيا نتنها، وشوه صحائف التاريخ ذكرها وشؤمها وقبحها.

إذا كان ذلك كله من معاوية، ومن فعل معاوية وصنعه، فكيف يضر الكاتب كتابتها، أو يضر المتكلم ذكرها؟ وكيف يختل إيمانه بروايتها، ولا يختل إيمان فاعلها الأثيم؟!.

(المطيع لله) الفضل بن جعفر (ت ٣٦٣ هـ):

المطيع لله هو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر، بويع له لسبع بقين من شعبان سنة ٣٣٤هـ أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وغلب على الأمر في عهده ابن بويه الديلمي، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي، ولا خلافة تُعرَف، ولا وزارة تُذكر.

وأقام في الخلافة تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياماً، وخلع نفسه من الخلافة لغير سبب في اليوم الثالث عشر من ذي القعدة سنة ٣٦٣هـ.

وكان سابقاً مجلياً في ارتكاب أنواع المعاصي قد أغلق عليها بابه ولم يهتم بما وراءه، وكان مستضعفاً كما كان أبوه، والملك والأمر إلى غيره (معز الدولة، ثم ولده بختيار بن معز الدولة)، فكان معز الدولة هو المتصرف في الملك بما شاء من غير نزاع ولا يحاذر من صاحب الخلافة إلا مطالبة النفقة له ولمن تحت يده من غير تشدد مخافة القتل والخلع والسمل. انتهى من الشافي.

تعصب طائفة من العلماء لخلفاء بني أمية وبني العباس:

قلت: العجب من علماء الأمصار كيف يتعصبون لخلفاء بني أمية وبني العباس أشدَّ التعصب، ويدافعون عنهم، ويقررون لهم شرعية الخلافة واستحقاقها مع ما هم عليه من البغي والعدوان، والفسوق والعصيان، إلى الحد الذي صار معه ذلك داخلاً في هوياتهم وجزءاً من شخصياتهم، بينما تراهم في نفس الوقت يذكرون النصوص الواردة في أهل بيت نبيهم ﷺ من القرآن الكريم ومن السنة النبوية

على صاحبها وآله صلوات الله وسلامه، يروونها ويصححون أسانيدها، حتى إذا حاولت منهم أو طلبت تفسير معناها وبيان دلالتها كوجوب متابعة أهل البيت، وأنهم أهل الحق، وقرناء الكتاب وتراجمته، ووجوب مودتهم، و..إلخ، نفروا عن ذلك أشد النفور، واستنكروا غاية الاستنكار، واضطربوا وبرطموا، وحكموا وجزموا ببطلان إمامتهم وبالتبديع لهم في مذاهبهم، واستهزأوا بمقالاتهم ومؤلفاتهم، وضللوا متابعيهم، وأكثروا في ذمهم والتقبيح لهم.

إذاً فما فائدة تلك النصوص التي يذكرونها في كتبهم ويصححونها؟ ما ذاك إلاَّ لإرادة الله عز وجل إظهار الحق على ألسنتهم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال/ ٤٢].

قال شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه ((لوامع الأنوار)): فقد صار الأمر في حالهم ما قص الله تعالى من أمثال قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤].

وأصل كل ضلالة وفتنة، ومنبع كل فُرقة ومحنة في هذه الأمة والأمم السالفة اتباع الأهواء، والإخلاد إلى الدنيا، ومحبة الترأس على الأحياء، فإنه لم يستقم الملك للملوك العاتية والجبابرة الطاغية إلاَّ بمخالفة أنبياء الله وكتبه، ومباينة أوليائه وأهل دينه كما قصه الله في كتابه وعلى ألسنة رسله، ولم تتم لعلماء السوء الرئاسة منهم، والتقرب لديهم، ونيل حطام دنياهم إلا بتقرير ماهم عليه، وتأييد مامالوا إليه، وقد علم كل ذي علم وفهم، وفَهِم كل ذي فهم ماجرى لأهل بيت النبوة في هذه الأمة، ومافعله ملوك الدولتين الطاغيتين مع العترة المطهرة، وما ساعدهم به علماء السوء وفقهاء الضلال من اتباع أهوائهم على كل حال، ورفض أهل بيت نبيهم، وطرح مايدينون به من دين ربهم، حتى غيروا معالم دين اللَّه، وافتروا على اللَّه وعلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لترويج مايهوونه من الصد عن سبيل اللَّه في الأفعال والأقوال، كل ذلك معارضة للآل، ومخالفة لما أمرهم به في شأنهم ذو الجلال.

وقد قصد ملوك السفيانيةوالمروانيةوالعباسية استئصال السلالة النبوية، وإبادة الذُّرية العلوية، وإزالتهم عن وجه البسيطة بالكلية، وأبلغوا مجهودهم في طمّ منارهم، وطمس أنوارهم، فأبى اللَّه تعالى لهم ذلك، وغلبهم على ماهنالك، كيف وهم قُرناء الكتاب، والحُجة على ذوي الألباب، والسفينة المنجية من العذاب، والثقل الأصغر الذين خلفهم الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع الثقل الأكبر في الأرض، ولن يفترقا إلى يوم العرض؟!، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة / ٣٢].

وتهافت في أثر الملوك الجبارين والعلماء المضلين الذين حذَّر عنهم سيد المرسلين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأتباع من العوام، والهمج الرُّعَاع من الطغام، أتباع كل ناعق، وسيقة كل سائق، وركضوا في ميادين الدول كما وصفهم اللَّه عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الفرقان/ ٤٤]، وهم الجم الغفير والجمع الكثير، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[الأنعام/ ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف/ ١٠٣].

فعظمت الفتنة، واشتدت المحنة، وتمت الفرقة المنهي عنها في الكتاب المبين وعلى لسان الرسول الأمين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،... إلخ. انتهى من ((لوامع الأنوار)).

الطائع) عبدالكريم بن المطيع ت ٣٨١ هـ):

الطائع لله، واسمه أبو بكر عبدالكريم بن المطيع، بويع له يوم خَلَع أبوه نفسه من الخلافة منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣هـ، وخُلِع من الخلافة في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٨١هـ.

وسبب خلعه أن بهاء الدولة بن بويه قلت عنده الأموال، فحسّن له بعض نصحائه القبض على الطائع ونهب أمواله.

فدخل إليه بهاء الدولة في جمع من جنوده فتقدم إليه بعض الديالمة كأنه يريد أن يسلم عليه، فجذبه وأنزله من سريره، ونهبوا الدار وأخذوا ما فيها، وحملوا الطائع وأشهدوا عليه بخلع نفسه.

وكان من جملة الحاضرين في دار الخلافة الشريف الرضي، فخرج وقال أبياتاً من جملتها كما في الكامل:

من بعدما كان ربُّ الملـك مبتسماً ... إليَّ أدنــوه في النجــوى ويــدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطـه ... لقــد تقـارب بـين العـز والهــون
ومنظرٍ كـان بالســراء يضـحكني ... يا قرب ما عـاد بالضر-اء يبكينـي
هيهــات أغــتر بالســلطان ثانيــة ... قد ضل ولاَّج أبـواب السـلاطين

وتوفى الطائع سنة ٣٩٣هـ وقد سُمِلت عيناه بعد أن أشهد على نفسه بالخلع، وقطعت قطعة من إحدى أُذنيه، ثم سلمه بهاء الدولة إلى الخليفة الجديد الملقب بـ(القادر بالله)، فتقدم هذا الخليفة الجديد بجدع أنف الطائع، فقطع يسيراً من جانب أنفه مع ما كان قطع أولاً من أُذنه.

وبقــادرٍ ظهــرت لهــم بِــدَعٌ ... ثــم ابنــه قــد قــام بالنشــر
وبمقتــدٍ مــن بعــده وأبي الــ ... ـــعبَّاس والمسترشــد الغُمْــرِ

(القادر) أحمد بن إسحاق بن المقتدر (ت ٤٢٢هـ):

القادر بالله وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، بويع له لسبع بقين من شعبان سنة ٣٨١هـ، وجددت له البيعة في شهر رمضان من هذه السنة.

وقد كان الأمر وتدبير الخلافة لبهاء الدولة كما في سابقه، وهو في حكم المعزول، ولم يكن له من الخلافة إلاَّ الاسم والخطبة والدعاء لا غير، وكان هذا الخليفة كمن

سبقه في اقتراف المآثم وارتكاب الرذائل، وأضاف إلى ذلك أنه استوزر سعيد بن الحسن النصراني.

وتوفي القادر بالله في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ وله ست وثمانون سنة وشهراً، وأقام في الخلافة إحدى وأربعين سنة.

هذا ولعل تسمية شيخنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا الخليفة بالأحمق قد كان بسبب ما ظهر منه من التصرفات التي تدل على ما ورائها من الحمق، وذلك مثل قطعه لأذن الطائع يوم وقف بين يديه عند خلعه، ثم جدع أنفه حين سلم إليه بعد ذلك.

(القائم) عبدالله بن أحمد بن إسحاق (ت ٦٧ هـ):

القائم بأمر الله وهو أبو جعفر عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد، بويع له في ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ، وأخذ منهاج من تقدمه في ارتكاب معاصي الله تعالى، وتعدي حدوده ومخالفة أوامره، والإعتكاف على اللذات، والجنوح إلى الشهوات.

وقد كان الملك والتصرف في الخاصة والعامة إلى الملك أبي طاهر جلال الدولة بن بويه، أما الخليفة القائم بأمر الله فليس له من الأمر شيء، خائف مقهور، تجري عليه الأرزاق كما تجري على غيره، وكذلك من كان قبله من الخلفاء لم يبق لهم من الأمر نقير ولا قطمير، وقنعوا بالاسم دون التصرف، وما قدروا على تغيير ما أنكروا مما كرهوا من التحكم فيهم والتسلط عليهم.

توفي القائم بأمر الله في اليوم التاسع والعشرين من شعبان سنة ٤٦٧هـ.

(المقتدي) عبدالله بن محمد بن عبدالله (ت ٨٧ هـ):

المقتدي بأمر الله وهو أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن المقتدر، بويع له في شهر رمضان سنة ٤٦٧هـ.

وكان مشتغلاً باللهو، مهملاً للأمور، مستضعفاً في الخاصة والعامة.

وفي أيامه غلبت الباطنية على الحرمين الشريفين والشام وبعض العراق.

ومن خواصه ومحل أسراره ابن الموصلي النصراني، وكاتِبُه ابن المعوج النصراني.

توفي المقتدي يوم الجمعة الخامس عشر من المُحرَّم سنة ٤٨٧هـ.

وكان أبوه محمّد يلقب (ذخيرة الدين)، وكان ذخيرة الدين هو ولي العهد بعد أبيه القائم غير أنه مات بعد أن ولد له مولود، فتربى هذا المولود في حِجْر جده القائم بأمر الله، وعهد إليه بالخلافة ولقبه المقتدي وكناه أبا القاسم.

هذا وقد كان الأمر في عهد المقتدي بيد غيره كما كان الحال فيمن سبقه، فقد انقضى عهده وهو مغلوب على أمره.

المستظهر (أحمد بن عبد الله المقتدي) (ت ٥١٢هـ):

المستظهر بالله وهو أبو العباس أحمد بن عبد الله المقتدي، بويع له في التاسع عشر من المُحرَّم سنة ٤٨٧هـ، وكان أحزم ممن سبقه من أهله، وأنهض بالأمر، وتوفي ليلة الخميس لست ليالٍ بقين من شهر ربيع الاخر سنة ٥١٢هـ.

وفي عصر المستظهر اشتدت شوكة الباطنية، وانتشروا في قزوين، وزنجان، والرَّي، وأصبهان، ونيسابور، وأرجان، وفارس، وغيرها من بلاد العجم.

(المسترشد) (المفضل بن المستظهر) (ت ٥٢٩هـ):

المسترشد بالله هو أبو المنصور المفضل بن المستظهر، بويع له في الليلة التي توفي فيها والده، وهي ليلة الخميس لست ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢هـ.

وقد كان هذا الخليفة على شاكلة من تقدمه من الخلفاء في ارتكاب المحرمات والانهماك في اللذات.

وقُتِل المسترشد بـ(آذربيجان)، يوم الخميس السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ تسع وعشرين وخمسمائة، وذلك بعد أن أسره السلطان مسعود في معركة بدايمرج، انهزم فيها أصحابه وهو ثابت لم يتحرك من مكانه، ولم يُقتل في هذه المعركة أحد، وهذا من أعجب ما يُحكى.

فأخذ السلطان محمود المسترشد أسيراً، وجعله في خيمة ووكل من يحفظه، وهناك تقررت قواعد الصلح بين الطرفين ومن ذلك أن يدفع الخليفة إلى السلطان شيئاً من المال، وأن لا يجمع العساكر ضد السلطان، وأن لا يخرج من داره، ولم يبق بعد ذلك إلا أن يعود الخليفة إلى بغداد.

فدخل على المسترشد مجموعة من الباطنية في ساعة غفلة فقتلوه ومثلوا به، وجدعوا أنفه وأذنيه، وتركوه عريانا، وكان عمره حين قُتِل ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر.

والرَّاشــد اسْــتَغْوَتْهُ شِــقْوَتُهُمْ   وَالْمُقْتَفِـــي وسَـــلِيلُهُ الْمُثْـــرِي

وفي هذا البيت ثلاثة من خلفاء بني العباس:

(الراشد) جعفر بن المسترشد (ت ٥٣٢ هـ)

الراشد بالله، وهو أبو منصور جعفر بن المسترشد، بويع له يوم الإثنين السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ.

وسلك مسلك من سبقه في إيثار الشهوات على المفروضات، وكان الأمر في ما وراء بابه لغيره ؛ وإنما له اسم الخلافة دون معناها، وكان مهملاً لأموره تكلة في أسبابه كلها، قليل الثبات على حالة واحدة.

وقتل الراشد بقرية الظاهري من أصفهان في شهر رمضان سنة ٥٣٢هـ قتلته الباطنية.

وقد كان السلطان مسعود خلع الراشد قبل ذلك في ذي القعدة سنة ٥٣٠هـ.

وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً.

(المقتفي: محمّد بن المستظهر (ت 55 ه):

المقتفي لأمر الله، هو أبو عبد الله محمّد بن المستظهر، بويع له – كما في الكامل (١)– في ثامن عشر ذي الحجة سنة ٥٣٠هـ.

وكان غير قاصر عن مساعي من تقدمه في معاصي الله سبحانه وتعالى، وكان مع ذلك مهملاً مستضعفاً، وكان الأمر كله لملك خوارزم، ولم يترك له إلاَّ ما وراء بابه.

وتوفي المقتفي في اليوم الثاني من ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ، ومنذ عهد المستنصر إلى هذا العهد الأمر كله بيد الديلم.

(المستنجد: يوسف المقتفي (ت ٦٦ هـ):

المستنجد بالله، واسمه يوسف بن المقتفي، وكنيته أبو المظفَّر، بويع له يوم مات أبوه المقتفي.

وكان قافياً لآثارهم سالكاً في منهاجهم في إيثار الملاهي والمعاصي على أعمال الآخرة،غير مرتدع لزاجر، ولا منقاد لآمر؛ إلاَّ أنه كان أحزم ممن تقدمه.

فإنه استخدم الجنود، وحارب ملوك العجم، واسترجع بعض ما كان خرج من أيدي من تقدمه، وكانت له هيبة وضبط وحزم.

توفي المستنجد يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ، وذلك باختناقه في الحمام، وذلك أنه مرض فوصف له الحمام، فأدخل الحمام فلما دخل أغلقوا عليه الحمام حتى مات، وقد كان ذلك بمؤامرة من ولده وبعض أعوانه.

وسماه شيخنا رضي الله عنه بـ(المُثْري) لجمعه للأموال وادخارها على خلاف ما كان عليه من تقدمه من سلفه ؛ فإنهم كانوا مغلوبين على أمرهم في تدبير شؤون الخلافة، وجمع المال، وجباية الخراج والمكوس لا سلطان لهم على ذلك، ولا تصرف لهم فيه.

---

(١)– الكامل في التاريخ – ابن الأثير.

فلما جاء المستجد أعاد للخلافة بعض هيبتها، فجمع الأموال، وجنَّدَ الجنود، واستقل بتدبير شؤونها، وتحرر من ملوك العجم، غير أنه لم يكن تحت سلطته إلا بعض بلاد العراق.

أما سائر البلاد الإسلامية فقد تحولت إلىٰ ممالك ضعيفة، لكل مملكة سلطان يحميها، فمن هنا صارت بلاد الإسلام عُرْضَة لغزو الطامعين، ولُقْمَة سائغة للأكلين.

فلحق المسلمين بسبب ذلك من البلاء شيءٌ عظيم، وجاءهم العدوُّ من كل مكان، فغزاهم من الشرق التتر، ومن الشمال والغرب الروم والإفرنج، وهذا بالإضافة إلىٰ ما لحقهم من الحروب الداخلية فيما بينهم.

والمستضـيء أعماه ناصرهم — أصلاه في الحمَّام بالحرِ
وهو ابنه فاعْجب لِبِرِّهِمُ — شِنْشِنَةٌ ليست بذي بِكْرِ

(المستضيء الحسن بن يوسف (ت ٥٧٥ هـ))

المستضيء، وهو أبو محمّد الحسن بن يوسف، بويع له يوم توفي والده المستنجد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ، وقد كان علىٰ منهاج من سبقه، فلم يدع طريقة من طرائقهم في فعل المعاصي وارتكاب المنكرات والملاهي والشهوات إلا سلكها.

ومات في اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ.

وفي سنة ٥٦٧هـ انقرضت الدولة العلوية في مصر، وقد كان جميع مدتها منن حين ظهر المهدي إلىٰ أن توفىٰ العاضد آخر خليفة علوي مائتين واثنين وسبعين سنة وشهرا.

وذلك أن دولتهم ابتدأت في افريقية في ذي الحجة سنة ٢٩٩هـ إلىٰ ثاني جمعة من المحرم سنة ٥٦٧هـ.

وبانقراضهم انقرض مذهب الباطنية في مصر، ولم يبق له بعدهم هناك عين ولا أثر، وذلك علىٰ يد صلاح الدين الأيُّوبي.

وصدق الله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[الرعد/ ١٧].

(الناصر) أحمد بن المستضيء (ت ٦٢٢ هـ):

الناصر، وهو أبو العباس أحمد بن المستضيء، بويع له في سنة ٥٧٠هـ.

وقد سلك طريقة من تقدمه في معاصي الله تعالى من شرب الخمر، واللعب واللهو والطرب.

وتميز بسفك الدماء وركوب الدهماء، وكان يطوف في مدينة بغداد مستخفياً فمن أشار إليه قتله، ومن قال من؟ وسطه.

وله آثار في الإسلام قبيحة، وفي الكامل: كان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً، فخرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أملاكهم وأموالهم.

وتوفي في آخر ليلة من شهر رمضان سنة ٦٢٢هـ، وقد كانت مدة خلافته طويلة كما ترى.

استدعاء جيوش الكفار إلى بلاد المسلمين سنة قديمة سنها الظالمون:

ورد في الكامل لابن الأثير: وكان سبب ما ينسبه العجم إليه [أي إلى الناصر] صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يَصغُر عندها كل ذنب عظيم.

هذا وفي سنة ٦١٧هـ في عهد الناصر كان خروج التتر إلى بلاد المسلمين، قال في الكامل وهو يصف ما كان من التتر:

فلو قال قائل: إن العالَم منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يُبْتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.. ثم قال: ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتُفنى الدنيا.. ثم قال: فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان، ثم منها إلى بلاد ما

رواء النهر مثل سمرقند، وبخارى، ثم إلى خراسان، ثم إلى الرَّي، وهمذان، وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم بلاد آذربيجان، وغيرها، فيملكون كل تلك البلاد في أقل من سنة، ويفرغون منها تخريباً، وقتلاً ونهباً بحيث أنه لم ينج من سكان تلك البلدان الطويلة العريضة إلاَّ الشريد النادر، أما البقية فقد قتلوا عن بكرة أبيهم رجالاً ونساءاً واطفالاً، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأَجِنَّة.

فقد كانوا يقتلون جميع سكان المدينة بعد أن يأمروهم بجمع ما عندهم من الأموال، ثم ينتهبون البيوت، ثم يخربونها ويحرقونها، ثم يُجْرُون عليها النهر. انتهى باختصار.

وفيه أيضاً: التتر نوع كثير من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على مسيرة ستة أشهر. انتهى.

وقد كان عدد القتلى في كل مدينة يخرج عن حد الإحصاء، وكان التتر يأمرون بعض الأسراء فينادي في المدينة: إن التتر قد رحلوا. ليخرج من كان مختفياً، فإذا نادى أولئك خرج من كان مختفياً فيؤخذ ويقتل.

وكان الرجل الواحد من التتر يدخل الدرب فيه الجماعة من الناس فيقتلهم واحداً بعد واحد، حتى يفرغ من الجميع لا يمد إليه أحد منهم يداً.

وفيه وهو يذكر صنيع التتر بمدينة مرو: اقتسموا أولاً الرقيق من الأطفال والنساء والرجال، ثم عذبوا أرباب الأموال بأنواع العذاب من أجل استخراج الأموال من أيديهم، وربما مات أحدهم من شدة الضرب، ثم أحرقوا البلاد.

ثم إن ابن جنكزخان أمير التتر أمر بقتل أهل البلد كافة، وأمر الأمير بإحصاء القتلى فكانوا سبعمائة ألف قتيل. انتهى.

وقد كانت المدن التي يملكها التتر تلقى هذا المصير، على كثرة ما استولوا عليه من المدن، فإنهم قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأوفرها سكاناً.

فقد ملكوا غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند، وسجستان، وكرمان، وكذلك استولوا على بلاد قفجاق وهم أكثر الترك عدداً. وكل ذلك في أقل من سنة.

وقد دخل التتر بلاد العراق أخيراً، ودخلوا بغداد فلقيت نفس المصير الذي لقيته سائر الممالك والمدن التي مرت بها التتر، فقد قُتِل أهل بغداد جميعاً تقريباً، ولم يسلم منهم إلا الشاذ النادر، وقد ذكر بعض المؤرخين أن قتلى بغداد وحدها قد كانوا مليونين من الناس ما بين طفل وامرأة ورجل ولم يبقوا على أحد.

هذا، والسبب في كبير ظني في حصول هذه الكارثة الكبرى الذي لم يشهد لها البشر مثيلاً في التأريخ هو كثرة الفسوق والعصيان، فإن ذلك كان قد ظهر واستشرى، وتراكم وتمادى في بلاد المسلمين، ونشأ على ذلك الصغير وشاب عليه الكبير، وشمل الراعي والرعية، وذلك كالظلم، وسفك الدماء بغير حق، وما يتبع ذلك ويلحق به من التعذيب والحبس، وكالزنا واللواط وشرب الخمر، والرقص والغِنَّاء والمزامير وآلات اللهو، والتهاون بشرائع الإسلام جملة وتفصيلاً، فحصل ما حصل من التتر على المسلمين بسبب ذلك، وتماماً كما قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(١٢٩)** ﴾ [الأنعام].

هذا، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أشار إلى فتنة التتر في خُطْبة خطبها في البصرة منها: (كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجانّ المطرَّقة يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقل من المأسور).

والظَّاهِرُ ابن الناصر اسْتَخْفَى ثُمَّ ابْنُهُ لم يَحْضَ بِالنَّصْرِ

الظاهر محمد بن الناصر (ت ٢٢ هـ)

الظاهر بأمر الله هو: محمد بن الناصر، بويع بعد وفاة أبيه الناصر سنة ٦٢٣هـ ومات في هذه السنة، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر لا غير.

المستنصر منصور بن الظاهر (ت ٤٠ هـ)

المستنصر بن الظاهر، واسمه: منصور بن الظاهر، استُخْلِف في سنة ٦٣٢هـ ومات سنة ٦٤٠هـ.

وسَلِيْلُهُ الْمُسْتَعْصِمُ انْخَرَمَتْ	آمالُه وأبيد بالقسر
وتصرَّمت أيَّامُهُم لَّما	ماج التتار كمائج البحر
فانظر صُرُوف الحادثات وغا	يات المَدى ونهاية الأمر

المستعصم عبدالله بن المستنصر (ت ٥٦ هـ)

المستعصم هو عبدالله بن المستنصر آخر ملوك بني العباس ولد في سنة ٦٠٩هـ، ومات سنة ٦٥٦هـ، تولى من سنة ٦٤٠هـ إلى سنة ٦٥٦هـ، عجز عن صد الغزو المغولي (التتار) قتله هولاكو بعد احتلاله بغداد.

قال صاحب غاية الأماني يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد: وفي هذه السنة [أي سنة ٦٥٦هـ] دخل التتار مدينة السلام ببغداد وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي، ومن أهل بغداد عدداً لا يحصيهم إلا الذي خلقهم.

ومن عجيب الاتفاق وغريب ما رقم في الأوراق أن المظفر كتب إلى المستعصم يخبره بقتل الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام صاحب ذيبين فوصل إلى براقش وبلغه خبر قتل المستعصم، ويقال: إنه قتل في اليوم الذي قتل فيه الإمام عليه السلام.

وبقتل المستعصم انقرضت دولة بني العباس في العراق، وانتقل بقيتهم إلى مصر.

وكان مدة ملكهم منذ قيام أبي العباس السفاح إلى هذا التأريخ خمسمائة عام، فسبحان من لا يزول ملكه.

أزكى الصلاة مع السلام على خير الأنام وآله الغُرِّ

تم بحمد الله

الفهرس